ليزا زغلول
بيتُ المرايات
سلسلة ليالي الرعب والغموض "العدد الأول"
بلومنيا للنشر والتوزيع

بيتُ المرايات

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إليكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- الكتاب: بيتُ المرايات
- المؤلف: ليزا زغلول
- الطبعة الأولى 1445 هـ - 2024 م - القاهرة
- الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر
- الرقم الكودي في ببلومانيا: BMS01260324
- مدير عام: جمال سليمان – مدير تنفيذي: محمد جلال
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر
- عنوان (2): 29 شارع الكمال – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 002026337855 - 002026064518
- محمول: 00201208868826 – 00201030504636 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bibliomaniapublishing.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

/bibliomania.eg

جميع الحقوق محفوظة ©

www.bibliomaniapublishing.com

بيتُ المَرايات

قصص إذاعية

ليزا زغلول

الإهداء...

إلى تلك الصغيرة التي رأيت انعاكسها بوضوح في المرآة منذ أكثر من ثلاثين عامًا، لا بأس؛ لقد مر الأمر بسلام.

ليزا زغلول

أرض الخالدين

فيه أماكن كده قلبك بيتقبض منها من غير ما يكون فيه سبب مقنع، بس بتبقى مجبر على وجودك فيها..

أنا كريم بتاع بيت العطارين، العيل الصغير اللي لما كان بيلعب استغماية في الشارع قدره كله اتغير، واتفتحت أبواب كتيره في وشه، ماتقفلتش غير لما عرف حقيقة ماضي أهله كاملة..

كنت فاكر كلام حسين عن الكرامات اللي أنا وارثها من أمي، بس لحد امتى هفضل موقف حياتي، ومستني المعجزة تحصل، ده حتى حسين نفسه مات من غير مايقولي إيه هي الكرامات اللي كانت عند أمي الله يرحمها، مافضليش في الدنيا دي غير مراة عمي اللي ربتني، وعاملتني إني ابنها وعمرها مازعلتني في يوم أبداً، كانت عايشة معايا في القاهرة، واترقيت في الشغل بعد ما رجعت، وكتبت قصص كتيرة مستوحاة من اللي حصل معايا في البلد بتاعتنا.

للمرة التانية برمي كل حاجة ورا ضهري، وببدأ من جديد؛ عشان كده أنا جاي النهاردة آخدك معايا في مغامرة هتحبس نفسك من البداية لحد النهاية، انا لسة بشتغل في جريدة مسائية، بعمل تحقيقات عن الظواهر الغامضة والأحداث الغريبة، ولحسن حظي إن المرة دي التحقيق كان بره مصر..

في باكستان الشغل كان مسؤول عن حجز تذاكر الطيران رايح جاي، والإقامة والمواصلات الداخلية، وكمان كانوا معينين ليا مرافق عشان يساعدني علي فهم اللغة الباكستانية.

في الحقيقة دي أول مرة أطلع فيها تحقيق، وأنا مش عارف الموضوع اللي هعمل عنه تحقيق إيه، كنت متحمس جداً، من أول ما ركبت الطيارة وأنا مستني اللحظة اللي أوصل فيها للفندق، وأستلم الملف اللي فيه الداتا اللي هتساعدني، وفعلاً وصلت الفندق بس كنت مرهق من الطريق، استقبلني شخص باكستاني بيتكلم بالعربي، واداني ظرف وطلب مني أقرأه كويس، ونتقابل بكره الصبح في نفس المكان، وصلني لأوضتي ومشي...

وأنا اول حاجة عملتها إني فتحت الشنطة، وطلعت منها جاكيت لبسته، الجو هنا علي الجبل سقعة جداً، قعدت على السرير وفتحت الظرف، وقرأت العنوان اللي مفروض هعمل فيه التحقيق *جبل الخالدين*، قولت بصوت عالي ... لا لا ده أنا لسه قاري عنها علي النت من كام أسبوع، ودي أنا هعمل تحقيق فيها عن إيه! عن سر أعمال السكان بتوعها، ولا عن صفاء بشرة الستات اللي هناك!!

في عز الإرهاق والغضب اللي كنت فيه، طلعت موبايلي وفتحت نت، وكلمت زميلي في الشغل، وقالي ...

- اقرأ للآخر، أكيد احنا مش باعتينك عشان تغطي التفاهات دي..

- ماشي هقرأ، وربنا يسهل ويعدي التحقيق ده على خير .

قفلت معاه، وحسيت إني خلاص مش قادر أفتح عينيا، أو أصلب طولي حتى، فردت جسمي على السرير وشديت عليا الغطا، وسيبت التقرير جنبي على الكومودينو...

كنت ماشي في شارع ضيق، وسامع صوت غريب ورايا، كل شوية كنت بالتفت مالقيش حاجة، وفجأة لقيت تعبان كبير قدامي، ماعرفش ده جه إزاي أو امتى، بلعت ريقي بصعوبة وكنت لسه هلف وأجري لقيت حاجة بتلمس رجلي، بصيت بسرعة لقيت ديل التعبان بيلف عليا، ماحاولتش أقاوم رغم إني خايف ومرعوب، كمان كان بيلف على جسمي ويعصره، وفجأة رفعني من على الأرض فوق أوي وسابني، كنت بقع وأنا بصرخ من فوق لحد ما وصلت للأرض، واتخبطت و..

***

فتحت عينيا من الخضة لقيتني واقع على الأرض، مسكت راسي اللي اتخبطت وقولت لنفسي ..

- ده كابوس رخم أوي كده ليه؟!

اتعدلت على السرير، وحاولت أكمل نوم بس خلاص النوم كان طار من عيني، مديت إيدي وسحبت الظرف، وبدأت أقرأ بتمعن ولما خلصت الورق كله سألت نفسي هو اللي مكتوب ده ممكن يكون حقيقة! لو حقيقة فأنا مطلوب مني أأكدها، ولو كدب مفروض عليا أكشفه، أنا عارف إنها هتبقى خطوة مهمة في حياتي، ماكنش هيبقى تحقيق العمر اللي هيفتحلي أبواب الجنة، فضلت قاعد على السرير ماعرفش أنا روحت في النومتاني امتى او إزاي ؟

بس صحيت الصبح على خبط على باب الأوضة، ولما فتحته كان فيه حد من الروم سيرفس بيتكلم معايا بلغة غريبة، ماكنتش فاهمها فين وفين لما جابلي صاحبه اللي بيتكلم انجليزي، وفهمت منه إنه بيسألني على الفطار لو كنت هاكل في الاوضة او هنزل المطعم، بلغته إني هنزل افطر في المطعم، دخلت خدت شاور وجهزت شنطتي الضهر؛ عشان هفطر وأطلع على المكان اللي مفروض أعمل عنه التحقيق، اتأكدت إن الكاميرا بتاعتي شغالة تمام، والباور بانك معايا وحطيت الظرف في الشنطة ولبست ونزلت، فطرت ووقفت مستني الدليل اللي هيوصلني للمكان، ويفضل معايا يترجملي اللي بيحصل حواليا، لما الدليل جه ركبت معاه عربية صغيرة كده وشكلها غريب، وبعد فترة قالي...

- ده آخر العربية، بقية الطريق صعب نكمل عليه بيها .
- فاضل كتير طيب؟
- لا مسافة خمستاشر كيلو فقط.
- فقط! يلا بينا علي البركة، هو تحقيق باين من أوله.

دي أول مرة أندم فيها على شغلي، ما أنا لو كنت دخلت تجارة كان زماني قاعد على مكتب في التكييف وشغال في بنك، لازم روح المغامرة تمسك فيا أوي، بعد طريق طويل شوفنا السور بتاع المكان اللي اسمه *وادي الخالدين*، فالدليل وقف وقال...

- أستاذ كريم، المكان ده بيسكنه قبيلة اسمها *هونزا*، وأكيد انت عارف إن اعمارهم طويلة وصحتهم كويسة، مافيش حتى دكتور في المكان ده خالص.

- آه، قرأت عن المكان وسكانه قبل كده .
- طيب استناني هنا، هعمل حاجة وراجع .
- تمام .

الدليل اختفى، عدت نص ساعة وهو مارجعش، فضلت واقف مكاني مستنيه أكتر من ٣ ساعات، ولما حسيت إن اليوم هيضيع مني بصيت للمدينة، وقررت أدخل أعمل التحقيق لوحدي من غير مترجم، أنا كويس في الإنجليزي، وأكيد هلاقي حد جوه بيتكلم نفس اللغة .

قربت منها، كانت أسوارها ضخمة وعالية أوي ولونها أبيض، وقفت قدام البوابة وبصيت حواليا، كل اللي كانوا موجودين يا هنود يا باكستانيين، غمضت عينيا ودعيت وقولت: يا رب سخرلي واحد من وسط الناس دي كلها، يكون بيتكلم انجليزي حتي لو مكسر .

دخلت على البوابة فوقفوني، وبدأوا يتكلموا معايا بلهجة غريبة أنا مش فاهمها، فرديت عليهم بالإنجليزي، وعلى الأغلب هما كمان مافهموش لأنهم زقوني بعيد عن البوابة، واتعاملوا معايا بأسلوب غريب، بس فيه واحد جه من بعيد واتكلم عليهم، وشاورلهم عليا، وبعدين سابهم وجه وقف جنبي، ومد إيده وساعدني أقف على رجلي، وقالي بالإنجليزي...

- أنا هساعدك تدخل المدينة على إنك حد قريبي وجاي تزورني، بس ده هيبقى في مقابل مبلغ من الدولارات، هاخدهم منك أول ما تدخل بأمان.

بصيتله بغيظ بس وافقت رغم إني عارف كويس إنه بيبتزني، الراجل ده القشة اللي هتنجدني وهتدخلني المدينة؛ عشان أخلص شغلي وانجز وأرجع مصر علي خير.

شاورتله براسي وقولتله...

- موافق، بس انجز وخلص يلا؛ عشان مافيش وقت.

سابني وقرب من الحراس، فضل يتكلم معاهم شوية وبعدها بصلي وشاورلهم عليا، عدت ثواني وأنا ماسك قلبي بايدي، وفجأة شاورلي أقرب، وبدأ يكلمني بالإنجليزي قدامهم على إني ابن عمه اللي مولود في بلد أوربي، وجاي اباركله عشان أخوه الصغير هيتجوز قريب.

عدوني من البوابة من غير ما يشوفوا ورق أو يفتشوني، كنت مستغرب من تصرفهم ووشهم اللي اتعكس ١٨٠ درجة، كانوا مبتسمين في وشي ودي حاجة كانت مخوفاني، لما عدينا البوابات وقف ومد ايده وقالي ...

- هات الفلوس اللي اتفقنا عليها.

- هو أنا هطير، اتفضل.

مديت إيدي في المحفظة، وسحبت منها ورقة ب ١٠٠ دولار وناولتهاله، بصلي من فوق لتحت وقالي ...

- هتروح فين دلوقتي؟

- هتمشى في المكان، وآخد كام صورة وأخرج .

- مش هينفع ..

- ليه؟

- أنا قولتلهم إنك قريبي، وجاي عشان فرح أخويا، فمش هينفع تمشي غير بعد الفرح.

- طيب والفرح ده امتى ؟

- كمان سبع ليالي .

- يعني أنا مجبر أقعد هنا أسبوع ؟

- بالظبط كده.

- وهقعد أعمل إيه ؟

- انت هتحضر الفرح، تشوف عادتنا وتقاليدنا يمكن تشبع فضولك اللي جابك لغاية هنا.

- أنا مش فضولي، ومش جاي هنا بمزاجي .

- أومال جاي ليه؟

- شغل .

- عادي كلهم بيقولوا كده، السبب اللي انت جاي فيه مايخصنيش المهم هتقعد معانا ٧ ليالي .

- ماشي، خلاص موافق.

حط الفلوس في جيبه، ومد ايده تاني فبصتله باستنكار وقولتله ...

- إيه، أنا لسه مديك الفلوس .

- دي كانت عشان أدخلك، إنما مفروض تدفع تاني عشان السكن والأكل والشرب، وكمان هبقالك دليل زي ضلك، همشي معاك وأعرفك كل حتة في الوادي.

- أنت استغلالي أوي.

- أبقي عبيط لو جاتلي الفرصة لحد عندي ومستغلتهاش .

- خلصني عاوز كام ؟

- هات ١٥٠ دولار .

- ١٥٠ دولار إيه؟! ليه نازل في فندق في مومباي.

- انت ماعندكش رفاهية تعترض على، السعر اللي بقوله , اقولك هات ١٠٠ دولار وخلاص، مديت ايدي تاني وطلعته ١٠٠ دوولار نتشها من إيدي، وابتسم وقالي...

- دلوقتي تقدر تناديني بسهيل، ده اسمي .

- ماشي يا سهيل.

- إيه اللي ماشي يا سهيل؟! انت اسمك ايه؟

- اسمي كريم .

- طيب يلا يا كريم عشان نروح على البيت لأن خلاص الوقت خدنا والشمس قربت تغيب.

- وايه يعني لما الشمس تغيب!

- مابنخرجش بالليل من بيوتنا.

- نعم، أنا مقرأتش حاجة زي دي على النت.

- مش كل اللي علي الانترنت عننا تصدقه، ولا كل اللي هتشوفه هنا هتلاقيه علي النت .

انت بتدوخني معاك ليه؟

- تعالى بس نروح البيت، وهناك هحكيلك علي كل الحاجات اللي عاوز تعرفها.

- ماشي يلا بينا .

مشيت وراه، المدينة كل بيوتها باللون الأصفر، وأبوابها باللأحمر، ناديت علي سهيل وقولتله ...

- قولي يا سهيل هو انتوا معلمين البيوت هنا إزاي، مش بتتوهوا وتدخلوا بيوت بعض، ده البيوت كلها في الوادي نسخة واحدة.

ضحك وكمل في الطريق من غير ما يرد عليا، وبعد شوية وقف وبصلي، وبعدين شاور علي بيت في وسط البيوت، وقالي ...

- ده البيت بتاعنا، احنا هنا حافظين الشوارع والبيوت وأصحابها، يعني ماحدش بيتوه .

- بس ليه اللون الأصفر والأحمر بس؟ ليه مش أبيض ولا لون تاني؟

- عشان الأصفر ده رمز للشمس، والأحمر رمز الحياة، بص هي تفاصيل خاصة بقبيلتنا، انت مش هتفهمها فماتشغلش بالك بيها .

- ماشي.

دخلت البيت مع سهيل، حسيت لوهلة إني داخل قرية مصرية قديمة، شاورلي واحنا على الباب على اتنين عواجين قاعدين علي السلالم وقالي: دول جدي وجدتي، قرب منهم وباس ايديهم، وبصلي وشاورلي، فقربت منهم وعملت نفس اللي عمله، فضلوا يتكلموا شوية وبعدين ابتسموا في وشي، وسهيل جه وقف جنبي، وقالي ...

- أنا قدمتك ليهم على إنك شخص هشتغل معاه بره الوادي بتاعنا، وعازمك على فرح أخويا .

- علي البوابة قولت إني قريبك، ودلوقتي بتقول جايبلك شغل، هو انت مش خايف تتكشف.

- أنا بقلب عيشي، اللي على البوابة مش باكستانيين، فمايعرفوش عاداتنا وتقاليدنا، إنما جدي وجدتي عارفين إني ماليش عمام أصلا، يلا عشان ناكل.

دخلت البيت معاه، الناس كلها كانت لابسة نفس اللبس التقليدي اللي سهيل لابسه، وهو قريب جدا في الشكل من اللبس الهندي، مافيش اختلاف كبير بين الهند وباكستان رغم الحروب اللي كانت بينهم إلا إن التقاليد وكل حاجة تكاد تكون متشابهة .

قعدت على الترابيزة، ووالدة سهيل رحبت بيا، وقدمتلنا الأكل اللي كان طعمه مريع بجد، بس الجوع خلاني اكل اللي قدامي من سكات، أول ما خلصت حسيت إني دايخ، فسهيل قالي...

- احنا بس عشان بنستعمل بهارات كتير في الأكل، وانت مش متعود علي كده.

- عايز أنام، مش قادر .

- تعالى ورايا .

حاولت أشيل الشنطة بتاعتي، بس وقعت مني، لف سهيل وشالها عني، وقالي: يلا عد الجمايل دي، وصلنا الدور التاني، فتح باب أول أوضة ودخل فدخلت وراه، كانت أوضة بسيطة جدا وتفاصيلها هادية، سرير ودولاب صغير وترابيزة وبرواز متعلق علي الحيطة، حط الشنطة على الأرض، وقالي ...

- نام بقى وارتاح براحتك، وانا هاجي عشان أصحيك الصبح .

ماستناش اني أتكلم، سابني وخرج وقفل الباب وراه، لفيت في الأوضة، لكن فجأة باب الأوضة اتفتح فاتخضيت، لقيت سهيل مدخل راسه من الباب وبيقولي...

- ماتخرجش من الأوضة يا كريم مهما حصل غير الصبح.
- ليه يعني ؟
- هفهمك بكره.
- طيب.. أنا أصلا هموت وانام.
- تصبح على خير .
_ وانت من اهله .

قفل الباب ومشي، وأنا فتحت شنطتي وبدأت أكتب اللي حصل معايا، وطلعت تيشرت بدلت هدومي ونمت ...

كنت حاسس إن فيه ايادي كتيرة بتضغط على رقبي وبتخنقني، ماكنتش عارف أتحرك ولا أصرخ حتى، فتحت عينيا بصعوبة لقيت قدامي حاجة سودة ضخمة ليها أنياب وعينيها حمرا، كانت بتقرب من وشي، ريحة الشيء ده كانت وحشة أوي، جسمي كانت بيتنفض، ماكنتش عارف أتنفس، بس فجأة حسيت المكان كله بيتهز من حواليا، وسمعت صوت بيقول...

- اقتلوه يا أهلها ..

اتلفت حواليا بخوف لقيتني واقف في ساحة واسعة، وناس بتخرج من كل الشوارع وجايين ناحيتي، كنت شايف البوابة , طلعت أجري عليها عشان أخرج من المكان ده بس فجأة البوابة اختفت، الناس كانت بتقرب مني، وعايزة تقتلني لحد ما حد فيهم

مسكني وهزني جامد، غمضت عينيا وأنا عارف إني خلاص هموت، بس فجأة سمعت صوت مألوف ...

- اصحى يا كريم، النهار طلع .

فتحت عينيا بخوف، كنت في الأوضة، وسهيل واقف قدامي ..

- كل ده نوم! يلا عشان نفطر واخدك جولة في الوادي .

- أنا شوفت كابوس وحش أوي .

- ماتحكيش اللي بتشوفه في أحلامك لا يتحقق، خلي اللي شوفته جواك انت وبس .

- حاضر.. حاضر .

- يلا بقى، البس وتعالي ورايا .

لبست هدومي ونزلت وراه، كان قاعد مع جدته اللي بصتلي بصة غريبة، واتكلمت مع سهيل بكلام غريب أنا مش فاهمه، بصيت لسهيل واستنيته يفهمني اللي بيحصل، بس هو اتعصب على جدته واتخانق معاها وبصلي وقالي تعالي ورايا، خرجنا من البيت وهو متضايق، وقفته وسألته ...

- فيه إيه مالك ؟

- مافيش، جدتي بتقولي إنها حاسة اني بكدب عليها، وانك غريب ومافيش بيني وبينك شغل.

- وهي عرفت منين ؟

- ستي تقدر تقول مكشوف عنها الحجاب، زي ما بتقولوا عندكم كده.

- طيب، وهتعملي مشاكل؟

- لا، طبعاً .

تعالى هفطرك بره البيت النهاردة، قضينا طول اليوم برة البيت بنتحرك من هنا لهنا، أماكن كتيرة ماكنتش أعرف عنها حاجة، ولا اتخيل انها موجودة أصلاً، النهار كان قرب يخلص، الناس كلها كانت بتتسابق عشان تدخل بيوتها، سهيل شدني من ايدي وقالي...

- خلاص النهار خلص، يلا بينا نروح دلوقتي.

- بس أنا مش عايز أروح دلوقتي، احنا لسه بدري.

- ماينفعش.

- ليه ؟

- تعالى نروح، وهحكيلك.

رجعنا البيت وقعدنا في الحتة الواسعة اللي جوه السور، وقولتله...

- فهمني بقى إيه حكاية البلد دي مع النهار؟ وليه ماحدش بيطلع بالليل!

- بص يا كريم، تقدر تقول إن مش احنا لوحدنا اللي ساكنين في الوادي ده .

- يعني إيه ؟

- فيه أسطورة قديمة في ثقافتنا بتقول...

إن الإنس والجن عقدوا اتفاق بينص على ان المدينة بالنهار للانس، وبالليل للجن، واللي بيخالف الاتفاق ده بيختفي .

- طيب وحد فيكم شاف الجن في شوارع وادي الخالدين بالليل ؟

- لا , بس ..
- بس ايه؟
- احنا ملتزمين بالاتفاق اللي جدودنا عملوه مع الجن .

جدة سهيل نادت عليه فسابني ودخلها، وأنا حسيت ساعتها إنها فرصة مناسبة أوي عشان أتأكد من كلامه، ولو طلع صح أهو هاخد كام صورة تنفعني للتحقيق، اتسحبت لحد ما طلعت من البيت، وفضلت أمشي في شوارع الوادي اللي كان فاضي خالص، الدنيا فيها ماكنتش ضلمة أوي، كان فيه نور ضعيف متسرب من العواميد الطويله اللي كان شكلها غريب أوي، فيه منها اللي كان علي هيئة حيوانات، واللي كان علي هيئة طيور، وفيه منها اللي كان على هيئة بني ادمين، حسيت بالخوف ساعتها وقلبي اتقبض، مشيت بسرعة في الشوارع بلف بعينيا على بيت سهيل، بس كل البيوت كانت شبه بعضها، كنت حاسس إن فيه خيالات بتمشي ورايا، بس لما كنت بقف وألتفت ماكنتش بلاقي حاجة خالص، وفجأة سمعت صوت خطوات بس قبل ما ألف أشوف مين ده حسيت بخبطة نزلت علي دماغي من ورا خلتني دايخ، ومش قادر أفتح عينيا ...

كنت حاسس بوجع فظيع في دماغي، فتحت عينيا بصعوبة لقيت سهيل واقف جنبي، كان باين على وشه انه مضايق مني، قومت وقعدت وقولتله...

- أنا آسف، الفضول صعب يا سهيل .
- احمد ربنا إنها جت لحد كده، وياريت تسمع كلامي الأيام اللي جاية، لولا إني لحقتك كان زمانك في خبر كان.

- طيب عندي سؤال..

- إيه هو؟

- العماويد بتاعة النور ليه عالية، وواخدة أشكال حيوانات وطيور، وبشر.

- مافيش الكلام اللي بتقوله دي عواميد من خشب عادي؛ عشان تطرد الأرواح الشريرة من الوادي .

طلعت الكاميرا، وقولتله...

- تعالى قرب وأنا هثبتلك كلامي، أنا خدت كذا لقطة سريعة وحفظتها على الكاميرا، هوريك كل حاجة.

فتحت الكاميرا، وجبت الصور ومديتله إيدي بيها عشان يتفرج، بس هو فضل يضحك عليا بطريقة مستفزة، فقولتله بغضب...

- إيه يا ابني! بتضحك كده ليه؟

- أصل اللي في الصور عماويد الخشب العادية اللي أنا عارفها، مافيش اللي بتقول عليه ده لا أشكال حيوانات، ولا حاجة غريبة فيها.

- ماشي خلاص، تمام يا سهيل .

- هنزل اجيبلك الأكل لحد هنا.

- لا أنا مش جعان، أنا عايز أنام.

- تمام يا كريم، لو احتاجت حاجة أنا في الأوضة اللي جنبك .

خرج وقفل الباب وراه، مسكت الكاميرا وبصيت في الصور لقيتها فعلا صور عماويد خشبية عادية، ماكنتش فاهم اللي

بيحصل عشان كدة فتحت النوت بوك بتاعتي، وبدأت أكتب كل المعلومات والحاجات اللي عرفتها عن المدينة، بس وأنا براجع اللي كتبته حسيت إن فيه حلقة وصل ناقصة، وإن الكلام اللي اتقالي من أول ما دخلت هنا مش كل الحقيقة، تاني يوم صحيت بدري ولبست وفضلت قاعد في انتظار سهيل، ولما جالي طلبت منه ياخدني في جولة في بقية الوادي، كان معارض شوية بس بعد إلحاح كتير، وتهديد مني إني هسيب البيت وأخرج لوحدي وافق، بس المرة دي اداني هدوم من عنده ورفض يخرج معايا بلبسي اللي جاي بيه، وافقت وبدلت هدومي بسرعة، ونزلت ابتسمت لجدته اللي قابلتني بابتسامة باهتة، وفضلنا طول النهار من هنا لهنا لحد ما سهيل قالي...

- يلا عشان لازم نروح بقي.

- روح لوحدك، أنا مش عايز أروح، وهفضل في الشارع لحد ما أعرف فيه جن فعلاً بيخرج في الشوارع بالليل، ولا دي خرافة وأساطير.

- وانت هيفرق معاك إيه ؟ ماتخلنيش أندم إني دخلتك الوادي هنا.

- لو خايف روح انت .

- ماشي هروح وانت خليك في الشارع، بس مهما حصلك مش هشيل ذنبك.

مشي سهيل واختفى بين البيوت، بصيت قدامي وقررت أكمل لف في المدينة لحد الفجر عشان أكتشف الحقيقة، الإضاءة في الشوارع كانت ضعيفة، كنت سامع صريخ حيوانات جاي من

العواميد وأحياناً أصوات استغاثة بشر، فجأة النور اللي في الشارع اللي كنت فيه بقى بيقيد ويطفي بشكل هيستيري، ومرة واحدة قطع والشارع كلة بقي ضلمة، سمعت صوت طبول بتندق، كنت بلف حواليا بهستريا عشان أعرف الصوت ده جاي منين، بس لفت انتباهي النار اللي كانت بتظهر في الجو وتقرب مني وقبل ما تلمسني تختفي، كنت خايف وبلعن اليوم اللي كذبت فيه سهيل، واتنططت عليه وقولتله يمشي، فجأة سمعت صوت خطوات ولقيت واحدة معاها كشاف بتقرب مني، كانت ست عجوزة بس ماشية عادي جداً، كل ما كانت بتقرب مني كنت بحس ان جسمي كله بيتنفض، لحد ما وقفت قدامي واكتشفت انها جدة سهيل، أنا من أول ما جيت الوادي ده وأنا كل اللي بشوفهم فيه عواجيز، وناس كبيرة في السن بس صحتهم كويسة أوي وبيشتغلوا زي الشباب، ركزت في ملامحها اللي كانت الضلمة عملالها هيبة، واتصدمت لما بصيت علي الأرض، ولقيت رجليها واحدة سليمة والتانية علي شكل رجل حمار، بلعت ريقي بصعوبة، كنت خايف وفضلت أرجع لورا لحد ما اتخبطت في باب بيت من البيوت اللي كانت موجودة ورايا، وفجأة باب البيت اتفتح وحد سحبني جوه وقفل الباب، الدنيا كانت برد وضلمة، مش عارف مين اللي أنقذني، بس سمعت صرخة جنبي جمدت الدم في عروقي وخلتني أفقد وعيي..

فوقت بعدها بفترة، وأنا حاسس إن جسمي كله مدغدغ، بصيت حواليا لقيتني نايم في نفس الاوضة، يبقى سهيل مافيش غيره اللي انقذني، بس أنا شوفت جدته امبارح كانت رجلها ...

فتحت الشنطة وطلعت النوت بوك، وكتبت كل اللي حصل، ولما سمعت خبط علي باب الأوضة حطيت كل حاجة في الشنطة، ومثلت إني لسه صاحي، سهيل دخل وقفل الباب وراه وقالي ..

- النهاردة هوديك مكان مش هيخطر علي بالك.

- هو إيه اللي حصل امبارح ؟ أنا رجعت هنا ازاي؟

- رجعت معايا، هتكون رجعت ازاي !

- مش انت مشيت وسيبتني ؟

- لا ماحصلش، أنت كنت مرهق، وماكملناش لف ده احنا حتى رجعنا بدري .

- يعني كل اللي كنت فيه ده كان حلم؟

- ماتحكيش، احتفظ بأحلامك لنفسك.

نزلت معاه وبدأنا نلف في الشوارع، لحد ما عديت على نفس المكان اللي جدة سهيل ظهرتلي فيه، بصيت حواليا بخوف، وحسيت إنه ماكنش مجرد حلم، غمضت عينيا وشوفت اللي حصل بيتعاد قدامي، بس الفرق إني كنت سامع صريخ جدة سهيل بعد ما انقذني منها، وشدني جوه البيت، كانت بتقوله...

- لازم يموت.. هلاك قبيلتنا هيبقى على ايده .

- مش هفتح ومش هسيبك تأذيه، ده البشري الوحيد اللي عاملني صاحب ليه.

- احنا لما سمحنالك تدخله الوادي كان عشان تتسلى وتخلص منه، لكن واضح إنك حبيت اللعبة، وعايز تكمل فيها .

ماكنتش فاهم اللي بيحصل، وقعت على الارض وبصيت لسهيل اللي قرب مني بخوف، وقالي ...

- فيك ايه؟
- أنت مين ؟
- سهيل يا كريم..
- جنسك ايه؟
- مممممم، انت عرفت ؟
- انطق! أنت مين ؟
- جن .
- وأهل الوادي؟
- فيه منهم الجن، وفيه منهم البشر، لكن البشر فيهم مالهمش أمان، ممنوع علينا الاختلاط معاهم، وعلى فكرة أنت مش عادي .
- يعني إيه مش عادي ؟
- كراماتك سبقاك .

لما شوفتك بتبصلي ومركز معايا عرفت إنك تقدر تشوف الجن، عشان كده دخلت الوادي، كنت ناوي اتسلى بيك واسيبك زي باقي المجاذيب، لكن أنت وفي، وأقدر أجبلك عهد إنك تعيش وسطنا من غير ما يمسك أذي.

- أنا أكيد بحلم، صح؟
- لا دي حقيقة، احنا موجودين في اي مكان ولينا بيوت وقبائل زينا زيكم، وبيوتنا قريبة منكم وبناكل من أكلكم.
- أنت بتتكلم كده، ومش خايف إني أروح أحكي اللي حصل هنا؟

- ومين هيصدقك إنك كلمت جن وسابك عايش، أبسط سؤال يسألوهولك إزاي، هتقولهم ايه، هتعترفلهم بحقيقة إنك وارث كرامات عن أمك اللي كانت ممسوسة، وهي حامل فيك ...

فجأة جدته ظهرت من وراه، وقالتلي بلهجتي ...

- امشي يا ابن العطارين.

حسيت بهوا جامد بيخبط في وشي، غمضت عينيا ولما الهوا وقف فتحتها لقيت نفسي برة الوادي، وواقف قدام البوابة، لكن فجأة حد جه من ورايا وحط ايده على كتفي، اتخضيت ولفيت بسرعة لقيته الدليل اعتذر وقال...

- آسف اني غبت كده، بس كان فيه حاجة مهمة لازم أعملها قبل ما ندخل.

- انت غبت كام يوم وراجع تقولي آسف، ازاي تختفي الفترة دي كلها من غير ما تديني خبر!

- غيبت كام يوم إيه يا أستاذ كريم ؟ ده كل الحكاية ساعتين مش أكتر..

بصيتله باستغراب وطلعت الموبايل بصيت فيه لقيت اليوم لسه ماعداش، بس أنا متأكد إن فيه حاجة غلط، أنا دخلت الوادي وقضيت فيه كام يوم ودونت ده في النوت بوك، سيبت الدليل بيتكلم وفتحت شنطتي وطلعت النوت بوك، بس اتصدمت لما لقيت الصفحات اللي كاتبها متقطعة ومكتوب في كل صفحات النوت بوك الفاضية كلمة واحدة وهي سهيل، اعتذرت من الدليل وطلبت منه يرجعني الفندق، وهناك كلمت إدارة الجريدة، وطلبت منهم يحجزولي اول تذكرة رجوع علي

مصر، ولما رجعت دخلت حكيت لرئيس القسم كل اللي حصل، فبصلي وقالي...

- من غير أدلة علي كلامك ماقدرش أنشر أي حاجة من اللي بتقولها، كبير اللي انت بتقوله ده تنشره في قسم القصص، لكن التحقيقات مستحيل يا كريم .

خرجت من عنده وأنا محبط، بس مايأستش لازم اللي عشته أوصله للناس بأي تمن .

***

استغماية

أنا فاكر يومها كنت بلعب استغماية، وجريت من العيال دخلت في بيت العطارين زي ما بيقولوا عليه، واستخبيت تحت الملاية اللي الناس بتيجي تلف حواليها، البيت ده كبير أوي ومش أي حد بيدخله، بابه دايماً مفتوح مابيتقفلش بس ماحدش بيقرب منه، ممكن خوف وممكن تقدير، ولأن ماحدش عرف أنا مستخبي فين، والمكان كان دافي أوي نمت من غير ما أحس بأي حاجة، مادريتش بالوقت، بس صحيت على صوت خبط وطبل، كان فيه كلام كتير بيتقال حواليا، ما سمعتش منه غير كام جملة..

- حي يا الله حي، مدد يا عطار مدد..

فك على زهرة بنت سالم كربها، وزيح من طريقها أي أذى وحسد... مداااااد يا عطار مداااااد

ماكنتش فاهم معني الكلام اللي بيتقال، عشان كده فضلت قاعد في مكاني خايف أخرج، جسمي كله كان بيتنفض، صوت الطبل والخبط والناس اللي كانت بتلف حوالين الكرسي الكبير اللي مغطيينه بملاية طويلة كان مخليني خايف، أنا شايف خيالات بتلف، وفجأة سمعت صرخة جمدت الدم في عروقي، وشوفت خيال من الخيالات بيقع قدامي على الأرض، لوهلة حسيت إني مش سامع غير صوت نفسي، وإن كل حاجة من حواليا

ساكتة، عينيا كانت مركزة على إيد الخيال اللي أما وقع دخلت إيده تحت الملاية، كنت حاسس إن المكان حواليا حر جداً، مافيش حاجة بتتحرك وجسمي بقى بيصب عرق، بس فجأة سمعت صوت زغاريد، شوفت الخيالات وهي بتتكاتر على الشخص اللي وقع وبيشيلوه، فيه حتة من الملاية اترفعت، فشوفت راس الشخص اللي وقع كانت ست شعرها طويل وواصل للأرض، بلعت ريقي بخوف، أيوة كنت خايف حد يشوفني، لكن فجأة الست اللي كانوا لسه بيشيلوا فيها فتحت عينيها، شافتني قدامها وبرقت بعينيها وبعدين غمضت، كنت خايف تقولهم إن فيه حد مستخبي بس هي باين أغمى عليها تاني، خدوها وخرجوا بيها من المكان، والأوضة بدأت تهدى، فضلت في مكاني لحد ما كل الخيالات اختفت، واتأكدت كده إن كل الناس مشيوا، اتسحبت من تحت الملاية بالراحة، وأول ما طلعت من تحتها بصيت على المكان بسرعة، كل حاجة في الأوضة كانت متبهدلة أوي لحد عيني ما وقعت على الملاية اللي كنت مستخبي تحتها، لقيت عليها.....

***

دماغي كان تقيل أوي حاسس بخبط فيه، حاولت أفتح عينيا ماقدرتش، بس ساعتها سمعت صوت أمي اللي كان قريب أوي من ودني، باست إيدي وقالت...

- حمدالله على سلامتك يا كريم.

حركت إيدي وحطيتها على عينيا؛ عشان أشوف مش قادر أفتحها ليه، لقيت فيه حاجة محطوطة على عيني، أمي شالتها بسرعة وفتحتها، النور كان جامد فخدت وقت على ما قدرت

أشوف كويس، طلبت من أمي تساعدني عشان أقعد، ولما قعدت بصتلي وقالتلي...

- شوفت جرالك إيه؟! عشان تبقى تجري وتتنطط كويس.

- إيه اللي حصل؟ أنا جيت هنا ازاي؟

- انت مش فاكر أي حاجة؟

- لا مش فاكر، بس حاسس بصداع يا أمي.

- طيب، حاول ترتاح.

- طيب قوليلي أنا جيت هنا إزاي.. أنا آخر حاجة فاكرها إني كنت بلعب مع صحابي استغماية، وبعد كده صحيت هنا دلوقتي..

- كنت بتلعب استغماية صح، بس استخبيت فين؟ ماحدش كان عارف، صحابك قلبوا عليك البلد، وشافوك وهما راجعين وانت مرمي قدام سلالم بيت العطارين، فجابوك جري على البيت، عملتلك كمادات عشان كان عندك حرارة، وفضلت سهرانة جنبك طول الليل، مارضتش أحكي لأبوك حاجة، وقولتله إن عندك دور برد عادي، هو أنا مش قولتلك ما تلعبش تاني في الشارع؟

- آسف، أنا آسف يا أمي، مش هكررها تاني.

اعتذرتلها وأنا من جوايا حاسس إني تايه، وفضلت قاعد بحاول أفتكر بيت العطارين، إيه اللي وداني عنده، كان فيه حاجات بتدخل وتخرج في دماغي..

أصوات كتيرة وصور، ولقطات بتتعرض قدام عيني حاسس إني عيشتها، بس ماكنتش فاهم أي حاجة، الصداع كان بيزيد، وقلبي كمان كان بيدق جامد أوي.

أمي حطت إيدها على كتفي، فاتخضيت وبصيت لها لقيتها بتقولي...

- سرحان في إيه؟ أنا كام مرة أقولك أحضر لك الأكل، وانت مش معايا خالص؟

- ولا حاجة يا أمي، أنا بس مش فاكر غير إني كنت بلعب مع صحابي استغماية، آه حضري الأكل.

- تلاقيك كنت واقف قدام البيت، وخبطت في حد فوقعت ولا حاجة.

سابتني وخرجت، كنت محتار مش فاهم حاجة ولا فاكر أي حاجة حصلت أصلاً، وقتها كان عندي ١١ سنة تقريباً، كنت قاعد متضايق لحد أمي ما دخلت بصينية الأكل، وبدأنا ناكل أنا وهي، ولما سألتها عن بابا قالتلي إنه كان نايم شوية، وبعدين خرج يقعد مع صحابه على القهوة اللي جنب البيت، كلت وأمي جابتلي كوباية عصير، وفضلت قاعدة جنبي لحد راسي ما بدأت تتقل، فسابتني وخرجت وأنا ساعتها شديت عليا الغطا جامد ونمت...

كنت بردان أوي وجسمي بيتنفض، حاولت أصحى أجيب غطا تاني؛ عشان أتدفى بس لقيت نفسي مش عارف أتحرك، كنت محبوس في مكان ضيق أوي، مش عارف أتحرك، فضلت أصرخ وأنادي على أمي، بس ماكنش فيه أي رد، وفجأة سمعت صوت جنبي بيهمس وبيقول...

- يا كاااااريم.

بصيت حواليا، وأنا مرعوب..

- مين؟ أنت مين؟

- ياااااكرييييم.

قولت بصوت مبحوح، وأنا خلاص منهار وبعيط..

- مين؟ مين بقي؟

- أنا اللي مش هتعرف تهرب منه، أنا هنا معاك حتى بعد ما أغمى عليك في بيت العطارين.

بلعت ريقي وقولت بخوف...

- بيت مين! أنا مادخلتش بيت العطارين.

- لا دخلت وحضرت الجلسة، وبما إنك حضرت فلازم تموت يا كريم، وأبوك هيدخل عليك الصبح يقولك....

***

صحيت من النوم وأنا مش قادر آخد نفسي، صدري كان طالع نازل، المكان اللي كنت فيه كان غرقان في الضلمة، مديت إيدي أشوف أنا فين؟ حمدت ربنا لما لقيت الموبايل، ونورت كشافه وبصيت حواليا ولقيتني في أوضتي، ارتحت شوية وبدأت اهدى، سمعت صوت رزع الباب فاتنفضت من على السرير ووقفت، بعدها سمعت صوت خطوات بتقرب من اوضتي، هو مين ممكن يكون داخل بيتنا الساعة أربعة الفجر، مالحقتش أفكر كتير، الباب فجأة اتفتح وشوفت أبويا واقف قدامي، امي صحت من النوم على صوت الباب، لقيتها جاية وراه وبتقوله...

- مالك يا أبو كريم؟ اتأخرت ليه بره؟

فضل باصصلي شوية وساكت، وبعدها بصلها وقالها...

- روحي حضري شنطة ابنك، لمي كل هدومه وكل حاجته في شنطة.

- ليه؟ إيه حصل؟

- اللي حصل كتير، بس مافيش وقت للكلام؛ هو لازم يمشي من هنا، ومايرجعش تاني أبداً مهما حصل.

وقفت قدامه باستغراب وضعف، وقولتله بقلة حيلة..

- ليه يا بابا؛ أنا ماعملتش حاجة.

نزل بكف إيده على وشي، ماكنتش عارف أنطق، حطيت إيدي على وشي، ونزلت راسي في الأرض، ودموعي خانتني.

أمي جريت بعدته عني، وحضنتني وهي بتزعقله وبتقوله...

- ده عيل.. هيكون عمل إيه عشان تمد إيدك عليه؟

- جهزيله الشنطة وانجزي، وانت اصحى واغسل وشك، والبس عشان هتمشي دلوقتي.

- هروح فين يا بابا؟

- هتعرف في المحطة، يلا البس مافيش وقت.

أمي لمت كل هدومي، وحطتها في شنطة، وأنا دخلت الحمام ولبست، شال الشنطة وخرجنا من البيت، كنا ماشيين في الشارع وهو عينه رايحة على الشارع بيراقب فيه حد ولا لا، وصلنا المحطة أول قطر بيعدي من عندنا ٥ وربع، قطعلي تذكرة وقالي...

- هتنزل آخر الخط، وهناك هتلاقي اللي يعرفك وهياخدك يتاويك.

- يتاويني من إيه؟ أنا رايح فين؟ ومين هيقابلني؟
- مافيش وقت، هيقلبوا عليك البلد كمان ساعة، لازم تختفي.
- هما مين؟
- انت أدرى!!
- يا بابا أنا مش فاكر حاجة، ولا عارف إيه حصل.
- امشي يا كريم، امشي وماترجعش، ولو في العمر بقية هنتقابل يا ابني.

القطر جه وركبت وأبويا فضل واقف لحد ما القطر بدأ يتحرك، كانت آخر مرة أشوفه، ولو كنت أعرف ساعتها إنه احتمال يتأذى بسببي ماكنتش مشيت وسيبته، طول الطريق كنت بفكر وبقول لنفسي ...

إيه ممكن يكون حصل لكل ده؟ ده بيقولوا حتى إنهم لقوني مغمى عليا قدام بيت العطارين مش جواه يعني!

كان قلبي مقبوض بدرجة عمري ما تخيلت إني أمر بيها، كنت حاسس إن كل الناس اللي راكبة معايا في القطر بيبصولي بصات غريبة، وكأنهم عارفين إني الولد اللي لقوه قدام بيت العطارين، داريت وشي في الشنطة اللي كانت على رجليا لحد ما وصلت آخر محطة، وكل اللي في القطر نزلوا، فنزلت أنا كمان، وأول ما حطيت رجلي على رصيف المحطة حسيت إني اتنقلت لعالم تاني مليان ناس أكتر من بلدي بأضعاف..

مكان واسع عينيا الصغيرة مش قادرة تجيب آخره، كنت حاسس إني تايه بجد المرة دي، فضلت ألف وأدور حوالين نفسي،

وأنا شايف ناس بتركب القطر وناس بتنزل منه، والبياعين اللي صوتهم عالي، وكمسري القطر اللي ماسك كوباية الشاي وفي بوقه سيجارة، حسيت إن فيه دنيا برة بلدنا ماحدش يعرف عنها حاجة، وفي وسط كل ده حسيت بإيد بتتحط على كتفي، وسمعت صوت بيقول...

- ماتخافش يا كريم، البلد هنا أكبر بكتير من بلدكم، مع الوقت هتتعود.

لفيت بسرعة عشان أشوف مين اللي عارفني ده، كان راجل غريب لابس قميص وبنطلون شبه اللي بشوفهم في تليفزيون القهوة، ضحك وقالي...

- يلا بينا من هنا، أنا عارف إن جواك أسئلة كتيرة، بس مش ده الوقت المناسب، ولا المكان اللي ينفع أجاوبك فيه على كل اللي بيدور في دماغك.

وصلنا لبيت كبير كان كذا دور، ساعتها بصلي وقالي ...

- انت هتعيش معايا هنا، أنا قاعد في الدور التالت، فيه واحد عند مدخل البيت أول ما شافنا جرى علينا وشد مني الشنطة، كنت لسه هجري وراه، لكن الراجل اللي جابني من المحطة مسكني من كتفي وقال...

- اهدى، فيه حاجات كتير هتتعلمها بقعدتك معايا، أولها إن الراجل ده البواب بتاع العمارة، كل ما هيشوفك شايل حاجة هيجري ياخدها منك، ويطلعها قدام الشقة.

- أنا كنت مفكره حرامي، وكده يعني.

- أنا كنت زيك أول ما جيت هنا.

مشي قدامي، وقالي...

- يلا يا كريم، مش عاوز تشوف المكان الجديد اللي هتقعد فيه ولا إيه؟

أول ما طلعنا ودخلنا الشقة قفل الباب ورانا، وسابني واقف وراح قعد على كرسي وقالي...

- تعالى، أنا عارف إنك مش هترتاح غير لما تعرف كل حاجة.

وقفت قدامه، فطلب مني أقعد وآخد راحتي، وبعدين بصلي وابتسم، وخد نفسه وقال..

- أنا حسين صاحب أبوك من زمان أوي، يمكن من قبل ما يخطب أمك، كنت أنا وهو دفعة واحدة في الجيش، وفضلنا صحاب لحد النهاردة، يمكن كل فين وفين لما بنتكلم أو نتقابل، بس معزة أبوك عندي ما بتقلش، لما كان بينزل مصر كان بيجيلي ويقعد معايا، حتى من كام شهر كانت مامتك تعبانة، وجه هنا عشان يشوف الدوا اللي مكتوبلها لأنه مالقهوش عندكم.

- ده حصل حقيقي، بس أنا عمري ما سمعت أبويا بيجيب سيرتك، ولا قال اسمك حتى صدفة.

- وانت عمرك فيه كام سنة عشان تشوف قال اسمي ولا ماقالهوش، أنا على حد علمي إنك بتلعب في الشارع، ومش بترجع البيت غير متأخر، عاوز تسمع اسمي امتى وفين؟

- طيب أبويا جابني هنا ليه؟

- كل اللي أعرفه إنه كلمني امبارح متأخر، وقالي إنه هيبعتك تقعد عندي، ووصاني عليك أدخلك مدرسة وأعلمك، وماخليكش ترجع البلد دي خالص.

- ليه؟

- ماقلش سبب، بس يمكن شايف إن مستقبلك هنا أحسن .

- أو يمكن بيتاويني عندك؛ عشان المصيبة اللي عملتها.

- عملت مصيبة إيه؟

- مش فاكر أنا عملت إيه، أنا بس كنت بلعب استغماية مع كام عيل جارنا، وفجأة لقوني قدام دار العطارين مغمى عليا، وروحوني البيت فتحت عينيا وأنا مش فاكر حصل إيه؟

- بيت العطارين؟

- آه ده بيت بيعملوا فيه دقات الزار، والحاجات الغريبة بتاعتهم ده.

- هو لسه موجود؟

- آه، هو انت تعرفه.!

- لا بس باباك ياما حكالي عنه، بس يا كريم أياً كان اللي جرى، فأنا عايزك ترميه ورا ضهرك وماتفكرش فيه، وهنا هتبدأ حياة جديدة بعيد عن كل الجهل ده.

هزيت راسي وسكت، فقام وقف وخدني وراني الأوضة اللي هقعد فيها، كانت كبيرة وفيها سرير عالي ومكتب ومروحة سقف، وبعدين شوفت بقية الشقة وقالي...

- ادخل خد حمام واغسل جسمك من تراب القطر على ما أحضر الغدا..

جريت على الشنطة اللي كانت جنب الباب، وخدتها على الأوضة، وطلعت منها لبسي، وخدته ودخلت الحمام، وبعد ما خلصت طلعت اتغديت معاه، وقعدنا قدام التليفزيون، كنت حاسس إن دماغي بتيجي على جنب وعينيا بتقفل، لمحته وهو بيضحك وقالي...

- ادخل نام، انت أكيد تعبان.

سيبته ودخلت االأوض، فردت جسمي على السرير، عمري ما حسيت بالراحة دي قبل كده، نمت بسرعة من غير ما أتقلب وأفرك، ودي حاجة مش من عادتي ...

كنت نايم ومش قادر أتحرك، المكان ضلمة وبارد أوي، حاسس إن فيه حد معايا، نفس غريب في المكان، كان قريب أوي، قريب لدرجة إنه بيخبط في وشي، جسمي كله متلج وبيتنفض، وعينيا بتتحرك بسرعة في وسط الضلمة اللي ماكنش لها نهاية، كنت حاسس إن المشهد بيتعاد، آه أنا عيشت نفس الموقف ده قبل كده، بس كنت محبوس في مكان ضيق أوي، وساعتها سمعت صوت غريب، بس المرة دي الصوت ماظهرش، ماعداش ثواني وسمعت صوت عياط وصريخ، كان فيه من كل الأصوات دي صوت مميز أنا عارفه، كانت أمي بتقول..

- ماكنش يومك يا كريم، ربنا يرحمك يا ابني .

إيه ده! ثانية واحدة أنا عايش لسة ماموتش، وقبل ما أصرخ فيه إيد اتمدت، وكممت بوقي وشدتني تحت أوي، وساعتها سمعت صوت ضحك ...

- مش قولتلك يا....

***

اتنفضت من على السرير، وبصيت حواليا بخوف، وحاولت أهدي نفسي وأطمنها إنه كان كابوس كالعادة مش أكتر، صوت القرآن اللي كان جاي من الصالة طمني شوية، قومت من على السرير وخرجت من الأوضة، اتوضيت وصليت الفجر لأول مرة من غير أمي ما تغصب عليا، وبعدها كملت نوم، صحيت على إيد بتهزني، فتحت عينيا واتنفضت بخوف لقيت عم حسين صاحب أبويا واقف جنب السرير، وبيبصلي باستغراب وبيقولي...

- إيه يا كريم شوفت عفريت!! أنا جاي أصحيك عشان هننزل نشتري طلبات، وأقدملك في مدرسة قريبة من هنا.

كنت خايف، اترجيته يخرج هو ويسيبني في البيت، بس أصر وخدني معاه ونزلنا، قدملي في مدرسة، وجابلي لبس جديد وموبايل، ومدرسين في البيت عشان يساعدوني أتعلم بسرعة، والأيام هي كمان ما كدبتش خبر، عدت بسرعة البرق، مانزلتش البلد ولا مرة، وأبويا نفسه ماكلمنيش..

عم حسين بيقول إنه هو بيتصل بيه، ويسأل عليا ويطمن على أحوالي، على قد ما كان جوايا حنين إني أرجع البلد عشان أشوف أبويا، آخد أمي في حضني إلا إن أنوار المدينة كانت سرقاني

لدرجة إني خلصت جامعة واتخرجت، وبقى عندي ٢٧ سنة في ال ١٦ سنة اللي فاتوا دول..

كنت بسمع صريخ جنبي، وأصحى من النوم يبقى الصوت لسه في ودني، بس مابلاقيش حد موجود، وأوقات كنت بسمع صوت بعيد بينادي عليا ويختفي، ومرة أو اتنين شوفت خيالات بتتحرك قدامي، مع إن ماكنش فيه حد معايا في الشقة، اتكلمت مع حسين أكتر من مرة في الموضوع ده، بس هو قالي إن اللي بيحصلي ده تهيؤات مش أكتر، وإني لازم أنزل أشوف شغل؛ عشان ماقعدش لوحدي كتير، وفعلاً سمعت كلامه ونزلت دورت على شغل، وبعد مرمطة ولف كتير شغلوني تحت التدريب في جريدة مسائية بمرتب قليل، بس أهو شغل والسلام، الدنيا كانت تمام لحد ما المدير طلبني وقالي...

- عايزين نمسكك عامود الترينـد..

- يعني إيه يا فندم؟ مش فاهم!

- ببساطة هتكتب المقال بتاع كل مرة عن حاجة ترينـد وشاغلة ناس كتير .

- وأنا هجيب المواضيع دي منين؟

- انت بتسألني أنا! انتوا شباب الأيام دي بتوع النت والفيس، دور هنا ولا هنا مش هتغلب، أكيد هتلاقي مواضيع الناس بتتكلم عنها.

- ماشي يا أفندم، أي خدمة .

روحت البيت وفتحت اللاب، وقعدت أدور على التوب في الترينـد علي الميديا، لفت نظري إن الناس بتتكلم عن مسلسل

جديد ساخر، فتحت الكومنت وبدأت أقرأ، وعرفت الموضوع كله، اللي شدني أكتر إن البلد اللي المسلسل بيتكلم عنها جنب بلدي، غمضت عينيا وسرحت في الماضي.. ١٦

سنة عدوا عليا، وانا لسة مش فاكر اللي حصل في اليوم ده، لمعت في دماغي فكرة، وقولت بيني وبين نفسي ليه لا، مش يمكن التقرير ده يضرب واسمي يتعرف، أنا أدرى حد بالمكان ده، وطفولتي كلها كانت فيها، قررت أفاتح حسين وأقوله إني عاوز أنزل البلد أشوف أبويا وأمي، وأخلي موضوع التقرير ده في السكرتة بيني وبين نفسي، وفعلاً أول ما رجع من الشغل كنت محضرة الأكل اللي بيحبه ومجهز السفرة، بصلي باستغراب كده وقالي ...

- مالك قاعد زي الستات لما يبقوا عايزين حاجة كده ليه!

ضحكت، وقومت بوست راسه وقولتله...

- ولا حاجة، هنتكلم واحنا بناكل، أنا هغرف الأكل على ما تبدل هدومك.

هز راسه، ومشي يكلم نفسه، ويقول...

- أقطع دراعي إن ما كان كريم عامل مصيبة..

يمكن اترفدت..

فضلت أضحك عليه وبعدين دخلت المطبخ، طلع من أوضته لقاني مجهز كل حاجة، قعد قدامي وبدأ ياكل، مارفعش عينه من على الطبق اللي قدامه لحد ما قولتله ...

- بصراحة ومن غير لف ودوران, أنا عاوز أرجع البلد.

- بلد مين؟

- بلدي .

- بلدك ! هو انت مش وعدتني إنك هتفضل معايا وهتبقالي سند ؟!

- آه ده حقيقي، أنا مش هرجع أقعد هناك، أنا بس أمي وحشاني وعاوز أشوفها .

- اقفل الموضوع ده، وماتفتحوش تاني مافيش رجوع للبلد.

- يعني إيه مافيش رجوع ؟ هو انت هتحبسني ؟

- آه، لو لزم الأمر هحبسك.

- بس أنا عاوز أشوف أمي، أنا مش عاوز أبقى مقطوع من شجرة زيك، هنزل أجيبها معايا، وأرجع آخد سكن أنا وهي .

- قولت اقفل على الموضوع ده، وكفاية كلام فيه .

- أنا مش باخد رأيك، انت مش ولي أمري .

- لا ولي أمرك، بعد موت أبوك أنا ولي أمرك.

كلامه نزل عليا زي الحجر هدني، قعدت علي الكرسي بعد ما كنت قايم وبرقتله وقولتله...

- أبويا مات امتى؟ ماقولتليش ليه؟

- ماكنش ينفع أقولك، كنت صغير..

- ليه، هو مات امتى؟

- من بعد ما جيت هنا بكام يوم..

- ليه؟

- ماعرفش، أنا الخبر وصلني مع حد غريب .

- طيب وأمي؟

- مالها أمك؟

- عايشة مع مين؟ بتاكل وتشرب منين؟

- ببعتلها أول كل شهر مبلغ تمشي حالها بيه.

- وانت تبعتلها ليه؟! دي أمي، وأنا أولى بيها، كتر خيرك لحد كده.

- عشان جميلهم هيفضل في رقبتي لحد يوم الدين، مش هيتقدر بفلوس.

- جميل إيه؟

- دي حكايات قديمة خلصت، واندفنت تحت التراب ماتفتحهاش، وانسى البلد باللي فيها.

- أنسى البلد؟ أنسى أمي؟

سيبته ودخلت قفلت عليا الباب، وفضلت أعيط، فضلت يومين حابس نفسي مش بخرج غير للحمام، ومش باكل ولا برد على حسين، لحد ما قررت أنزل البلد غصب عن حسين، وأشوف أمي، وفعلاً جهزت شنطة صغيرة، وخدتها ونزلت من البيت وحسين في الشغل، روحت المحطة وخدت القطر من هناك، افتكرت شكلي لما رجلي لمست رصيف المحطة دي، كنت عيل صغير مايعرفش عن الدنيا حاجة، دلوقت أنا راجع وأنا شاب عارف كل حاجة، بس مش هاممني اللي حصل زمان..

ركبت القطر وكل الذكريات كانت بتعدي عليا، وأنا باصص من شباك القطر، وساند راسي على إزازه، أمي وحنيتها وصوت أبويا اللي كان بيحسسني بالأمان، وزعيقه ليا والخناق والخصام بسبب اللعب في الشارع، مسحت دموعي، وبصيت على الموبايل اللي مابطلش رن..

كان حسين اللي بيتصل، رديت عليه بس ماكنش فيه شبكة، فالخط كان بيقطع، لا هو سامعني ولا أنا عارف هو بيقول إيه، لحد ما المكالمة فصلت خالص، فدخلت التليفون، وبصيت على الطريق قدامي..

قلبي كان بيدق جامد أول ما قربت من المحطة، شلت شنطتي وقومت عشان أنزل أول ما القطر يقف، افتكرت أبويا يوم ما ركبني القطر، الخوف والحزن اللي كانوا ماليين عينيه، كان قلبه حاسس إنه هيموت، حسيتها في سلامه ونبرة صوته وهو بيوصيني على نفسي، بس كنت بكدب إحساسي، نزلت المحطة أول ما القطر وقف، كل حاجة لسه زي ما هي، مافيش حاجة اتغيرت، طلعت من المحطة ومشيت في شوارع البلد، الناس كانت بتبصلي باستغراب، أنا متأكد إن ماحدش فيهم عارفني، بس ماكنتش متخيل إن البلد ما اتطورتش خالص للدرجة دي، وصلت للشارع بتاعنا ووقفت قدام البيت، وخدت نفس ومن غير تفكير خبطت علي الباب، يأست ان حد يرد قولت يمكن مش في البيت، فخبطت على الجيران وسألتهم عنها، في الأول ماكنش حد راضي يرد عليا لحد ما قولتلهم إني كريم ابنها، ساعتها كل العيون برقت والناس كانت بتبصلي باستغراب، وسمعت ناس فيهم بيقولوا كريم رجع، ومرة واحدة حسيت بخبطة جامدة على دماغي خلتني أشوف الدنيا بتلف بيا وبعدها أغمى عليا..

لما فوقت وفتحت عينيا شوفت نفس السقف، وابتسمت رغم الوجع اللي كنت حاسس بيه في دماغي، أول ما حاولت أتحرك سمعت صوتها وهي بتقولي...

- إيه رجعك يا كريم ؟

اتعدلت وبصيتلها، قد إيه شكلها كبر وعجز، ماعرفتش أقاوم الدموع ولا أخبيها، فمسكت إيدها وبوستها وقولتلها...

- راجع عشانك، أنا ماكنتش أعرف إن أبويا مات والله..

- أبوك! هو حسين لسه مقالكش علي الحكاية؟

- حكاية إيه يا أمي ؟

-يبقي قدرك أحكيهالك أنا..

حسين يبقى عمك، كان بيحب بنت من بيت العطارين وغلط معاها، ولما راح يتقدملها رفضوه، ومع الأيام حملها انكشف وعرفوا بيه، فعزمي هرّب حسين بره البلد، وقال للعطارين إنه هجّ ومايعرفوش له طريق، العطارين قادرين وواصلين، وفيهم ناس ليهم كرامات، ومنهم اللي بيلعبوا بالبيضة والحجر وليهم في السحر، لما بنتهم ولدت حبسوها لحد ما ولدت، وخدوا منها ابنها ورموه في الترعة، وبعدها بكام يوم لقيت عزمي داخل عليا بولد حتة لحمة صغيرة، وبيقولي ان ده ابن حسين وبنت العطارين، وإننا هنربيه على إنه ابننا.

- هو اللي بتتكلمي عنه ده أنا؟

- آه، انت من نسل العطارين وابن حسين، ولما صادف وحد منهم شافك، الخادم اللي معاه عرفه إنك ابن بنتهم اللي غرقوه من سنين .

كنت حاسس بصداع رهيب، أنا مش مستوعب اللي هي بتقوله، بس في نفس الوقت حسيت إن روحي بتطلع من جسمي، كنت شايف نفسي في الأوضة إياها اللي استخبيت فيها تحت

الملاية، شوفت نفسي وأنا عيل صغير، كنت خارج بتسحب من تحت الملاية، ووقفت أتفرج على الأوضة من حواليا بفضول، لحد ما عيني جت على الكرسي، وشوفت الراجل الكبير اللي كان قاعد عليه، ساعتها هو مد إيده وأنا قربت زي المسحور وبوستها، وحد تاني جه من ورايا وخبطني على دماغي، وشالني وشكني بإبرة في دماغي من ورا بعد ما عزّم على الإبرة، ورماني قدام البيت، ورجع تاني للراجل اللي كان قاعد على الكرسي، وقاله...

- هيقوم مش فاكر حاجة يا عطار..
- لازم عزمي يتحاسب، لازم يموت .
- طيب والعيل، ده مهما كان ابن بنتك!
- نسل العطار مايتنجسش بعيل جه غلط، حسابه جاي بس مش دلوقتي.

شهقت وفتحت عينيا، لقيتها قاعدة قدامي، وبتقولي ...

- موّتوا عزمي بعد ما هرّبك بيومين، ولو عرفوا إنك رجعت هيموتوك.

سمعنا خبط جامد على الباب، فقالتلي ...

- اطلع على السطح، ونط عند الجيران واهرب.

سيبتها بتتكلم وروحت فتحت الباب، ماكنتش باقي على حاجة لحد ما لقيت حسين في وشي، شدني لحضنه وخد أمي معايا، ومشينا من البلد.

عاتبته يومها كتير، بس هو قالي إنه عرف من أول ماشافني إنهم مسلطين جن عليا يزاولني، كل ما بقرب من ربنا بيضعف،

وكل ما ببعد عنه بيستقوى عليا، وقالي إني عندي كرامات وارثها من أمي، لو استعملتها صح ماحدش فيهم هيقدر يأذيني .

***

بيت المرايات

أنا ماكنتش حابب أدخل بيت المرايات، بس بما إننا كنا في رحلة وكدا صحابي فضلوا يتحايلوا عليا عشان أدخل معاهم، كل واحد فينا دخل أوضة كلها مرايات وبدأت اللعبة، بس فجأة النور قطع، وماكملش ثواني ورجع تاني، بس أنا ساعتها نفسي كان عالي، وكنت سامع صوت دقات قلبي اللي كان فاضله ثواني، ويخرج من صدري من الخوف والرعب، جسمي كان بيتنفض وبيتهز جامد، كان فيه قدامي...

هحكيلك كل حاجة من البداية..

أنا رؤوف، من شبرا، عندي ٢٥ سنة شغال محاسب بالنهار وبالليل طيار طلبات، صحيت الصبح كالعادة عشان ألبس وأنزل الشغل، بس للأسف كنت متأخر، فلبست بسرعة عشان ألحق الشغل، بس وأنا بمد إيدي عشان آخد المحفظة من على السراحة، بصيت على نفسي في المراية , حسيت ساعتها إن قلبي وقف، ماكنتش مستوعب اللي بيحصل حواليا، كان فيه كهربا ماشية في جسمي كله، مش عارف إيه اللي في وشي ده؟

أنا مش فاكر إني اتخبطت ولا اتعورت حتى قبل ما أنام!

قربت من مراية السراحة أكتر، وركزت في وشي اللي كان مليان خرابيش، كأن حد معور وشي ومقطعه بضوافره، حاولت

ألمس الجروح اللي ماليه وشي، بس كنت حاسس بألم فظيع وإيدي كانت بترعش، كنت خايف ومرعوب من شكلي، بصيت حواليا وأنا نفسي كل ده يطلع مجرد كابوس وأفوق منه، أنا وشي ماكنش كده امبارح.. متأكد من ده زي ما أنا متأكد إني بكتبلك اللي حصلي دلوقتي كده..

لما لقيت وشي كده، اتحدفت على كرسي جنب السراحة، ومسكت دماغي اللي كان هينفجر من الصداع، بدأت دموعي تخوني، مش عارف إذا كان عياطي ده من خوفي من شكلي، ولا من الوجع اللي في راسي، خبيت وشي بكف إيدي، وحطيت راسي بين رجليا وقعدت أعيط، عيطت كتير لدرجة إني نمت على الكرسي من غير ما أحس، كل حاجة في جسمي كانت مستسلمة للنوم ما عدا دماغي اللي كان شغال، وبيقلب في ذكريات طفولتي...

افتكرت أمي وهي وخداني للست عفيفة، وكلامها اللي فضل شاغل بالي فترة طويلة لحد ما اتخرجت، أنا أكتر حاجة مخوفاني هي إني كنت فاكر إني تخطيت كل ده، بس يظهر إن مافيش حاجة هتنتهي في الحكاية دي، كل حاجة كانت عادية جداً، بدأت الدنيا تتغير معايا من يوم الرحلة، في اليوم ده أنا خرجت من البيت إنسان، ورجعت إنسان تاني خالص، بعد زن كتيييير أوي بابا وافق يوديني الرحلة بعد ما كان رافض، كنت وقتها في تالتة إعدادي، تقريباً لو الذاكرة مخانتنيش كان عندي ١٥ سنة، عيل بقي وفرحان إني هخرج مع صحابي برة المدرسة والدروس، برنامج الرحلة كان كالآتي...

روحنا منطقة تل الفراعين، ودي كانت عبارة عن أرض صحرا فيها شوية تماثيل فرعونية قديمة ولوحات من الجرانيت، وبعد كده خدنا لفة في حديقة الحيوان، ومنها روحنا على الملاهي، وهناك صحابي أصروا إني أدخل معاهم بيت الرعب، بس أنا موافقتش لأني بخاف من خيالي، فاقترح حد فيهم إننا ندخل بيت المرايات، واهو حاجة مسلية وخفيفة، بردو ماكنتش موافق بس قدام إصرارهم استسلمت وروحت معاهم..

وقفت قدام بيت المرايات، كان بيت من برة كله إزاز شفاف، وانت شايف الناس وهي بتتحرك فيه عادي من غير ما تدخل، فيه باب بيدخلك من الأوضة اللي انت واقف فيها لأوضة غيرها، حاجة شبة المتاهة كده، بلعت ريقي بصعوبة ودخلت معاهم، كنت مرتبك شوية لحد ما دخلت الأوضة والباب اتقفل عليا!

بدأت أنادي على صحابي، وينادوا عليا، ونضحك سوا، المكان كله كان مرايات، صورتي من الأربع جهات كانت باينة وكمان السقف، فضلت أبص لنفسي في المراية، وأعمل حركات هبلة بايدي ولساني وأضحك، لحد ما النور فجأة قطع والمكان بقى ضلمة، بس الكهربا ماغابتش ثواني ورجعت تاني، لكن المفاجأة إن كان فيه انعكاس لحد واقف قدامي في المراية، بصيت جنبي ساعتها بخوف مالقتش حد موجود جنبي في الحقيقة في أوضة المرايات، ساعتها حسيت إن نفسي عالي، وكنت سامع صوت دقات قلبي اللي كان فاضله ثواني، ويخرج من صدري من كترالخوف والرعب اللي كنت فيه، جسمي كان بيتنفض وبيتهز

جامد، لكن اللي كان واقف قدامي في المراية كان ثابت مش بيتحرك، لابس ماسك مخبي بيه وشه، بس كان بيضحك بصوت عالي ضحكة مستفزة أوي، وفجأة طلع إيده اللي كانت ورا ضهره، لقيت فيها سكينة، بدأ يغرز السكينة في جسمه، أنا مش فاهم فيه إيه؟ حاسس بوجع في نفس الأماكن اللي بيغرز فيها السكينة، بصيت في المراية التانية لقيته موجود بردو، وواقف بيغرز السكينة في مكان تاني مختلف، والمراية التالتة والرابعة بردو كانت كده، فضلت ألف حوالين نفسي في أوضة المرايات، حسيت إني دايخ ونفسي هيتقطع، فشديت الباب عشان أخرج من المكان، لكن مرة واحدة اتزحلقت ووقعت على الأرض، ناديت على مصطفى صاحبي بصوت عالي لكنه ما ردش، قومت واتحاملت على نفسي، وخرجت برة اللعبة، وفضلت أدور عليهم لحد ما لقيتهم خارجين من اللعبة يضحكوا ويقولولي ...

-تعيش، وتشرب غيرها..

ماكنتش فاهم حاجة، بس من ضحكهم عرفت إن هما السبب في كل اللي حصلي جوة، ومن يومها ماكلمتش حد فيهم، وصلت البيت يوم الرحلة الساعة عشرة بالليل، دخلت على أوضتي وماكلمتش حد، رميت شنطتي على الأرض، وقعدت على حرف السرير، كنت بسأل نفسي سؤال واحد..

هو أنا عملت إيه لصحابي عشان يأذوني دايماً كده، ويتنمروا عليا؟

ماكنش عندي إجابة على أي حاجة، فقررت أتجاهلهم كلهم، دخلت الحمام وأخدت شاور، ورجعت فردت جسمي على

السرير، كنت مرهق أوي بس النوم طاير من عيني، لمحت الستارة بتاعت الأوضة وهي بتتحرك، فقومت بسرعة عشان أقفل الشباك بدل ما آخد برد، لكن اتصدمت لما لقيت الشباك مقفول، وبصيت حواليا باستغراب وأنا عيني بتلف في الأوضة، وبسأل نفسي ...

-لو الشباك مقفول، ومافيش هوا جاي منه أومال الستارة هتتحرك إزاي؟

ساعتها لمحت ضل على الأرض جنب ضلي، كان أقصر شوية لكنه كان ظاهر، وخصوصاً لما بتحرك، قعدت على حرف السرير وأنا مرعوب، وبحاول أقنع نفسي إن دي تهيؤات مش أكتر، بس حسيت إن فيه حد جنبي، المرتبة كان باين إن فيه حد قاعد عليها، بس حد أنا مش قادر أشوفه، كان فيه آثار صوابع عليها، خدت نفس جامد وغمضت عينيا، وفضلت طول الليل أقرأ قرآن، وأنا واخد وضع الاستعداد إن لو حصل حاجة هجري على باب الأوضة وأخرج منها، بس الليلة دي عدت على خير، ماحستش بالوقت غير لما باب أوضتي خبط، ولقيت ماما داخلة عليا...

-إيه ده! انت صاحي يا رؤوف؟

-آه يا ماما.

-مالك يا حبيبي، أنت تعبان؟

-لا مافيش حاجة..

-هتداري عليا؟ باين على وشك إنك مرهق جداً، وكمان عينيك بتقول مفتحها بالعافية.

قربت من السرير وقعدت جنبي، وكملت كلامها وقالت...

-قولي فيك إيه، يمكن أقدر أساعدك.

-مافيش حاجة يا أمي والله، أنا بس مرهق من الرحلة بتاعة امبارح، وماعرفتش أنام كويس.

-خلاص يا رؤوف، ماتروحش المدرسة النهاردة، وخليك في البيت، تعالى افطر معايا أنا وبابا، وبعدين اطلع نام شوية، ولما تفوق كلم حد من صحابك شوف خدوا إيه النهاردة في المدرسة وذاكره.

هزيت راسي وسكت، مش هينفع أقولها إنهم بيتنمروا عليا، وبيعملوا فيا مقالب، فطرت معاهم ورجعت أوضتي، وقولت أنام شوية ولما أقوم أذاكر زي ما ماما قالت، فردت جسمي على السرير، راسي كانت تقيلة، عينيا بتقفل، لمحت حد بيتحرك في الأوضة، بس أنا ماكنتش قادر أقوم خلاص استسلمت للنوم، كنت حاسس إني بقالي سنين مانمتش، مافوقتش غير على إيد ماما، وهي بتهزني وبتقولي: رؤوف اصحى رتب المزبلة دي، مش معقول كده..

فتحت عينيا وبصيتلها، وأنا بحاول أفهم هي بتقول إيه...

-فيه إيه يا ماما؟ إيه حصل انت بتزعقي كده ليه؟

-بص حواليك، وانت تعرف أنا بزعق ومتعصبة ليه..

لقيت كتبي كلها مرمية على الأرض، ولوحاتي متقطعة، والألوان متكسرة، الأوضة كانت متبهدلة جداً، اتنفضت من على السرير، وبصيت لماما وقولتلها...

-مين اللي عمل كده؟

-هيكون مين!! هو حد غيرك في الأوضة؟

-لا أنا نمت، وكنت سايب الأوضة مترتبة، مافشكلتش حاجة فيها أصلاً!!

-يا سلام! كل ده حصل لوحده.

-لا بس وأنا نايم اتخايلت بحد كان ماشي في الأوضة، قلت يمكن بابا كان بيدور على حاجة ضايعة منه.

-لا باباك خرج بعد انت ما دخلت أوضتك على طول، وماتحاولش تلاقي حد ترمي عليه غلطاتك، اتفضل رتب الأوضة .

خرجت وسابتني واقف في نص الأوضة، بدأت أجمع الكتب وأرتبهم على المكتب، ولما خلصت لفت نظري إن كان فيه حاجة مكتوبة على الأرض تحت الكتب، قربت منها وبدأت أقرأ...

(طائمائيل.. طائمائيل)

ماكنتش فاهم إيه اللي مكتوب، ولا عارف مين اللي عمل كده، قررت أذاكر وماسمحش للفضول إنه يتملك مني؛ عشان امتحاناتي كانت على الأبواب، قعدت على المكتب وكنت حاسس إن فيه حد ماشي رايح جاي في الأوضة، وكل ماكنت برفع وشي من على الكتاب ماكنتش بلاقي حاجة، لحد ما شوفت انعكاس ضل قدامي على الكتاب، رفعت راسي مالقتش حد بس الضل كان موجود، فضلت متثبت في مكاني مش قادر آخد أي رد فعل، عقلي

كان عاجز عن التفكير لحد ما أنقذني تليفوني اللي رن فجأة، والضل اختفى ساعتها، فقومت جريت على التليفون، ورديت من غير ما أركز في اسم اللي بيتصل، صوتي كان مهزوز، وأنا بقول ...

-مين معايا؟

-أنا مصطفي يا رؤوف، هو انت حذفت رقمي؟

-لا لا خالص محذفتوش، بس ماخدتش بالي من اسم اللي بيتصل.

-هو انت تعبان يا رؤوف؟

-لا، ليه بتقول كده؟

-عشان ماجيتش المدرسة، ولا الدروس النهاردة.

-لا مافيش حاجة، مرهق من الرحلة بس.

-أنا آسف، والله حاولت أنبهك إنهم هيعملوا فيك مقلب، بس..

-لا عادي، ولا يهمك .

-على فكرة هما صوروك فيديو وانت بتقع، وكانوا هيرفعوه على النت، بس أنا حذفت الفيديو من على تليفون مالك من غير ما حد يعرف.

-شكراً يا مصطفي.

قفلت معاه وسيبت التليفون على الشاحن، ولفيت لقيت واحد شكله غريب واقف قدامي، رفيع وطويل ووشه فيه جروح كتير، بلعت ريقي بفزع، كان بيقرب مني، وأنا كنت برجع ورا لحد ما خبطت في الحيطة، وحسيت إن دي النهاية خلاص، فجأة باب الأوضة خبط، بمجرد ما بصيت على الباب ورجعت أبص على

الشخص اللي كان قدامي كان اختفى، فضلت واقف متنح، باب الأوضة اتفتح، وماما دخلت...

-فيه إيه يا رؤوف! مالك واقف كده ليه؟

كنت بلف حوالين نفسي في الأوضة، بدور تحت السرير وتحت الدولاب ماكنش موجود، فضلت واقف حاسس إني تايه لحد ماما ما شدتني، وقالتلي...

-فيه إيه؟ بتدور على إيه؟

-هو راح فين؟

-هو مين؟

-ماتقوليش إنك ماشوفتيهوش بقي , هو أكيد ما اتبخرش!

-هو مين بس، فهمني وأنا هدور معاك.

-كان فيه واحد هنا طويل ورفيع، ولابس حاجة مخبي بيها وشه، وعاوز يقتلني .

-إيه يا ابني الجنان اللي بتقوله ده يا رؤوف؟

-مش جنان يا أمي، أنا من يوم الرحلة وأنا حاسس إن فيه حاجة غريبة بتحصل معايا .

-حصل إيه في الرحلة يارؤوف ؟

حكيتلها كل اللي حصل معايا، فبصتلي باستغراب وقالتلي...

-طيب اهدى وتعالي ذاكر في الصالة قدامي، وأنا فيه واحدة صاحبتي هخليها تشوف شيخ يرقيك.

-ماشي يا أمي .

أخدت كتبي وروحت قعدت في الصالة، وقعدت أذاكر، كنت واقف في مكان غريب، وقدامي مراية فيها واحد شكله يخوف، وشه مليان جروح وجسمه محروق، هو نفس الشخص اللي شوفته في بيت المرايات، واللي كان عاوز يقتلني في الأوضة من شوية، طلع إيده من المراية ومدها ناحيتي، وأنا واقف متكتف مش قادر أتحرك، لف ايديه على رقبتي ورفعني من على الأرض وبدأ يخنقني، كنت بصرخ بصوت عالي وبزق إيده بعيد، لكن قوته كانت بتزيد مع مقاومتي ليه، جسمي كله كان بيتنفض وعينيا ماعدتش قادر أفتحهم، حاولت اتشاهد لكن فجأة حسيت إنه ساب رقبتي، وإني فلت منه، بس ما وقعتش على الأرض، جسمي كان عايم وفجأة فتحت عينيا وشهقت، لقيت ماما واقفة جنبي وحاطة ايدها على دماغي وبتقرالي قرآن، ساعتها اترميت في حضنها وفضلت أعيط كتير أوي لحد تليفونها ما رن، وعملت مكالمة وبعدها طلبت مني ألبس عشان هروح معاها مشوار قريب، كنت حاسس إني بقيت مجرد جسم بيتحرك، مابقاش قادر يحس بحاجة غير الخوف، خدنا تاكسي من قدام البيت، نزلنا في العنوان اللي أمي قالتله عليه، وبعدها نزلنا مشينا على رجلنا شوية لحد ما وصلنا لعمارة كذا دور، طلعنا التالت وأمي خبطت على الباب، ففتحت لها بنت صغيرة وقالت لها ...

-اتفضلي، ستنا عفيفة مستنياكي جوه.

دخلنا، كان البيت عادي جداً زي أي بيت قديم تحس فيه بريحة الزمن.. لما عفيفة شافتني بصت لامي وقالتلها ...

-حد فيكم كان عليه ندر ومانفذهوش ؟

-لا خالص .

قعدتني قدامها، وطلبت مني أحكيلها كل اللي حصل، وبعد ما خلصت كلامي بصت لأمي، وقالت لها ...

-اللي معاه عاوز يؤذيه..

-مين اللي معاه؟

-قرينه..

-طيب، وقرينه هيؤذيه ليه؟

-حد مسلط قرينه عليه..

-حد زي مين؟

-طيب والعمل! هسيب ابني كده لحد قرينه ما يقتله؟

-لا طبعاً ان شاء الله هنعمله حجاب يخفيه عن عين قرينه.

-بركاتك يا ستنا.

مدت عفيفة إيدها وسحبت ورقة، وبدأت تكتب عليها كلام غريب وطلبت مني أفتح إيدي، شكتني بدبوس وخدت نقطة دم، حطتها على الكلام المكتوب، وبعدين بخرت الورقة ولفتها حوالين النار سبع لفات، وطبقتها وادتهالي، وقالتلي...

- ماتسيبهاش، طول ما هي معاك هتحميك، ومافيش حاجة هتعرف تأذيك، أما لو ذيعتها فمفيش حاجة هتعرف تنقذك من بين إيديه.

هو كل اللي أنا كنت فاهمه إن فيه حد متحكم في قريني، وكان عاوز يخلي قريني يموتني، من وقت ما خدت الحجاب من الست عفيفة وأنا ارتحت، مابقتش أشوف الضل، وماعدش في

حاجة غريبة بتحصلي، عديت الثانوية ودخلت معهد ٤ سنين، واتخرجت وبشتغل محاسب بالنهار، وبالليل طيار طلبات لحد ما رجعت في يوم بالليل متأخر لقيت أمي ميتة في أوضتها، وشها كله كان مليان جروح، ورقبتها كان عليها علامات صوابع حد بيخنقها، من بعد ما دفنتها حياتي اتدهورت، والحجاب اللي كانت عفيفة عملتهولي ضاع مني...

كنت حاسس إن عضمي كله متكسر، وبيوجعني أوي فتحت عينيا لقيتني نايم على الكرسي، فكرت لثانية إن كل اللي جرالي ده كان كابوس، لكن لما قومت وقف قدام المراية لقيت وشي مليان جروح، مش بس كده، لا ده كمان الناحية الشمال من وشي بدأ يظهر فيها بقع والجلد بتاعها يقشر، زي ما يكون وشي محروق، قررت آخد اجازة، كلمت مكتب المحاسب اللي شغال فيه، وطلبت منهم اجازة بحجة إني تعبان، وكلمت المحل واعتذرت لصاحبه، وقفلت على نفسي الشقة، وقلبت البيت على الحجاب اللي كانت الست عفيفة عملاه، بس للأسف مالقتهوش، مش عارف هو ضاع مني فين؟

أنا يوم عزا أمي كنت لابسه، قررت أنزل البلد وأروح لعفيفة أحكيلها على اللي حصل، وأخليها تعملي حجاب غيره..

احنا عزلنا من دسوق من ٥ سنين، بس أنا لسه فاكر كل حاجة هناك، فضلت مستني لما الدنيا تضلم شوية؛ عشان ماحدش يلاحظ اللي في وشي، خدت موبايلي ونزلت على الموقف وركبت دسوق، ساعتين ونص وكنت هناك، أول ما نزلت روحت بيت عفيفة..

أنا لسه فاكر اليوم اللي أمي خدتني من إيدي فيه وجابتني هنا زي ما يكون امبارح، طلعت الدور التالت وخبطت على الباب، بعد شوية فتحتلي بنت شكلها مش غريب عليا، تقريباً هي نفس البنت اللي كانت عندها من كام سنة، بس كبرت وشكلها اتغير شوية بردو....

-نعم يا أستاذ.. أي خدمة؟

-أنا عايز أقابل ستنا عفيفة.

-ستنا عفيفة!

-أيوه.

-انت تعرفها منين؟ وعايزها ليه؟

-جيتلها مع أمي مرة قبل كده، وعملتلي حجاب يحميني، بس الحجاب ده ضاع مني.

-انت رؤوف! صح؟

-تعرفيني منين؟

-ادخل يا رؤوف.

دخلت الشقة، طلبت مني أقعد على الكرسي، وأستناها شوية، وبعدين رجعت وقعدت قدامي، وقالتلي...

-قولتلي جاي ليه؟

-عايزها تعملي حجاب تاني، أنا من يوم الحجاب ما ضاع مني، وأنا بتعذب.

شيلت الماسك والكاب اللي كنت لابسهم، فاتخضت من منظري، ورجعت لورا وقالتلي...

-بس عفيفة مش هتقدر تعملك حاجة، عفيفة ماتت من كذا يوم، رجعت من برة لقيتها ميتة، وشها كان فيه جروح، وزي ما يكون حد خانقها.

اتفتحت في العياط، وأنا كنت مصدوم مش عارف أقولها إيه، بس لما رفعت راسها قالتلي...

-انت السبب ف موتها.

-لا مش أنا، أمي كمان ماتت بنفس الطريقة، اللي انتي بتقولي عفيفة ماتت بيها.

-يعني إيه يا رؤوف؟!

-مش عارف بجد، ومش فاهم أنا ليه بيحصل معايا كده!

-احكيلي كل اللي حصل، وأنا هساعدك.

-هتساعديني إزاي؟

-هنحضر قرين عفيفة، هو الوحيد اللي يقدر تساعدنا.

قعدت حكيتلها كل اللي حصل، بصتلي بغضب وقالتلي..

-ما قدامناش غير إننا نحضر قرينها زي ما قولتلك..

-طيب تمام، أنا معاكي ف أي حاجة.

-هكتبلك على شوية حاجات، هاتهالي من العطار اللي جنب المركز.

-حاضر.

قامت دخلت الأوضة، وبعد شوية رجعتلي بورقة مطوية وفوقها فلوس، وقالتلي هات اللي فيها، نزلت من عندها وفضلت أدور على العطار اللي جنب المركز، لفيت كتير علي ما وصلتله، ولما اديت للراجل اللي واقف الورقة بصلي باستنكار، وقالي...

-استغفر الله العظيم، ربنا يتوب علينا.

خدت الطلبات ورجعتلها، خبطت على الباب مرة واتنين وتلاتة، ماحدش رد خالص، وفجأة لقيت باب الشقة اللي في وشهم بيتفتح، خرج منه راجل وقالي...

-انت مين يا جدع انت؟

-أنا قريب عفيفة، كنت جاي عشان...

-آه آه، انت اللي جاي تاخد حاجتها، استنى هجبلك المفتاح، ربنا يصبركم يا ابني.

غاب كام دقيقة ورجع واداني المفتاح في ايدي، فبصيتله باستغراب وقولتله...

-مفتاح إيه ده؟

-مفتاح الشقة يا ابني عشان تلم حاجة قريبتك، أنا مش هسيب الشقة مقفولة كده، هجيب حد يقرأ فيها قرآن، ويطهرها وأبيعها.

-تبيعها!

-آه هبيعها، أومال هخليها مقفولة، والناس تطلع عليها إن فيها عفاريت، وحالها يقع أكتر من كده.

-طيب، والغلبانة اللي كانت قاعدة مع عفيفة؟

-غلبانة مين يا ابني؟ البنت اللي بتقعد مع عفيفة ماتت معاها.

-نعم! ماتت معاها؟ إزاي ده أنا لسه كنت عندها جوة من شوية، وكتبالي طلبات نزلت جيبتها.

-هههههه، آه أصل الميتين بيرجعوا تاني، بقولك إيه يا ابني، خلصني ولم حاجة قريبتك دي، وامشي من هنا.

دخل شقته، وقفل الباب وراه، وأنا فضلت واقف مش مستوعب اللي حصل، ماتت إزاي وأنا لسه شايفها جوه!!

بصيت على المفتاح اللي سابه في كف إيدي، وقربت من باب الشقة وفتحته، الشقة كانت ضلمة، شغلت كشاف الموبايل، وفتحت النور وبعدها رجعت قفلت الباب، وبصيت حواليا، المكان كان هادي فعلاً، كله تراب وعنكبوت، مستحيل حد يكون عايش هنا، بس هو ده الانتريه اللي أنا كنت قاعد عليه، وهي دي الأوضة اللي دخلت جابت منها ورقة الطلبات، كنت واقف في الصالة وشايف باب الأوضة مفتوح، قربت منه ودخلت، الأوضة كان فيها كتب كتير مركونة ومتربة، ما عدا كتاب واحد كان مفتوح على المكتب، قربت منه ومشيت نور الكشاف عليه، وبلعت ريقي بصدمة لما لقيت عنوان الصفحة: "خطوات تحضير قرين المتوفي"...

دورت علي كوبس الكهربا بتاع الأوضة، وشغلت النور ورجعت تاني للكتاب، الطلبات اللي كانت مكتوبة هي نفس الطلبات اللي كانت معايا في الورقة، معني كده إني ماكنش بيتهيألي، أنا فعلاً قابلتها، بس إزاي وهو بيقول ماتت مع عفيفة، يمكن يكون اللي شوفته ده قرينها..

حسيت إن جسمي اتنفض فجأة، قرأت الطلبات وراجعتها، وقبل ما أقلب الصفحة لفت انتباهي كلام مكتوب بخط صغير تحت في آخر الصفحة....

امشي ورا الخطوات، هتحضر قرين عفيفة، تقدر تسأله سؤال واحد بس، وهيجاوبك ويختفي، وبعدها مش هتقدر تحضره تاني، الحجاب للأسف مش هتقدر تعمله يا رؤوف؛ لأن أنا وعفيفة دلوقتي مش موجودين، ومش هنقدر نساعدك تعمل غيره، دور على القديم.

دورت على شنطة، وبدأت أجمع فيها كل الكتب والأوراق والحاجات المهمة اللي في الشقة، تقريباً خدت كل حاجة ما عدا العفش والهدوم، ورجعت القاهرة..

كانت الساعة داخلة على ٤ الفجر، ركنت كل حاجة واترميت على السرير، كنت جعان نوم، ماحستش بحاجة من حواليا خالص، كنت راجع من برة، أول ما دخلت الشقة لقيت الصالة فاضية، جريت على أوضة أمي، بس ماكنش فيها عفش خالص، طلعت منها مخضوض عشان أشوفها في المطبخ بس مالقتهاش، فضلت أنادي عليها...

-ماما، أمي، يا زبيدة انتِ فين؟

ماحدش كان بيرد، بس شوفت نور أحمر طالع من اوضتي، قلبي اتقبض، حاولت أهرب بس باب الشقة ماكنش بيتفتح، بصيت على النور الأحمر اللي كان بيقرب مني في الضلمة، لحد ما خبط في وشي، حسيت بسخونية فظيعة في جسمي، أنا كنت فاكر اني موت بس...

فتحت عيني وأنا مصدوم من اللي شوفته، وقومت من السرير مخضوض، بصيت حواليا وفضلت أقول....

-الحمد لله يا رب.

أول حاجة عملتها إني وقفت قدام المراية وبصيت على وشي، كان لسه زي ما هو، بصيت على الحاجات اللي جبتها من شقة عفيفة، وروحت عملت كوباية شاي، ومشيت على الخطوات اللي كانت في الكتاب كلها عشان أحضر قرين عفيفة، فشلت أول مرة، بس أصريت وقومت عملت حاجة كلتها، ورجعت حاولت تاني وتالت، في آخر مرة الكهربا قطعت فقومت وقولت مش مكمل، بس وأنا بلم الكتب والحاجة سمعت صوت جاي من ورايا بيقول...

-إيه يا ابن زبيدة، استسلمت بسرعة كده!

لفيت بسرعة، وبصيت ورايا مالقتش حد، لكن كنت سامع صوت نفس حواليا بيقول...

-أنا هنا يا رؤوف، انت مش هتشوفني بس هتسمعني، ها عاوز إيه؟

-لو مش هينفع أعمل حجاب زي اللي انتي عملتهولي ساعديني ألاقي الحجاب القديم.

سكتت كتير لدرجة إني شكيت إنها مش موجودة معايا، أو إني عملت حاجة غلط فانصرفت، بس أول ما اتحركت قالتلي.

-خليك مكانك، ما تتحركش.

بعد ثواني حسيت إن جسمي كله متلج، والمكان اللي فيه ضيق مش عارف أتحرك فيه، شوفت نفسي وأنا نازل شايل أمي عشان أدفنها، ساعتها أنا وطيت عليها، وبوست راسها من فوق الكفن، والحجاب اتشبك في الكفن، وأنا سيبته وخرجت من غير ما آخد بالي..

شهقت مرة واحدة، كنت حاسس إن روحي خرجت من جسمي ورجعت، خدت وقت على ما استوعبت إني لسه في البيت، وتحديداً في أأوضت، بصيت حواليا وحمدت ربنا، أخيراً عرفت مكان الحجاب، فضلت قاعد مستني المغرب تأذن عشان أنزل من البيت، مستحيل أغامر وأنزل كده، لما الدنيا ضلمت شوية لبست ونزلت روحت المدفن بتاعنا، وطلبت من التربي يفتح ونزلت بنفسي جبت الحجاب، بس الغريبة إني حسيت نفسي متكتف، الضلمة كانت بتسحبني جوه القبر لولا إن الحارس نادى عليا، ولما اتأخرت اتوغوش ونزل نجدني، كان زماني مت جوه، خدت حجابي يومها ولبسته وروحت البيت اتفاجئت إن الشقة كلها ولعت، بيقولوا ماس كهربائي، بس أنا متأكد إنها ولعت من اللي كان فيها.

***

توأم الجن

أنا كنت نايمة بعد العصر شوية في أمان الله، ومرة واحدة حسيت ان في حاجة كاتمة علي نفسي وبتضغط علي بطني جامد، فتحت عيني وأنا خايفة لا يحصل لولادي اللي في بطني حاجة، الوقت كان باين انه اتأخر لأن الدنيا كانت ضلمة أوي ومش شايفه حاجة حواليا ولا قادرة اتحرك من السرير، بس كنت حاسه بنفس بارد بيخبط في وشي، وكان في حاجة مثبتاني علي السرير، الضغط علي بطني بيزيد والالم كمان بيزيد معاه، سمعت صوت عيل بيعيط، كان صوته قريب أوي من ودني، وحسيت ان الضغط اللي كان علي بطني بيخف واحده واحدة وفجأة باب الاوضة اتفتح، ودخل منه نور الصالة اللي كان شغال، فشوفت واحده ست خارج من الاوضة، كانت شايلة عيل صغير بيصرخ، ناديت عليها بصوت مبحوح وتعبان...

- يا ست انت يا ست ابن مين اللي معاكي ده استني هنا ، لفت وشها وبصتلي هي كانت نفس الست اللي شوفتها في السيد البدوي بس كانت.....

***

-يا دكتورة الست اللي بيقولوا ان الجن خطف عيالها بره.

-نعم! ودي جيالي ليه؟

-مش عارفة هي قطعت كشف وقعدت تستني دورها.

حاولت اتمالك أعصابي وقولتلها...

-خلاص دخليها في دورها عادي لما نشوف عايزة ايه!

- بس الناس اللي كانت موجودة اصلا في العيادة اول ما الست دي جت وقطعت كشف وقعدت؛ فيهم اللي مشي بسرعة من غير ما ياخد فلوس كشفه وفيهم اللي خد الفلوس ومشي وقالوا مش كاشفين النهاردة، كلهم طفشوا وخافوا منها، متأكدة انك عيزاني ادخلهالك يا دكتورة؟

- بطلي رغي يا منار ودخليها بلاش جهل وعبط.

- حاضر يا دكتورة.

بعد دقيقة دخلت واحدة شكلها في نص العشرينات لابسه عباية سوده وطرحه ملفوفة بشكل عشوائي وكان في ايدها ظرف اشعة، ابتسمتلها وطلبت منها تقعد، خدت نفس عميق وقولتلها....

- بتشتكي من ايه؟ خير؟

- أنتِ أكيد سمعتي عني يا دكتورة.

- هو انتِ في حد في البلد ما يعرفش حكايتك؟

- طيب انا هحكيهالك من الاول عشان في تفاصيل كتير ماحدش يعرفها غيري.

- طيب اتفضلي أنا سمعاكي.

- أنا اسمي نادية، نادية ابراهيم؛ من عزبة جنب البلد هنا، عندي ٢٤ سنة ماكملتش تعليم، اهلي قعدوني بالثانوية مع ان مجموعي كان كبير بس الناس هنا بيفكروا في ستر البنات لانه افيد

من تعليمهم، المهم عشان ماطولش عليكي يا ست الدكتورة اتخطبت واتجوزت في وقت قصير تقريبا في خلال ست شهور، وبعد الجواز بشهر بدأت أحس ان نظرات بيت اهل جوزي ليا اتغيرت، كنت بسمع همسهم عليا اللي مع الوقت بقي كلام بيتقال ببجاحة في وشي، كل شهر كنت بسمع كلام يسم البدن، لحد ما مرة روحت بيت ابويا وطلبت منه يوديني للدكتور عشان حسن جوزي علي قد حاله ومش حمل انه يوديني لدكاتره ويصرف علي كشف وعلاج، امي بعدها بكام يوم خدتني وأصرت ان حماتي تيجي معانا وروحنا لدكتورة كبيرة في البلد هنا، وبعد ما كشفت عليا قالتلهم اني كويسه ومافيش عندي اي حاجة تمنعني من الخلفة، من يومها حماتي وشها بقي في الارض وفضلت تزن علي حسن عشان يروح يكشف هو كمان، وبعد كام يوم راح كشف وطلع هو كمان سليم مافيهوش حاجة، ساعتها الدكتورة قالتلها ان تأخر الحمل ده مسألة وقت وربنا هيرزقنا بي نصبر، حماتي ما سمعتش كلام الدكتورة، وفضلت تزن علي حسن، وبقيت ماشية من دكتور لدكتور زي الشوخشيخة في ايدها، خدت كمية ادوية جابت اجل معدتي لحد ما حلفتلهم اني مش هاخد اي علاج تاني، فحماتي قررت تمشي في طريق الشيوخ والحجبه، كنت بلاقي ورق شكله غريب مطبق علي شكل مثلثات وأوقات مربعات، محطوط تحت المخدات على سريري وبين المراتب وفي هدومي، الاول لما قولت لحسن وواجها بأنها بتعمل كده انكرت، وبعد كده لما راح الشغل اعترفتلب عادي ببجاحة ان هي عامله ده عشان مصلحتي، وفضلت تزن عليا عشان اروح معاها للناس اللي بتروحلهم بس انا

رفضت، فلقيتها بتلمحلي انها لما حسن يرجع من الشغل هتشوفله عروسه وتجوزه عشان تفرح بعياله، كسرت قلبي مع انها عارفة اني مافيش عندي سبب يمنعني من الخلفه، سيبتلها البيت ورحت عند ابويا، قعدت أسبوع هناك لحد ما حسن رجع من السفر وجه لأبويا يشتكيله اني سيبت أمه في البيت لوحدها، ساعتها بس واجهته بكل حاجة وقولتله...

- أنا عارفة ان مامتك هي اللي بتعملنا الاحجبة وبتحطها في الشقة وبتروح لشيوخ ودجالين، انا تعبت من اللف علي الدكاترة ومابقاش فيا حيل، كل الدكاترة اجمعوا ان مافيش عندي اي عيب، تيجي امك فب الاخر تقولي هجوزه!

- انت عارفة ان اي ام بتعوز تشوف عيال ابنها وتشيلهم وتفرح بيهم.

- وانا كمان نفسي اشيل عيالي وافرح بيهم بس هعمل ايه هعترض علي حكمة ربنا؟

- لا ان شاء الله ربنا هيكرمنا سوا.

اتصالحنا ورجعت معاه البيت وبعدها بكام يوم علي غير العادة لقيت حماتي عملالنا الفطار وداخله بيه علنا الشقة، كان حسن لسه هنا مسافرش، هو شغال عامل مع مقاول بيسافر ١٥ يوم وبيفضل معانا الـ ١٥ يوم التانين، قعدت فطرت معانا وبعدين طلبت من حسن اننا نروح معاها طنطا نزور السيد البدوي وناخد بركاته، وشي اتقلب ساعتها لاني عارفة الدخلة دي، بس حسن ريح دماغه وقالها حاضر من غير ما ياخد رأي ولا كلف نفسه وبص في وشي حتى، وتاني يوم الفجر كانت بتصحينا نلبس عشان نسافر

ونكون في مقام السيد البدوي بدري قبل الزحمة، خدنا في الطريق حوالي ٣ ساعات ونص، لما وصلنا طنطا كنت خلاص تعبت وفرهدت من الطريق، ومش قادرة اقف علي رجليا، كنت عطشانه وبتلفت حواليا علي اي مكان اشرب منه مايه وهي فضلت تلف بينا حوالين المقام لحد ما خبطت غصب عني في واحدة ست ولما رفعت وشي عشان اعتذرلها طبطبت عليا ومدت ايدها ليا بإزازة مايه وقالتلي...

- ربنا يجبرك.

هدت منها المايه وفتحتها عشان أشرب لأني كنت عطشانه اوي ولما جيت اشكرها بعد ما شربت وشبعت مالقتهاش، بصيت حواليا وسألت حسن وحماتي ووصفتلهن الست، قالوا انهم ماشفوهاش ولا حد اداني مايه، بس الغريبة ان ازازة المايه كانت في ايدي، حطيتها في شنطتي وكملت معاهم لحد ما خلصنا وروحنا البيت، يومها كنت حاسه اني مرتاحة ومبسوطة من جوايا وطلبت من حماتي تبقي تودیني تاني هناك.. بعدها بكام يوم حسن سافر وروحت بيت أبويا اقعد هناك كام يوم عشان اخواتي وحشوني، اول ما ستي شافتني نادت عليا وقالتلي...

- اومال يا بت يا ناديه انت وشك منور كده ليه؟

- مافيش حاجة والله يا ستي.

- عليا بردو! ده في وفي وفي كمان.

- في ايه؟

- في خير باين في وشك.

- حكيتلها اللي حصل معايا عند السيد البدوي فبصتلي وضحكت وقالتلي مش قولتلك...

- وشك منور، اللي شربتيه ده الخير هيجي عليه.

- يعني ايه؟

- ربنا هيطعمك قريب وتشوفي خيره وفرجه.

هي مارضتش توضح حاجة بس قلبي كان حاسس انها بتتكلم علي الخلفه والعيال فمفتحتش في الموضوع معاها عشان ماتعشمش علي الفاضي وقلبي يوجعني كالعادة.

قعدت في بيت أبويا يومين وروحت شقتي في التالت، حماتي بدأت تلاحظ اني متغيرة وسألتني لو في حاجة مضيقاني بس انا طمنتها اني كويسة، الأيام عدت بسرعة وحسن رجع، كنت في الفترة دي قاطعة الاكل ماليش نفس لأي حاجة وكنت بنام كتير، لما رجع كان لسه قابض مرتبه فوداني للدكتور اللي بشرنا وقاله...

- مبروك المدام حامل.

كانوا تلت كلمات بس اسعد تلت كلمات سمعتهم في حياتي؛ كنت طابرة من الفرحة ومبسوطة جدا، رجعنا البيت وبشرت اهلي وحماتي؛ الكل فرحلنا اوي وحماتي قالت...

- دي بركات السيد البدوي يا نادية.

ماكنتش مؤمنة باللي بتقوله ولا بصدق فيه، بس ساعتها مافرقش معايا أي حاجة غير سعادتي، الايام عدت، كنت كل فين وفين لما اروح للدكتورة اتابع الحمل عشان المصاريف ماتبقاش كتيرة علي حسن في أول مرة روحتلها قالتلي ان الحمل كويس، وبعد شهر ونص عرفت اني حامل في اتنين وفي الخامس عرفت

انهم ولد وبنت، كنت ممشياها بالبركة لا بحسب ولا بعد، ده حتى احنا اختارنا اسامي العيال في مرة قبل حسن ما يسافر وقولنا هنسمي خديجة وعمر، حماتي كانت دايما تقولي صلي وادعي للسيد البدوي، حملك كرامة من كراماته في يوم حسن ماكنش موجود اتعصبت عليها عشان قالتلي كلامها اللي زي السم ده وسيبتها ودخلت الاوضة، فضلت طول الليل أحلم بكوابيس واصحي من النوم مخضوضة، كنت واقفة في مكان ضلمة والدنيا حواليا برد، سامعه صوت حد بيقولي...

- أنت مش وش نعمة يا نادية.

حسيت ان في حد واقف ورايا وفجأة زقني علي وشي ف...

***

قومت من النوم مفزوعة مش قادرة اخد نفسي؛ حطيت ايدي علي بطني وقولت..

- الحمد لله يا رب استرها معايا وخليها تكمل علي خير.

لمحت ضل حد واقف قدام باب الاوضة كان باين من تحت عقب الباب، اتسحبت علي طراطيف صوابعي لحد ما وصلت للباب ومسكت الكالون ودورته فجأة وفتحت باب الاوضة لقيت حماتي واقفة قدامي فقولتلها...

- خير في حاجة؟

- انت كويسة يا بنتي؟

- اه كويسه، خير؟

- انا كنت جاية اطمن عليكي عشان سمعتك بتصرخي كذا مرة ولما دخلت اصحيكي عشان تتعشي معايا قولتيلي مش عايزة اكل ونمتي.

- دخلتي صحيتيني؟ ده امتي ده؟

- بعد العشا بشوية.

- مش فاكرة، انا طول الليل بحلم بكوابيس مخليناني انام واقوم كل شوية.

- أحضرلك حاجة تاكليها؟

- ماشي ماشي.

سابتني ومشيت وانا دخلت قعدت علي حرف السرير وكنت بسأل نفسي هو أنا اللي بيحصلي ده بسبب تريقتي علي كرامات سيد البدوي ولا ايه، بصراحة بدأت اخاف من الموضوع ده، لما كنت ببقي قاعدة لوحدي بحس ان حد بينادي عليا وبشوف حاجات ماشيه قدامي ماحدش كان بيشوف ولا بيسمع حاجة غيري، حكيت لحماتي وقالتلي...

- احنا لازم نروح لحد يعملك حجاب عشان حملك ده يكمل علي خير.

- بس انا مش...

- مابسش اسمعي الكلام هو انا هضرك يا بنتي؟

- لا يا حماتي، حاضر هروح معاكي.

كان فاضل كام يوم وحسن يرجع فقولتلها مستناه صممت اننا نروح علي طول وما نتأخرش وفعلا يومها روحنا

لواحد اسمه شهاب بيعمل اعمال وبيفك السحر، كان قدام بيته طوابير، وناس كتيرة بتشكر فيه، حسيت بالراحة شوية

لما سمعت انه بيفك الاعمال بالقرآن وبيعمل الحجاب بالاسم الاعظم، دخلت وانا مطمنه، كانت اوضة عادية والراجل قاعد علي الارض وقدامه بخور وفي ايده سبحه، اول ما شاف وشي قالي...

- اقعدي يا بنت فادية.

- أنت عرفت اسم امي منين؟

- انا اعرف كل حاجة حتي اللي مخفية جوه النفوس.

اتكلمت حماتي وقالتله...

- طيب شوف ايه اللي فيها دي حملت بعد غلب ولف كتير.

- انا عارف كل حاجة ماتقلقيش.

مد ايد بحجاب مطبق وقال....

- ده هتحطيه تحت مخدتك سبع ايام وبعدها تحطي الحجاب ده في كوباية مايه وتسيبيه من الصبح للعصر وبعدها تشربي شوية من المايه اللي الحجاب منقوع فيها وترمي بقية المايه بالحجاب في نهر جاري... كل اللي بتشوفيه وبتسمعيه ساعتها هيروح ومش هيرجع.

- بس كده؟

- ماتقلقيش حملك هيتم علي خير.

حماتي مدت ايدها وخدت الحجاب وطلعت من شنطتها فلوس وحطتها في ايد شهاب وبعدها هز راسه وقال....

-لو في حاجة انا في خدمتكم دايما وبابي مفتوح.

حماتي شكرته وقومنا مشينا، طلعنا علي بيت ابويا اتغدينا هناك وسهرنا واخويا روحنا انا وحماتي بالليل.

تاني يوم كان حسن رجع من الشغل وحماتي حلفتني ماحكيلوش اللي حصل، نفذت كل اللي شهاب ده قال عليه ومن ساعة ما شربت المايه اللي كان فيها الحجاب بطني بقت توجعني، كنت حاسة ان في سكاكين بتقطع فيها والوجع بقي بيزيد عليا، حماتي راحت ترمي الحجاب بالمايه، وحسن كان قاعد في الصالة، سيبته ودخلت أرتاح شوية في الاوضة بعد ما صليت العصر، نمت من كتر التعب، ومرة واحدة حسيت ان في حاجة كاتمة علي نفسي وبتضغط علي بطني جامد، فتحت عيني بفزع وأنا خايفة ليحصلي حاجة، كنت سامعة صوت ستات بتتكلم، بس كان كلام غريب مافهمتش منه كلمة، الوقت كان باين انه اتأخر لأن الدنيا كانت ضلمة أوي والشباك اللي في الاوضة مش مدخل أبي نور، ماكنتش شايفه حاجة حواليا ولا قادرة اتحرك حتى، بس في نفس الوقت كنت حاسه بنفس بارد بيخبط في وشي، وان في حاجة مثبتاني علي السرير، الضغط علي بطني كان بيزيد والالم كمان بيزيد معاه، ومرة واحدة صوت الستات اختفي وسمعت صوت عياط طفل صغير قريب أوي من ودني، وحست ان الالم اللي كان في بطني بيخف وبيهدى واحده واحدة، وفجأة باب الاوضة اتفتح، نور الصالة كشف اللي كان خارج من الباب، كانت واحدة

ست وشايلة عيل صغير بيصرخ، ناديت عليها بصوت مبحوح وتعبان...

-يا ست انت يا ست ياللي واخده العيل ده.

لفت وشها وبصتلي هي كانت نفس الست اللي شوفتها في السيد البدوي بس كانت عينيها فاضية ووشها مشوه، كأن حد دلق عليها مايه نار، قالتلي بصوت تخين ومرعب...

- ايه هتطمعي؟ دي قسمة العدل، واحد ليكي واحد لينا.

- واحد مين؟ انت بتقسمي في عيالي يا مجرمة، لا مستحيل مستحيل اسيبلك ابني.... لاااا

- مش بمزاجك.

- يعني ايه؟

ضحكت ومشيت من غير ما ترد عليا، فضلت اثرخ واانادي عليها وعلي حسن وحماتي لكن...

***

قومت من النوم مفزوعة وانا بصرخ وبقول لاااا، حماتي وحسن دخلوا الاوضة جري علي صوتي، كنت بنهج مش قادرة اخد نفس، حسن كان واقف مذهول مش عارف ايه اللي بيحصل اما حماتي فقعدت جنبي علي السرير وفضلت تقرالي قرآن وترقيني، لما هديت حكيتلهم اللي شوفته في الحلم، وفضلت اتحايل علي حسن وامه يودوني للدكتور عشان اطمن، حين وافف واداني فلوس وطلب من امه تروح معايا للدكتورة بكره عشان اطمن، بس هي حسن صعب عليها وقالتله...

خلي فلوسك معاك يا ابني انا هتصرف واوديها للدكتور، انا دلوقتي في السابع، ما روحتش للدكتور من اول الحمل غير مرتين عشان ظروف حسن، ماقدرش اجي عليه هو شايف اني طالما مافيش حاجة تعباني يبقي مالهاش لزمه اروح للدكتور، فضلت طول اليوم صاحية خايفة عيني تغمض، اشوف نفس الكابوس تاني وطول النهار فضلت قعده في السرير ماليش نفس لا اكل ولا اشرب ولا حتي اقوم منه؛ لحد ما ام حسن دخلت عليا وقالتلي...

- يلا قومي البسي عشان هنروح للدكتور نطمن عليكي وعلي العيال، انا اتصرفت وهعملك الاشاعه اللي معرفش اسمها ايه دي اللي بتبين لو عندهم مشاكل لا قدر الله عشان ترتاحي وتعدي الايام اللي فاضله علي خير.

- ربنا يخليكي لينا يا حماتي.

- قومي يلا عشان نلحق ننزل مع حسن البلد؛ بدل ما نروح لوحدنا.

- ثواني واكون جاهزة.

وصلنا عند الدكتور، حسن وصلنا وراح يقعد مع صاحبه علي القهوة لحد ما نخلصوا، ماعرفش حاجة جوايا كانت خايفة وبتتنفض؛ كاني أول مرة ادخل لدكتور واكشف، لما طلعنا العيادة لقينا الدكتورة مش موجودة عشان عندها حالة وفاة، لفينا وكنا هنمشي لكن الممرضة وقفتنا وقالت...

-في دكتورة مكانها كويسه ممكن تبص عليها لو في حاجة مستعجلة.

حماتي بصتلها وقالتلها...

-لا يا بنتي هنجيلها في وقت تاني.

بصيت لحماتي وشديت علي ايدها جامد فبصتلي وبعدين قالت للممرضة باستسلام...

-امرنا لله هندخلها وخلاص.

دفعنا الكشف ودخلنا للدكتورة وبدأت تكشف عليا ولما خلصت قالتلي...

-الحمد لله الحمل ماشي تمام وبخير بس هنكتب شوية فيتامينات عشان نمو البنوته متأخر حبتين.

هزيت براسي وسكت لكن حماتي قالتلها..

-طيب والولد؟ طمنينا علي صحته؟

الدكتورة بصت باستغراب وقالت...

- ولد مين يا حجة؟

- الولد اللي في بطنها!

- دي حامل في بنت يا حجة.

- ايوه يا ست الدكتورة، حامل في بنت وولد.

- لا بنت بس.

- ازاي ده يا دكتورة دي كانت حامل في بنت وولد وعامله اشعة وباين فيها الكلام ده.

كل اللي عملته اني فضلت اعيط والطم واقرحةخ واقولهم....

-خدوا الولد مني، خدوا الولد مني.

ماكنتش قادرة اهدي، كل اللي شوفته كان حقيقة، الست خدت الولد مني، خدت عمر اللي لسه لا شوفته ولا شميت ريحته، حماتي فضلت تهديني والدكتوره كشفت عليا مرة تانية وعملتلي فحص وفي الاخر بردة النتيجة كانت حامل في بنت ومافيش غيرها في بطني، ماكنتش مستوعبه اللي بيحصل ولا حاسه بالدنيا من حواليا، نزلنا من العيادة وحماتي كانت سنداني، وحسن جه وروحوني البيت وقفت علي الباب وفضلت اصرخ واقولهم....

-مش عايزه ادخل البيت ده روحوني عند ابويا.

اخر ما حسن غلب معايا كلم ابويا اللي جه وكان محتار معايا هو كمان وماحدش كان فاهم مني حاجة من كتر ما انا بعيط ومنهارة لحد ما حسيت ان روحي فجأة بتنسحب مني فغمضت عينيا وانا بدعي علي الست اللي خدت ابني مني وكانت السبب في كل اللي أنا فيه.

***

كنت قاعدة في مكان واسع وكله حاجات متكركبه ومكسره بس كنت سامعه صوت عيل بيصرخ ، فضلت ادور عليه وألف هنا وهنا وانادي بصوت عالي...

-ده عمر ابني أكيد، يا عمر أنت فين يا عمر.

فجأة ظهر قدامي تعبان كبير كان باصص علي الارض علي حاجة بتتحرك، خدت بالي ان هو ده الطفل اللي بيعيط، فطلعت اجري عليه وخدته في حضني بس التعبان لدغني في رجلي الشمال، الوجع اللي كان.....

***

فيها فظيع، قومت وانا بصرخ من الوجع، بصيت علي رجلي لقيتها متعورة، بابا مسكني من ايديا وحاول يهديني ويخليني انام، كان هو وحسن وحماتي واقفين حواليا ومعاهم شهاب اللي كان ماسك حاجة وبيكوي بيها رجلي الشمال، ماكنتش فاهمة ايه اللي بيحصل،فبثيت لبابا وقولتله....

-بابا هو بيعمل ايه يا بابا؟ انا رجليا بتوجعني اوي، ارجوك خليه يسيب رجلي.

بابا قالي...

-غمضي عنيكي واستحملي شوية.

بس أنا ماكنتش قادرة استحمل الوجع ده خالص، فبصيت لحسن وقولتله....

-حسن اللي يخليك خليه يسيبني، انا رجلي بتوجعني هو بيكويني ليه؟

-نامي يا نادية، نامي ولما تصحي هتبقي كويسة احنا كلنا جنبك مش هنسيبك.

-نامي يا بنتي ومتفكريش في حاجة،

كلهم اتكاتروا عليا وكتفوني وكتموا صوتي عشان ماصرخش بس شهاب فضل يكويني نفس المكان، كنت حاسه ان في كهربا ماشيه في جسمي بتخليني اتنفض كل شوية.

كان نفسي كل ده يطلع كابوس، بس اول ما شهاب خلص وخرج، بابا وحسن وحماتي خرجوا وسابوني، وبعدها بشوية ماما دخلت عليا لقيتني مفطومه من العياط...

-مالك يا ناهد؟ في ايه يا بنتي؟ انت كويسة؟

-هيفرق معاكي يا امي؟

-مالك يا بنتي بس؟

-بنتك هو انا لو بنتك كنتي سيبتيهم يعملوا اللي عملوه ده فيا!

-هما مين وعملوا ايه؟

-بابا وحسن وحماتي جابوا النصاب اللي اسمه شهاب ده وكواني في رجلي، كنت بموت من الوجع قدامه، اتحايلت عليه عشان يخليه يسيبني لكن هو خلاه يكمل.

-بس ابوكي في الشغل يا بنتي ليه ما رجعش وحسن سافر النهارده الصبح، جه بص عليكي قبل ما يمشي وحماتك في بيتها ماجتش.

-نعم انتوا عاوزين تجننوني صح؟ بقولك كانوا هنا، كانوا هنا ومعاهم شهاب.

-يا بنتي يا حبيبتي اهدي، انا هتصل بـ ابوكي عشان تتأكدي.

جابت تليفونها وكلمته وفتحت الاسبيكر وسمعته بوداني وهو بيقولها انه ماطلعش من الشغل لسه فقفلت معاه التليفون وبصتلي بقلة حيلة وقالتلي...

-سمعتي! ابوكي مستحيل يسمح لحاجة تأذيكي يا نادية.

-طيب والعلامة اللي في رجلي دي؟

-هي فين يا بنتي؟

-دي يا أمي دي ايه كمان مش شيفاها!

-انا هخرج ولما ابوكي يرجع يشوفلك صرفة فاللي انتي بقيتي فيه ده.

خرجت من الاوضة وقفلت الباب وراها وانا قعدت علي السرير مكاني اعيط، ماكنتش عارفه بجد ايه اللي بيحصل ولا فاهمة حاجة، لحد ما حطيت ايدي علي بطني، وبدأت اكلمها، هي اللي فاضلة، هي اللي عارفة ان كان في ولد موجود معاها في بطني والجن خده، ده اخوها اكيد حاسه بيه، باب الاوضة خبط فزعفت بعصبية وقولت....

-مش عايزه اشوف حد، ماحدش يدخل عليا، خلوني انا وبنتي لوحدنا.

الباب اتفتح فرفعت راسي بغيظ وقبل ما انطق لقيت حماتي واقفة علي الباب وبتقولي...

-ده انا يا نادية.

-عايزة ايه مش انتي زيهم مش مصدقاني؟

-بالعكس يا بنتي، انا كنت بشوف طريقة اساعدك بيها.

-شهاب بتاعك ده نصاب ودجال من اول ما شربت المايه بتاعة الحجاب وانا ماشوفتش يوم عدل.

-اهدي بس واسمعيني.

-مش عايزة اسمعك.

-صدقيني المرة دي وبس انا مش هأذي عيال ابني، خلينا نجرب نرجع الولد.

-هنرجعه من الجن اللي خدوه.

-سيدي وسيدك هيجبرهم يرجعوه بس لازم...

-لازم ايه؟

-لازم نعمل زار وندبح وتتوضي بدم الدبيحة.

-وابني هيرجعلي وقتها؟

-ايوه يا بنتي.

-ماشي يا حماتي انا هعمل كل اللي هتقولي عليه.

-بس في مشكله.

-مشكلة ايه؟

-احنا يا بنتي علي قدنا معناش نجيب دبيحه؛ ولا حتي ابوكي هيقدر يدفع تمنها.

-هبيع دهبي، بس اهم حاجة ضنايا يرجعلي ويتربي في حضني.

-خلاص طالما كده بكره ننزل نبيعه ونجيب الدبيحه ونوديها للشيخ.

-ماشي يا حماتي.

فضلت قاعدة معايا شوية وقبل ما تمشي طلبت منها تخلي موضوع بيع الدهب والزار ده بيني وبينها، عشان أهلي ما يعترضوش وكده.

تاني يوم الصبح طلبت من ابويا يروحني شقتي، قبل ما يطلع على شغله، وصلني فعلا ومشي، كانت حماتي قاعدة مستنياني، دخلت جبت الدهب بتاعي ووقفنا توكتوك وروحنا لواحد معرفتها، اشترالنا الدبيحة ووصلها لينا علي بيت الشيخ شهاب، اللي كان مستني، دخلنا البيت وقفل الباب ورانا وطلب مننا نمشي وراه؛ مادخلش علي الاوضة اللي دخلناها قبل كده، لا ده فضل ماشي ومكمل لحد ما وصل لحته واسعة كبيرة مافيهاش حاجة، شاور للولد اللي شغال عنده فجاب الدبيحة، ومرة وحده مسك السكينة وفضل يهوشها بيها وفي الاخر غرز اسكينه في رقبتها وشدها ببرود كأنه مش بني ادم ولا متأثر بمنظر الدم، من الليش شوفته ماحستش بالدنيا من حوالي واغمي عليا، كنت صوت حماتي وهي بتنادي عليا بس كنت دايخة ومصدعة مش قادرة ارفع دماغي؛ بعدها بشوية بدأت افوق، كانوا جمعوا دم في جردل، وشهاب طلب مني اتوضي بيه، بصيت لحماتي وبعدين بصيت لشهاب وغمضت عينيا، لو ده اللي هيرجعلي ابني هعمله، بدأت اتوضا بالدم فعلا، كنت حاسه اني قرفانة من نفسي اوي، لما خلصت، شاور لاتنين كانوا واقفين بعيد فقربوا ومسكوا الجردل اللي كان فاضل فيه شوية دم ودلقوه كله فوقي.. شهقت من الخضة وحسيت ان روحي هتخرج من جسمي، والدنيا ضلمت في عينيا، كنت حاسه بألم فظيع في جسمي كله، تنميل وحرقان،

كنت بتنفض مع ان الجو مش برد وفجأة أغمي عليا، كنت في نفس المكان اللي شهاب دبح فيه، شوفت طفل صغير بيصرخ وغرقان كله ده، جريت عليه وحاولت اشيله بس ماقدرتش، كانت في حاجة منعاني من اني اوصله وفجأ الجو قلب وبقي حر وصهد أوي وفي ريحة دخان كتير في المكان، حاولت انقذ الولد بس ما قدرتش فسيبته وخدت نفسي وجريت فضلت اجري.. اجري ماكنتش عارفه انا رايحة فين لحد ما اتكعبلت ووقعت وبصيت حواليا لقيت...

صحيت من النوم مخضوضة، ماحستش بالوقت اللي عدي، كنت مفكره اني لسه في الحوش بتاع شهاب، بس لما فتحت عيني كنت في اوضتي وعلي سريري ومافيش اي دم عليا، بصيت لحماتي اللي جرت عليا وقالتلي....

-بركة أنك بخير يا بنتي الحمد لله.

-عايزة اروح للدكتورة عشان اطمن.

-لما ترتاحي هنروح.

-لا انا عايزة اروح دلوقتي.

-يا بنتي اسمعي الكلام لما ترتاحي هنروح.

سابتني وخرجت عشان تحضر الاكل، اول ما راحت تجيب الطلبات لبست ونزلت روحت الوحدة الصحية اللي عندنا في العزبة، كنت عايزة اطمن علي ابني، بس الدكتورة اللي هناك صدمتني لما قالتلي اني مش حامل اصلا....

رجليا ماكنتش شيلاني، سيبت الدكتورة بتتكلم وخوجت مشيت في الشارع اكلم نفسي، مافوقتش غير وانا في وسط المقابر،

فضلت اصرخ والطم واعيط لحد ما روحي واحت ووقعت من طولي، لما سمعت اذان المغرب قومت من مكاني ومشيت ناحية الدار كنت بجر نفسي لاني مش قادرة امشي من كتر التعب وصلت البيت ودخلت شقتي من غير ما اعدي علي حماتي اللي كانت قاعدة علي عتبة شقتها واول ما شافتني جريت عليا عشان تطمن انا كنت فين؟ بصيتلها من فوق لتحت وسيبتها وطلعت دخلت الشقة وقفلت علي نفسي الباب وفضلت اعيط، لحد ما روحت في النوم بس المرة دي كان نفسي النوم يطول ومافوقش...

سامعه صوت دق الزار، وفي اناشيد غريبة بتتردد في المكان من حواليا، بس ماكنتش قادرة افتح عينيا ولا اقوم من مكاني الصوت كان بيعلي ويوطي وفجأة اختفي كأنه ماكنتش سمعاه شوفت عيلين بيحبوا جايين عليا وكانوا بيضحكوا وشكلهم حلو اوي بس فجأة في نار ولعت في المكان وبقيت سامعة صريخ العيال وعياطهم ومش قادرة اعملهم حاجة، لحد ما حسين ان حد بيهزني جامد وسمعت صوت حماتي وهي بتقولي....

-قومي يا بنتي الله لا يسيئك ما تشغليش قلبي عليكي أكتر من كده.

-هو انا مش كنت حامل في توأم؟

-اه يا بنتي.

-اومال هما فين؟ طب الجن خد الولد ورضيت وقولت ده قضا ربنا البنت فين يا حماتي؟ البنت اللي كانت في بطني فين؟

خبطت علي بطني جامد وانا بسألها ووقعت علي الارض وانا بقولها ارجوكي قوليلي بنتي فين وريحيني؟

كل اللي قالتهولي وقتها...

-لا حول ولا قوة الا بالله، ربنا يربط على قلبك يا بنتي ويصبرك.

خدتني في حضنها وانا فضلت اعيط واسألها كل ما اهدا على بنتي وهي ماتردش، لدرجة اني بقيت امش في الشارع ادور عليها واناديها باسمها، انا حياتي اتشقلبت، عايزة ارتاح، وعاوزة عيالي، انا قلبي بيقولي انهم عايشين، قلب الام مابيكدبش يا دكتورة.

-يااااه يا نادية علي الوجع اللي انت فيه، بصي حكاية ان في جنين اختفي بيربطوها دايما عندنا بالجن ويقولك ابجن خطف العيل من بطن امه، بس الجن مايقدرش يعمل كده.

-اومال اللي حصل ده ايه يا دكتورة؟

-علميا في جنين ممكن يتغذي علي جنين تاني خلال فترة الحمل، ودي مش حالة فردية، ده في ستات كتير كانو حوامل في توأم وأوقات في تلاته ومع الوقت بيلاقوا جنين واحد اللي كمل.

-طيب وبنتي راحت فين يا دكتورة؟

-مش عارفة دي بقي بصراحة، انتوا عليكوا تقاليع وحركات غريبة في الارياف، يعني ايه تتوضي بالدم؟ انتي ازاي تعملي كده.

ساعتها الباب خبط ومنار الممرضة دخلت ومعاها واحدة ست اول ما نادية شافتها، جرت واستخبت ورايا وقالتلي...

-هي دي السبب هي اللي ودتني لشهاب.

-اهدي بس يا نادية ماحدش يقدر يعملك حاجة.

بصيت للست وقولتلها...

-انتي مين وعايزة منها ايه؟

-انا حماتها يا دكتورة وبلف عليها من االصبح في العزبة وولاد الحلال دلوني عليها وقالولي انهم شافوها داخلة عندك هنا؛ فجيت اخدها.

-نادية مش هتتحرك من هنا، خديها معاكي يا منار.

-يا دكتورة انتي مش فاهمة حاجة.

-لا للاسف فاهمة كل حاجة نادية حكتلي كل حاجة، بس انا مش عارفة ابوها وجوزها ازاي سيبينك تعملي فيها كل ده؟

-طيب لو سمحتي ممكن تخليها تطلع بره عايزة اقولك كلمتين؟

-خديها معاكي يا منار ماتخافيش يا نادية.

-تسلمي يا دكتورة ماتنسيش موضوع بنتي الله يجبر بخاطرك.

-حاضر.

-خرجت منار وخدت نادية معاها وقفلوا الباب، شاورت لحماتها تقعد فقعدت وقالتلي...

-كتر خيرك يا بنتي، اسمحيلي مش هقولك يا دكتورة والكلام ده.

-اتفضلي...

-بعد فرح نادية وحسن ابني بشهرين عرفنا انها حامل وبعد شوية عرفنا انها حامل فتوآم فحسن ابني عزن اهلها عندنا وقالي يا أمي انا عاوز نعملوا عزومة كبيرة عشان ربنا اكرمنا، جهزنا

كل حاجة واهلها جم وفي وسط الاكل النار هبت مسكت في الدار والكل مات، انا كنت بجيب بقية الاكل من عند الجيران عشان كنا طابخين اكل كتير والفرن بتاعنا ماكفاش لقيت البيت مولع ونادية بتجري، سيبت كل اللي في ايدي وماهمنيش حاجة ولا بيتي ولا ولدي وطلعت اجري وراها لحد ما لقيتها وصلت للمقابر وهناك كانوا بينضفوا قبر عشان في دفنة بعد العصر وقعت في القبر واغمي عليها وعلي ما الناس طلعوها، كان حملها راح وعقلها راح معاه واهي من ساعتها ماشيه في البلد والعزبة تطلع كلام واشاعات علي نفسها وعليا لما اهل البلد وناس العزبة كرهونا... مش هنكر اني وديتها لشهاب عشان يرد عقلها لها بس هو ماعرفش يعملها حاجة خالص عشان كده مابقاش عندي امل انها ترجع طبيعية، وسلمت امي لله، انا اسفة يا ست الدكتورة اذا كنا ازعجناكي انا ولا هي ماعلش انت خدمتك في الارياف هنا يا ما هتوريكي العجب.

خدت بعضها وسابتني قاعدة مذهولة ومشيت وانا فضلت قاعدة متنحة، منار دخلت عليا وقالتلي...

يا دكتورة ده الست خدت ناهد.

شاورتلها بايدي تطلع بره وقومت قفلت عليا باب المكتب وقعدت ورا الباب ماكنتش قادرة اخد نفس من كل اللي سمعته ومش متخيله ان ده بجد ممكن يكون حصل.

***

دار المسنين

الساعة كانت عشرة لما طفيت نور الاوضة عشان انام، ودلوقتي الساعة داخله علي ١٢ ونص وآديني لسه صاحية، حسيت فجأة بحركة قدام باب الاوضة، بلعت ريقي بخوف وحاولت اطمن نفسي ، وقولت هو مين يعني اللي هيبقي صاحي في الدار دلوقتي؟ كنت عارفة اني بكدب علي نفسي؛ فجأة باب الاوضة اتفتح وشوفت واحدة مدخله راسها وبتبص عليا من الباب، أنا ما شوفتش ملامح وشها، بس كان باين انها واحدة لأن شعرها كله كان طويل وجاي على جنب وهي بتبص عليا ، اتخضيت وقومت بسرعة قعدت وقولتلها...

-أنتي مين؟

بس هي ماردتش عليا ولا اتحركت من مكانها، فكرت انها ممكن تكون فاطمة او عفاف أو ام نور ماجلهمش نوم وجايين يقعدوا معايا، بس الغريب انها فضلت واقفة مش بتعمل حاجة بتبص عليا ومركزة معايا بس، لحد ما اتشجعت وقولت لازم اقوم اشوف مين دي؟ شيلت البطانية من عليا، ونزلت رجلي من علي السرير وبصيت ناحية الباب بس فجأة مالقتهاش، خوفت وحسيت بقبضة في قلبي، قربت من الباب عشان اعرف مين اللي كانت هنا؟ حاولت ابين اني مش خايفة فقولت بصوت عالي ...

-لو حد فيكم اللي بيعمل المقلب ده والله مش هرحمه.

كنت بحاول أقنع نفسي لحد اخر لحظة ان الموضوع مالوش علاقة باللي حصل مع عم مأمون. بس فجأة الباب اتقفل وسمعت صرخة جمدت الدم في عروقي، الصرخة دي كانت جاية من....

***

قالتلي...

-صباح الخير يا سارة.

-صباح النور يا ميس كوثر.

-استعديتي يا بنتي.

-أنا خايفة أوي ومرعوبة ماكونش قد المسؤولية وأضرب لخمة وماعرفش اتصرف في أي موقف.

-تاني يا سارة تاني؟ يا حبيبتي أنا هعمل عملية بسيطة وفي فترة النقاهة هبقي معاكي على التليفون في أي حاجة تعوزيها هتلاقيني.

-أنتِ عارفة اني ماليش في الدلع وبتاعت شغل بس الليلة دي كبيرة عليا.

لا يا سارة مش كبيرة، انت عشان عندك شوية رهبة من البداية اول ما تتعودي هتلاقي الدنيا كويسة وبعدين انتي بقالك تلت سنين من اول ما اتخرجتي وانتي اغلب وقتك بتقضيه معانا في الدار يعني مفروض تكوني حافظة كل حاجة.

-أنا...

-ماتقطعيش قلبي يا سارة عاجلا او اجلا هتمسكي ادراة الدار دي وصية جدتك الله يرحمها.

-بس...

-انا همشي يا سارة عشان الحق اعمل التحاليل بتاعة العملية واستعد، لو احتاجتي أي حاجة يا حبيبتي كلميني مترددیش.

-تروحي وترجعي بالسلامة يا ميس كوثر.

مشيت وسابتني في المكتب، احنا في دار "آل يزيد" لرعاية المسنين هنا عندنا سبع حالات مقيمة في الدار سته منهم ستات وراجل واحد بس اسمه مأمون، اما الباقي فاللي اعرفهم في الستة مدام عفاف وأبله فاطمة، أغلب الحالات هنا، حقيقي قصصهم تقطع القلب، أنا جدتي اللي عملت الدار دي كصدقة علي روح والدها الله يرحمه وخصصت جزء كبير من ريع أرضها عشان تصرف علي الناس المقيمين في الدار... ميس كوثر هي اللي كانت بتساعد جدتي في الادارة قبل ما تتوفي، عشان كده استلمت الادارة بعدها، لأن انا كنت لسه بدرس ومستحيل اعرف اوفق بين الدراسة وادارة الدار، ولسوء حظي انها تعبت جدا في الفترة الاخيرة والدكتور امرها تعمل العملية في اسرع وقت، كنت واقفه وببص من شباك المكتب علي فاطمة وعفاف وهما قاعدين بيتكلموا، كأنهم صحاب وحبايب من سنين، لمحت ضل واقف جنبي غير ضلي، لفيت بخضة بسرعة، وبعدين غمضت عيني واترميت علي الكرسي....

-هو انتي مش تخبطي قبل ما تدخلي؟

-أنا خبطت والله يا استاذة سارة، وبقالي يجي ربع ساعة واقفة علي رجلي بنادي علي حضرتك بس انتي كنتي سرحانة.

-طيب خلاص ما علينا كنتي عايزة ايه يا أم نور؟

-عايزة اروح بدري النهارده وبكره هتلاقيني من النجمة هنا.

-تروحي؟ ولو جري لحد حاجة بالليل اعمل ايه؟ ألبس انا في أي مصيبة ولا استناكي لما ترجعي؟

-ده هما كام ساعه مسافة الليل، انا بقالي كام يوم ما شوفتش عيالي ونور بنتي تعبانة اوي.

-ماليش فيه، اتفضلي علي شغلك يلا.

-ماشي يا استاذة ربنا يسامحك.

-ربنا يسامحنا كلنا اتفضلي.

سابت المكتب ومشيت، ماينفعش اسمع كلامها هي أو غيرها واسيب السايب في السايب مهي كانت ماشية زي الالف، دلوقتي افتكرت ان بنتها تعبانة!... كل حاجة هنا بمواعيد، راجعت الجدول اللي ميس كوثر سيباه تاني، وطلعت مريت علي كل حاجة واتأكدت ان الدنيا كلها في الدار ماشية تمام لحد ما قعدنا اتعشينا كلنا وبعدين كل واحد راح أوضته ما عدا عم مأمون، رفض يتحرك من مكانه وأصر يفضل قاعد في الصالة، ماكنش قدامي غير اني اقعد معاه، أكيد مش هسيبه واروح اوضتي انام، حاولت افتح معاه كلام فقولتله...

-ايه يا راجل يا طيب مش عاوز تروح اوضتك ليه؟

-مافيش حاجة يا بنتي؛ أنا بس من غير ما تضحكي عليا وتقولي راجل كبير وبيخرف .. بقيت اخاف أقعد في الاوضة لوحدي.

-تخاف من ايه في حد هنا في الدار عملك حاجة؟

-لا يا بنتي خالص، انا بس مابقتش بعرف أرتاح ومش بنام كويس.

-تحب تغير الاوضة؟

-مالهاش لزمة أنا هكلم وليد ابني واترجاه يجي ياخدني، حابب اموت علي فرشتي.

-ايه اللي بتقوله ده وحد الله، ده انت مكتئب بقي!

-اللي بشوفه ما يستحملوش بشر.

-بتشوف ايه؟ أنت كده قلقتني يا عم مأمون؟

-في ناس بتحاول تقتلني.

-ناس مين؟ وازاي وفين؟

-معرفهمش هما مين، بس بشوفهم في احلامي ولما بفوق بلاقيهم واقفين قدامي وبيبصولي جامد وبيختفوا بعد كده في لمح البصر.

-ده انت بتتفرج علي افلام اجنبي كتير بقى يا عم مأمون.

-ابدا والله يا بنتي انا كل اللي عاوزة اني اخرج من هنا، انا اخر كابوس شوفته النهاردة الصبح كنت نايم علي السرير، وواحد شبهي واقف جنبي وبيخنقني ولما صحيت لقيته قدامي بس فجأة اختفي، انا مش عارف ده مين بس متأكد اني شوفته.

-انت زهقت مننا وعاوز تسيبنا وتمشي بس بتجيبها في الكوابيس.

-ريحيني الله يباركلك وكلميلي ابني.

-حاضر، اكلمهولك دلوقتي؟

-لا مافيش داعي تقلقيه دلوقتي، بكره الصبح ابقي كلميه.

-ماشي، تعالي بقي اوصلك اوضة تانية غير اوضتك يمكن تنام من غير كوابيس.

-بلاش يا بنتي الله يخليكي.

-الاوضة اللي جنب اوضتي اللي هقعد فيها.

-خلاص اللي انت شيفاه يا سارة يا بنتي.

ناديت علي ام نور عشان تفتح الاوضة اللي جنب اوضتي وتروقها علي السريع، لما خلصت تنضيف، خدت عم مأمون ووصلته بنفسي للاوضة واطمنت انه خد علاجه وفضلت قاعدة جنب السرير لحد ما اتأكدت انه راح في النوم، فاتسحبت علي طراطيف صوابعي وخرجت من الاوضة وقفلت بابها ورايا وروحت اطمن علي الباقي وبعدين رجعت اوضتي، كنت حاسة اني دايخة ودماغي تقيلة حبتين، وصلت للسرير بالعافية، بمجرد ما فردت جسمي عليه نمت وماحستش بحاجة بتحصل حواليا.. ما كملتش أربع ساعات وصحيت وماعرفتش انام بعدها

كنت قاعدة علي السرير مربعة، وباصة للسقف، تحديدًا مركزة مع اللمبة، النور كان بيروح ويجي، كأن حد بيلعب في الكهربا، وبعدها الكهربا قطعت خالص وفضلت وقت طويل وفجأة

سمعت صوت باب بيتقفل جامد، سحبت الشمعة اللي جنب السرير وخرجت بسرعة اشوف في ايه لقيتهم كلهم في الممر واقفين قدام أوضة عم مأمون، بصيت لأم نور وكنت مستنياها تقول في ايه؟

لكن هي رفعت كتافها وقالتلي...

-احنا سمعنا صوت خبط جاي من جوه بس ماحدش يعرف في ايه بيحصل وبنخبط عليه مش بيفتح.

جريت علي الباب بتاع اوضته وفضلت اخبط عليه لكن هو ماردش خالص، بلعت ريقي بصعوبة والخوف بدأ يتملك مني أكتر مع كل مرة بنادي او بخبط عليه فيها ومش بيرد، لحد ما قررت ان اكسر الباب بتاع الاوضة لانه مقفول من جوه، وفعلا نادينا علي البواب اللي رفع كوبس الكهربا وقالنا ان كان في قفلة، نادي علي بواب العمارة اللي جنبنا وطلعوا كسروا باب الاوضة، ولما دخلنا كانت الصدمة، الاوضة كانت مكركبة ومبهدلة، مافيش حاجة واحدة فيها في مكانها، بدأت أدور علي عم مأمون هنا وهناك لكن ما كنش ليه أي أثر، وقفت في نص الاوضة وانا حاسه ان دماغي هتنفجر مش مستوعبه هو راح فين الاوضة شبابيكها مقفولة وبابها كان مقفول عليه، مافوقتش غير علي صرخة عفاف وهي بتقول...

-الحقوا يا جماعة في دم هنا.

اتفزعت وبصيت بسرعة علي المكان اللي كانت بتشاور عليه، كان في دم فعلا علي السرير تحت البطانية، وفي اثار خربشات ومخالب مقطعة الملاية وكمان المرتبة، لكن ماكنش في

اي اثر لعم مأمون خالص، طلبت منهم ماحدش يلمس حاجة وكلمنا البوليس اللي جه رفع البصمات وخد اقوالنا وعمل اللازم، كانت ليلة طويلة ما خلصتش غير الصبح لما البوليس مشي، ساعتها بس كل واحد دخل اوضته من غير ما يكلم التاني، وقفل بابه عليه وسكت لأنه ماكنش في تفسير لكل اللي حصل، حتي البوليس مالقاش عم مأمون ولا حد فينا عارف اللي جراله، بس ثانية انا ازاي راحت عن بالي ده كان قبلها خايف ومرعوب من كوابيسه والناس اللي بيشوفهم فيها وكان بيقول ان فيهم حد كان عاوز يقتله، يا ربي ايه الهبل اللي بقوله ده، انا من يوم واحد في الدار دماغي لسعت ومابقتش قادرة أفكر صح... قعدت اكلم نفسي لحد ما روحت في النوم.

وتاني يوم اول ما صحيت كلمت ميس كوثر عشان احكيلها علي اللي حصل بس للاسف بنتها ردت عليا وقالتلي....

-كوثر تعبت قبل العملية وحاليا موجودة في العناية ادعيلها.

قفلت معاها ومنطقتش، فضلت قاعدة في المكتب، انا حتي مش عارفة أوصل لابن عم مأمون عشان أبلغه باللي حصل وبعدين هبلغه اقوله ايه باباك اختفي جوه اوضة في الدار، كانوا متجمعين في الصالة، روحت قعدت معاهم، كل واحد كان خايف يرفع عينه ويبص للتاني لحد ما قولتلهم....

-تفتكروا ايه اللي حصل لعم مأمون؟ يا ترى هو كويس؟

ردت ام نور بسرعة وقالتلي...

-كويس ازاي يا استاذة؟ هو انتي ما شوفتيش معانا الدم والمخالب اللي علي السرير!

-شوفت الدم، بس المخالب دي عقلي مش مستوعبها.

كل اللي كانوا موجودين قاعدين خايفين ومرعوبين منهم اللي اتصل بقرايبه او عياله عشان ياخدوهم وفي اللي رجع قعد لوحده في بيته، في كل الحالات اللي الدار صفصفت عليهم كنت انا وعفاف وفاطمة وام نور ودي اللحظة اللي بدأ فيها الرعب الحقيقي.

كنت مستنيه يطلع أمر من البوليس يقفل الدار في أي لحظة، بس ماكنش في أي تحرك خالص لأن مافيش جثة اصلا، ولما كلمت الظابط عشان اتابع الدنيا قالي بالنص يا استاذة الفحص الجنائي أثبت ان الباب مافيهوش مفتاح ولا ترباس يبقي ازاي بتقولوا كان مقفول من جوه؟... قفلت معاه وانا حاسه ان في حاجة غلط لأن الباب فعلا ماكنش بيتفتح.

قررت أمشي امورنا في الدار ونستحمل لأن الدار مش هينفع مهما حصل تتقفل... كل يوم بالليل كنا بنسمع صوت جاي من أوضة عم مأمون بيتخانق مع حد في الاوضة، كنا بنقف قدام الباب ونسمع أصوات عالية وصريخ جاي من جوه الاوضة، اللي اختفي فيها مأمون وأول ما نفتحها مانلاقيش فيها أي حاجة خالص، الوضع ده فضل يومين فكان لازم أحط حد لكل اللي بيحصل ده، فقررت ان كل اتنين يناموا مع بعض في اوضة واحدة وماحدش يخرج من الاوضة لوحده وننام كلنا بدري، ونقعد كلنا تحت وماحدش يطلع الدور التاني ده خالص...

عفاف وفاطمة قعدوا مع بعض وام نور قعدت في الاوضة اللي جنبهم وانا خدت الاوضة اللي جنب المكتب في وش اوضهم، كنا بنسمع أصوات جاية من الدور اللي فوق، تحديدا من الاوضة اياها، احنا بنسهر كلنا في اوضة فاطمة وعفاف وبعدين اوصل ام نور اوضتها واروح اوضتي اقعد فيها لحد ما انام، عدي اسبوعين علي الوضع ده وماحدش عارف ميس كوثر هترجع امتي من يوم ما خرجت من الدار وانا كل ما اتصل بيها بنتها تقول في العناية، ووقتي مش سامحلي حتي اخرج من الدار واروح اطمن عليها.

فضلت سهرانة طول الليل افكر في كل اللي بيحصل واربط كوابيس عم مأمون باختفاءه، يمكن.... لا لا ده مستحيل يحصل كده، فجأة سمعت صوت كركبة، خرجت من الاوضة ومشيت ورا صوت الكركبة لحد ما دخلت المطبخ واتصدمت لقيت التلاجة مفتوحة والاكل كله علي الارض والترابيزة عليها دم...

حاولت اتمالك نفسي وجريت بسرعة وفتحت باب الدار ووقفت علي السلم انادي البواب اللي كان تقريبا نايم وصحي مخضوض من صوتي، جه يجري وهو بيقول...

-مالك يا استاذة سارة في حاجة؟

ماتكلمتش شاورتله يجي ورايا بسرعة ودخلت المطبخ، وهو ورايا وام نور كانت صحيت وجت المطبخ هي كمان تشوف في ايه، كنا واقفين مصدومين، ماحدش قادر ينطق... البواب بعد كام دقيقة اتحرك وجاب كيس اسود وحط فيه القطة اللي كانت مدبوحة علي ترابيزة الاكل وبصلنا وقال...

-دي قطة الجيران بقالهم فترة بيدورا عليها.

نطقت بصعوبة وانا حاسه اني هيغمي عليا...

-وايه اللي جاب قطة الجيران هنا ومين اللي دبحها وليه تتحط علي ترابيزة الاكل وليه المطبخ مقلوب بالشكل ده؟

ساعتها ام نور قربت مني وشدتني بره المطبخ وشاورت للبواب عشان يرمي الكيس اللي فيه القطة ويرجع، شدتني لحد ما قعدنا في الصالون وقالتلي...

-اهدي يا استاذة مش كده.

-انا مش فاهمة ايه اللي بيحصل؟ هو ده كان بيحصل وميس كوثر ماسكة الادارة؟

-اهدي بس وتعالي نفكر بالعقل.

-هو انا بقي فيا عقل من يوم ما مسكت الزفته دي؟

-أنا شاكة بصراحة لن اللي بيحصل ده بسبب العفاريت.

-عفاريت!

-اه يا استاذة، اكيد عم مأمون ده كان بيحضر حاجة او ليه علاقة بالجن، اومال الدم والمخالب وجثته اللي مش موجودة دي تفسريها بايه؟ اكيد كان بيحضر حاجة وحصل حاجة في النص فخلصوا عليه، او...

-أو ايه؟

-أو كان عاوز يخلص منهم ويفك العهد اللي بينه وبينهم ويتوب.

-فيقتلوه!

-اه.

-وانتي عرفتي الكلام ده منين؟

-ده تخمين أصل هو كان بيتكلم علي الجن والعفاريت قدامنا اكتر من مرة، حتي ابلة كوثر في مرة سمعته وزعقتله وكان بيديني فلوس اجبله كتب.

-طيب واللي حصل في المطبخ؟

-اكيد منهم يا استاذة، حتي الاصوات والخبط اللي بنسمعه كل يوم، اكيد روح مأمون متعلقه فوق وهي اللي بتعمل كده عشان تلفت انتباهنا ونحررها.

-تمام مقداميش غير اني اصدقك بالرغم من اني مش بثق في الكلام ده، بس قوليلي دلوقتي ايه العمل، نرجع الدار زي ما كانت ازاي؟

-والله ما قدمناش غير اننا نشوف شيخ او وسيط عشان يخلص لنا الموضوع ده..

البواب دخل ووقف قدامنا وقالي...

-استاذة سارة انا دفنت القطة ومسحت الدم، في حاجة تانيه أعملها لحضرتك.

-ماشي تمام كتر خيرك، لو في حاجة هنادي عليك.

-ماشي يا استاذة.

ساعتها ام نور اتحركت وقالت....

-وانا هقوم اروق المطبخ عشان ماحدش يصحي ويتفزع من منظره كده.

مشيت وراها لحد المطبخ، بدأت ترتب فيه وانا فضلت واقفة بتفرج عليها وبدور الكلام اللي قالته في دماغي، اتسحبت

بشويش وطلعت الدور التاني، كنت حاسه ان في حاجة بتناديني وبتشدني للأوضة اللي اختفي فيها عم مأمون، وقفت قدامها، ماعرفش الشجاعة اللي انا فيها دي جبتها منين؟ حطيت ايدي علي كالون الباب؛ كان في صوت حد بيعيط جوه، فتحت باب الاوضة علي اخرة ووقفت علي العتبة وبصيت عليها من جوه، كالعادة الاوضة مترتبة ومافيهاش حد خالص، اومال صوت العياط ده كان جاي منين؟ يظهر ان ماقداميش غير اني امشي في الطريق اللي ام نور قالت عليه، دخلت الاوضة وبدأت أدور في حاجات عم مأمون يمكن الاقي حاجة تفيدني بس كل اللي كام موجود ورق مرسوم عليه حاجات غريبة وكام كتاب قديم مش فاهمه دول بتوع ايه؟ وكان في نوته صغيرة مسكتها وقلبتها في ايدي وبعدين فتحتها بس فجأة الكهربا قطعت، وحسيت ان الدنيا بتلف بيا، كنت ببلع ريقي بصعوبة، الدنيا ضلمة وموبايلي مش معايا، والمكان غريب عليا مش حفظاه، اتكعبلت وانا ماشية وقبل ما اقع في ايد اتمدت ومسكتني من هدومي، حسيت ساعتها ان الدم اتجمد في عروقي وان عقلي بقي عاجز مش مجمع بصيت ورايا لقيت في حد شايل شمعة ومش باين في الضلمة ده مين بس صوتها لما اتكلمت هداني شوية...

-انتي كويسة يا استاذة سارة، احنا مش اتفقنا ان ما حدش يطلع هنا ايه اللي طلعك؟

-ام نور. قلبي كان هيقف من الخضة.

رفعت الشمعه شوية فالنور جه علي وشها وبان فقولتلها...

-انا كنت كويسة قبل النور ما يقطع.

-ايه اللي طلعك هنا في الوقت ده لوحدك؟

-ماعرفش كنت حاسة ان في حاجة بتشدني وبتنادي عليا.

-طيب يلا ننزل بسرعة الله يباركلك وماتطلعيش هنا لوحدك ولا انت عايزة تتأذي المرة دي ربنا ستر، يا عالم الجاي هيبقي ايه!

خوفت اوي من كلامها فقولتلها...

-طيب يلا بينا ننزل

أول ما نزلنا، دخلت المطبخ اطمنت ان كل حاجة فيه تمام وبصيت لام نور وقولتلها...

-انا مش عارفة اقولك ايه؟ بس حقيقي الله يباركلك انك مستحمله معانا كل ده وبنتك تعبانه وسيبتيها وقعدتي معانا واحدة غيرك كانت سابت الشغل.

-أختي راحت تقعد بيها اكيد مش هسيب الدار في وقت زي ده.

-هعوضك والله بس نخلص، بقولك شوفي موضوع الشيخ ده.

-حاضر يا استاذة، ربنا يسهل الحال.

-تصبحي علي خير انا هروح انام بقي.

دخلت اوضتي وطلعت النوته بتاعت مأمون اللي لقيتها في الاوضة، انا كنت حطيتها في جيبي لما الكهربا قطعت، مسكتها وفتحتها، كان شكل الكفر بتاعها غريب وقديم، فاضية مافيهاش غير صفحة واحدة مكتوب فيها رقم تليفون، كان رقم ارضي،

قررت ادور عليه بحثت عن الرقم ماطلعليش أي داتا، فحطيت النوت جنبي وقعدت افكر بخيبة امل، هو ده ممكن يكون رقم مين؟

نمت وانا قاعدة مكاني علي الكرسي، ولما صحيت كان جسمي كله مكسر ومتشنج وبيوجعني، بصيت حواليا وافتكرت النوته والرقم وقولت هتصل بالدليل ١٤٠ وأشوف ده تليفون مين؟ دورت حواليا علي النوته بس مالقتهاش، بصيت علي الارض ودورت تحت الكرسي، ماكنلهاش وجود خالص، لوهلة فكرت اني كنت بحلم ومافيش نوته ولا رقم، بس قولت لازم اتأكد، بس ازاي ده حتي ام نور ماشفتهاش في ايدي... باب الاوضة خبطت ودخلت عفاف ووشها كان باين عليه الرعب والفزع وواقفة بترعش وقالتلي بصوت مهزوز...

-انا صحيت من شوية ودخلت الحمام عشان اتوضى بس يا بنتي الحيطان كانت بتنزل دم.

-نعم! حيطان ايه اللي بتنزل دم في الحمام.

-اه يا بنتي والله.

اللي بيحصل ده كتير عليا، سيبت الاوضة وطلعت اجري علي الحمام، لقيت ام نور وفاطمة واقفين علي باب الحمام حاطين ايدهم علي بوقهم وعيونهم مغرغرة بالدموع، أرضية الحمام كان عليها دم والحيطان كمان كان عليها دم، رجعت لورا، ماكنتش قادرة اتنفس بصيتلهم بخوف وقولتلهم...

-انا عايزة حد يفهمني، اللي بيحصل ده كان بيحصل قبل ما ابقي مقيمة هنا ولا الموضوع ده جديد.

ردت أم نور عليا وقالتلي...

-الشهادة لله من أول ما اشتغلت هنا ما شوفتش حاجة زي دي في الدار، اللي بيحصل ده مش طبيعي، في حاجة في المكان ولازم تتصرف.

-قولتلك شوفي اي حد واتصرفي بسرعة.

-حاضر هنضف الحمام واتصرف وانتوا روحوا اقعدوا مع بعض.

فكرت اكلم حد من صحابي واخليه يحكي اللي بيحصل ده من أكونت فيك علي الميديا ويطلب منهم يساعدونا نوصل لحقيقة اللي بيحصل في الدار، بس انا كنت عارفه كويس ان الناس مش هترحم الدار وهيدمروا سمعتها، دار المسنين دي حلم جدتي، هي حلمت وسعت واجتهدت عشان تعمل صرح كبير باسم اهلها، طردت الفكرة من دماغي وقررت اواجه كل حاجة مش هسيب تعب سنين يضيع، بصيت لعفاف وفاطمة وام نور وقولتلهم...

-يا جماعة لو في حد فيكم عاوز يروح بيته او عند حد قريبة انا ممكن اوصله، لو مش مرتاحين قولوا عادي.

ردت عفاف وقالت...

-احنا مالناش مكان تاني غير الدار هنا، لما عيالي رموني في الشارع مالقتش غير الدار هنا وفاطمة كمان اخواتها لما حرموها من الورث وجابوها هنا الدار استقبلتها عادي، ماحدش فينا بيسيب بيته الا لو بيته مش عاوزه.

-ابدا والله الدار منورة بيكوا بس انا مش حمل ان حد فيكوا يجراله حاجة بسبب اللي بيحصل هنا وعمتا ام نور هتجيب شيخ يشوف وضع الدار وبعد كده هنقعد نشوف هنعمل ايه؟

بالليل كل واحد دخل اوضته؛ حتى انا دخلت وقعدت علي السرير بس ماكنش جايلي نوم، فجأة جه في بالي النوتة اللي اختفت وفتحت الموبايل وحاولت افتكر الرقم واكتبه ولحسن حظي كان لسه السيرش علي جوجل مكتوب فيه الرقم، حسيت ان دي اشارة، خدت الرقم كوبي وحفظته علي التليفون وقررت اوصل لصاحب الرقم ده بأي طريقة، الساعة كانت عشرة لما طفيت نور الاوضة عشان انام ودلوقتي الساعة داخله علي ١٢ ونص وآديني لسه صاحية، حسيت فجأة بحركة قدام باب الاوضة، بلعت ريقي بخوف وحاولت اطمن نفسي ، وقولت هو مين يعني اللي هيبقي صاحي في الدار دلوقتي؟ كنت عارفة اني بكدب علي نفسي؛ فجأة باب الاوضة اتفتح وشوفت واحدة مدخله راسها وبتبص عليا من الباب، أنا ما شوفتش ملامح وشها، بس كان باين انها واحدة لأن شعرها كله كان طويل وجاي على جنب وهي بتبص عليا ، اتخضيت وقومت بسرعة قعدت وقولتلها...

-أنتي مين؟

بس هي ماردتش عليا ولا اتحركت من مكانها، فكرت انها ممكن تكون فاطمة او عفاف أو ام نور ماجلهمش نوم وجايين يقعدوا معايا، بس الغريب انها فضلت واقفة مش بتعمل حاجة بتبص عليا ومركزة معايا بس، لحد ما اتشجعت وقولت لازم اقوم

اشوف مين دي؟ شيلت البطانية من عليا، ونزلت رجلي من علي السرير وبصيت ناحية الباب بس فجأة مالقتهاش، خوفت وحسيت بقبضة في قلبي، قربت من الباب عشان اعرف مين اللي كانت هنا؟ حاولت ابين اني مش خايفة فقولت بصوت عالي ...

-لو حد فيكم اللي بيعمل المقلب ده والله مش هرحمه.

كنت بحاول أقنع نفسي لحد اخر لحظة ان الموضوع مالوش علاقة باللي حصل مع عم مأمون. بس فجأة الباب اتقفل وسمعت صرخة جمدت الدم في عروقي، الصرخة دي كانت جاية من ورايا، انا مالحقتش أبص علي المكان اللي الصرخة طلعت منه لأن نور الابجورة الضعيف انطفي اصلا، والجو في الاوضة بقي متلج، كنت واقفة بترعش وبنادي بصوت مهزوز...

-يا أم نور الحقيني.. يا عفاف يا فاطمة

صرخت بصوت عالي بس مرة واحدة حسيت ان صوتي اتحبس جوايا ومابقتش قادرة انطق، في نفس الوقت كان في نفس دافي بيخبط في وشي وبعدها حسيت ان في حد ماسكني من كتافي وبيهزني جامد.

***

كنت حاسة بصداع فظيع، فتحت عينيا بالعافية، شوفت وقتها كل حاجة مشوشة، في وشوش كتيرة في المكان بس مش واضحة، غمضت عيني وفتحتها تاني، الدنيا كانت اهدي شوية، كانت ام نور واقفة جنبي وماسكة ايديا وعفاف وفاطمة قاعدين علي طرف السرير بيبصولي وهما خايفين، أم نور طبطبت علي ايدي وقالتلي...

-حمد لله علي سلامتك حاسه بايه دلوقتي؟

-صداع فظيع.

-طيب الحمد لله انها جت علي قد كده.

-هو ايه اللي حصل؟

-مفروض احنا اللي نسألك!

-أنا مش فاكرة غير اني كنت قاعدة علي السرير وسمعت حركة بره وبعدها في واحدة دخلت الاوضة...

حكيتلها كل اللي حصل فلقيتهم هما التلاتة بيبصوا لبعض باستغراب وبعدها عفاف قالت...

-أنا لقيتك مغمى عليكي يا سارة يا بنتي قدام السلالم اللي بتطلع علي الدور التاني وماكنتش عارفة انتي كنتي طالعه واتكعبلتي ولا وقعتي من علي السلالم؟ روحت خبطت علي فاطمة وام نور وشالوكي معايا ودخلناكي الاوضة.

-بس انا مش فاكرة اني خرجت من الاوضة اصلا.

نطقت عفاف وقالت...

-يمكن بتمشي وانت نايمة!

بس أم نور نهت الحوار كله وبصتلي وقالت..

-ويمكن حد تاني كان مسيطر عليها.

وبصتلي وقالتلي...

-اطمني خلاص الشيخ ابو هاشم جاي، انا بعت حد ليه وقال هيجي.

عفاف كانت مرعوبة فقالت...

-يا رب يجي في أسرع وقت.

فرديت عليها بضعف واستسلام وقولتلهم..

-مش فارقة انا بعد اللي شوفته امبارح قررت اسيب كل حاجة وأقفل الدار او اسيبها للاوقاف تتصرف هي فيها.

لكن ام نور قالت....

-لو ميس كوثر كانت موجودة بينا دلوقتي عمرها ما كانت هتوافق علي اللي بتعمليه ده ولا هترضي بيه.

مش عارفة هما ليه شايفين موضوع اني اقفل الدار سهل عليا، يمكن هما مش فاهمين الوضع عشان كده قولتلهم...

-واضح انكوا مش فاهمين اللي بيحصل ولازم حد يشرحلكم، قوليلهم يا ام نور علي كل اللي حصل.

بدأت تحكيلهم كل حاجة فاتتهم وخبيناها عليهم عشان مانخوفهمش من اللي بيحصل في الدار ساعتها وشهم قلب وبقوا خايفين اوي بس في نفس الوقت كان شكلهم مضايقين، انا عارفه ان الاتنين مالهمش حد في الدنيا وماحدش بيجي يبص عليهم حتي، فقولتلهم...

-صدقوني انا مش عارفة اعمل ايه؟ بس انا هتصل بميس كوثر هشوف رأيها فاللي بيحصل ده.

سيبتهم قاعدين وروحت المكتب، مسكت الفون واتصلت بميس كوثر وبنتها لكن ماكنش في رد خالص كالعادة، فضلنا قاعدين مستنين الشيخ، وفجأة خطرت في بالي فكرة، فاستآذنت منهم وسيبتهم في الصالة ودخلت المكتب وقفلته عليا وطلعت الرقم اللي كان في النوته واتصلت بالدليل ١٤٠ وقولتله

ان في حادثة وواحد من المتوفيين مش معاه اي اثبات غير ورقه مكتوب فيها الرقم ده، سألته علي اسم الشخص اللي متسجل بيه الرقم عشان استعين بيه في تحديد هوية الراجل المتوفي ونجحت الخطة وخدت اسم الشخص كتبته في ورقة وقفلت وبمجرد ما قفلت المكالمة، الباب خبط وام نور قالت الشيخ أبو هاشم وصل، خدت نفس عميق ومشيت وراها لحد ما وصلنا الصالة، كنت متوترة وقلقانة من اللي هيحصل وقفت قدامه كان قاعد وماسك في ايده سبحة وعفاف وفاطمة قاعدين والبواب واقف جنبه، ام نور قالتله...

-أستاذة سارة دي اللي ماسكة ادارة الدار علي ما استاذة كوثر ترجع بالسلامة وهي تبقي حفيدة صاحبة الدار.

-اهلا يا بنتي اتفضلي.

قعدنا كلنا نبص لبعض، ماحدش عارف مفروض نبدأ منين...

-احكولي من البداية..

-انا ماعرفش لو في حاجة كانت بتحصل قبل كده ولا لا بس من اول ما مسكت وبدأت تحصل حاجات كتيرة غريبة..

حكيتله كل اللي حصل وبعد كدأ كل واحد يحكي اللي شافه ولما خلصنا قال..

-انا من اول ما دخلت المكان وانا حاسس ان عتبته مش مريحه وبعد كلامكم اتأكدت من احساسي.

-يعني ايه يا شيخ؟

-هتفهمي يا استاذة سارة بس بعد ما أطلع الاوضة اللي اختفي فيها الراجل اللي كان معاكوا هنا.

-اتفضل يا شيخ.

-مش هينفع نطلع كلنا، هاخد استاذة سارة وام نور معايا وحضراتكم هتفضلوا هنا تقرأوا آيات معينة هقولكوا عليها عشان تحصنونا وتحصنوا نفسكم وماحدش يتأذي.

وافقنا على كلامه فبص لعفاف وفاطمة والبواب وقالهم الايات اللي مفروض يقولوها وطلب منهم انه مهما حصل مايوقفوش الا لما ننزل.

طلعنا مع الشيخ الدور التاني ووقفنا قدام باب الاوضة، ام نور كانت واقفة قدام الباب وهتفتحه، لكن الشيخ وقفها وقالها تبعد عن الباب ومسك الاوكره وبدأ يقرا قرآن بصوت واطي وبعدين فتح الباب، الاوضة كانت متربه وفيها عنكبوت كتير، الشيخ بصلنا وقال...

-هي دي الاوضة.

هزيت راسي وام نور اتكلمت وقالتله...

- ايوه هي يا شيخ.

-الباب ده اتصلح امتي؟

-تاني يوم علي طول.

دخل الاوضو وام نور دخلت وراه، بس انا فضلت واقفة قدام الباب، جسمي كله كان بيتنفض، كنت سامعه صوت بيقولي، ماتدخليش، اهربي يا سارة، بصيت حواليا بخوف، ام نور بصت وراها ونادت عليا؛ فسألتها....

-أنت سامعه حاجة؟

-حاجة ايه؟ في ايه؟

الشيخ ساعتها انتبه لكلامنا ورجع وقف قدامي ومسك دماغي وبدأ يهزها جامد ويزعق ويقول...

-اخرج منها يا ملعون، اخرج.

كنت خايفة ومرعوبة، حاسة اني دايخة والدنيا بتلف بيا نظرات الشيخ اصلا كانت رعباني أكتر، كنت حاسه ان قلبي هيقف من الخوف، أخيراً ساب دماغي وقالي...

-بقيتي أحسن دلوقتي؟

هزيت راسي ماكنتش قادرة اتكلم؛ سابني وكمل لف في الاوضة، وقف عند ركن معين وطلب من أم نور تجيب ورق وقلم، رفض يقعد علي السرير؛ فرش عبايته وقعد علي الارض ومسك الورق وفضل يكتب عليه ويطبقه وبعد كدا قام وزع الورق اللي طبقه في أركان الاوضة الاربعة، ورجع وقف قدام كل ورقه وفضل يتمتم بصوت واطي لحد ما في الركن التالت الورقة ولعت وسمعنا صوت صرخة بصوت عالي، وبعدها الشيخ على صوته وهو بيقرأ نفس الايات اللي قالهم يقروها تحت، وفجأة وقع مغمى عليه، جريت عليه انا وام نور وحاولنا نفوقه، كان جسمه كله متلج وبيتنفض، لما فاق قام وكمل اللي كان بيعمله، وبعدها بصلنا وقال...

-هو اللي في البيت اتحرق الحمد لله بس احنا محتاجين نرجع الراجل اللي اختفي من عندهم والا...

بلعت ريقي وانا خايفة من بعد والا دي، ام نور قالتله...

-والا ايه؟

-والا قرينه هيبقي متسلط على اللي موجودين في المكان.

ماكنتش فاهمه فسألته...

-يعني ايه قرينه هيبقي متسلط...؟

-يعني زي اللي حصل مع الحاجة عفاف في الحمام، الدم اللي شوفته، والقط المدبوحة، هيكرهكم في المكان سواء انتوا او أي حد هيجي بعدكم.

-طيب والعمل؛ الدار كده هتتقفل؟

-هنعمل محاولة نرجع بيها جثة مأمون ولو ماقدرناش الدار لازم تتقفل.

الشيخ لم الورق اللي ماتحرقش من اركان الاوضة ولما نزلنا تحت طلب من ام نور تجيب حاجة فيها مايه وملح وحط الورق فيها وطلب من ام نور تسقي بيه اي زرع موجود في المكان وبعد كده حصنا كلنا ومشي، ماكنش ليا نفس اكل معاهم فسيبتهم ودخلت اوضتي، مسكت صورة جدتي وفضلت بصالها شوية كتير مافوقتش غير والموبايل بيرن، كانت واحدة صاحبتي بتطمن عليا، كلمتها كلمتين وقفلت معاها وقبل ما اسيب الموبايل من ايدي افتكرت ارن علي الرقم اللي لقيته في النوته بتاعت مامون، مع ان خلاص مابقاش للموضوع فايده لأن الرقم اصلا ماطلعش بتاع ابنه، رنيت عليه مرة واتنين للاخر ماحدش رد فسيبت الموبايل من ايدي وحطيت راسي علي المخده، وفجأة سمعت صوت رنة الرسالة، قومت مخضوضة، مسكت الموبايل وفتحت الرسالة...

-ماترنش عليا تاني يا مأمون أنا مابقاش ليا في جو التحضير ده.

فضلت متنحة شوية، وبحاول افهم، انا اتصلت من الموبايل علي رقم ارضي يبقي كان في حد جنب التليفون وسجل الرقم ومارديش، طيب هو ليه قال مأمون يعني، ازاي متأكد انه هو اللي بيرن، يمكن ماحدش غير مأمون اللي يعرف الرقم ده؟ جايز ليه لا؟

فضلت الليل صاحيه، مش عارفه انام وعلي الساعة ٣ بالليل لمحت من تحت عقب الباب ضل كان واقف واتحرك بسرعة، علي قد ما كنت مرعوبه كان عندي فضول اعرف ايه اللي بيحصل، وخصوصا بعد ما سمعت صوت الباب الرئيسي بتاع الدار وهو بيتفتح، واربت باب الاوضة واتسحبت لحد ما وقفت في جنب في الصالة وشوفت ام نور وهي واقفة بتكلم حد من علي الباب وبتقوله، استناني عند الباب اللي ورا ماتبقاش غبي واسمع الكلام، حاولت اشوف هي واقفة مع مين لكن ماعرفتش فاستخبيت لحد ما عدت وفضلت ماشيه وراها، الدنيا كانت ضلمه، انا سامعه صوت اللي بيكلمها بس مش شيفاها اتصدمت لما قالها...

-قولي لمأمون يبعد عني بقى، ده اخر تحذير، هروح ابلغ عنه.

-قولي بس اللي حصل؟

-اتصل بيا علي التليفون الارضي بتاع الشغل.

-عم مأمون اتصل بيك! وانت رديت عليه؟

-اتصل بس انا ماردتش كان معايا ناس، قوليله يفكه مني انا مش هشتغل في موضوع التحضير ده.

-يا ابني مأمون...

-بقولك ايه انا اكتفيت برساله المره الجايه هرد عليه رد يزعله.

-طيب انت عرفت منين ان مأمون اللي اتصل بيك؟

-كان مكلمني من التليفون ده قبل كده.

ساعتها افتكرت ان عم مأمون كان كلم حد قبل كده من تليفوني بس انا ماركزتش ساعتها، الراجل اللي كان واقف مشي وساب ام نور واقفة تتلفت حوالين نفسها وانا فضلت واقفة مستخبية لحد ما دخلت وبعدها دخلت اوضتي، كلمت سارة وحكيتلها كل اللي حصل من اول ما دخلت الدار لحد دلوقتي، فضلت اعيط، كنت خايفه ومحتاجة اتكلم، سارة فضلت تهديني وقالتلي انها هتجيلي بكره الصبح، قعدت تكلمني لحد ما نمت من غير ما احس، صحيت الصبح لقيت ام نور بتقولي ان في واحدة برة بتقول انها صاحبتي وعاوزة تشوفني ضروري، طلعت لقيتها سارة قعدنا نتكلم شوية وبعد شوية لقيت ام نور بتنادي عليا وبتقولي ان الشيخ ابو هاشم وصل ولازم صاحبتي تمشي، قلبي كان مقبوض ماكنتش عيزاها تمشي بس سارة طمنتني ان كل حاجة هتبقي كويسة، قالت انها هتروح مشوار وترجع...

وانا دخلت مع ام نور للشيخ...

عفاف وفاطمة ماكنوش موجودين، فبصيت لام نور وقولتلها...

-هما الباقي فين؟

-جايين اهم.

لما اتجمعنا الشيخ قال...

-مين يعرف مكان باب البادروم اللي في الدار؟

كلنا كنا مستغربين وام نور قالتله...

-هو في باب للبادروم من جوه الدار؟

-اه، ده المكان اللي احتمال جثة مأمون تكون موجودة فيه.

-بس احنا ما نعرفش عنه حاجة.

انا فاكرة الباب ده طشاش، كنت باجي مع جدتي زمان اوي، بس من زمان اوي قالوا ان الباب ده اتردم عليه بخرسانه عشان يعلوا الدار والصرف ما يوصلهاش، كرر سؤاله تاني فقولتله...

-اللي اعرفه ان الباب ده اتقفل بالخرسانة.

-معلش وريهولي.

خدته للمكان اللي فيه الباب وشاورت عليه وقولتله...

-تقريبا الباب هنا.

بص لام نور وقالها في رجاله بره نادي عليهم، جم وفي ثواني الحيطه اللي كانت بتفصل عن الباب اتهدت، وقف قدام الباب وفضل يتمتم بآيات معينة وبعدها فتحه، ودخلنا ممر كان طويل اوي وبارد، طلب من الرجاله يفضلوا ماشيين ورانه عشان لو في حاجة حصلت يساعدونا، فضلنا ماشين شويه لحد ما وصلنا لمكان واسع شويه ومسقوف عليه رسومات غريبه، كان فيه

كشافات نور، الشيخ وقف في نص المكان وبص حواليه وشاور لكل واحد يقف في مكان معين وبدأ يبصلنا ويتمتم بكلام غريب، وهو بيقرا غمضت عينيا، شوفت الشيخ وهو بيقرب مني ومعاه سكينه وبسرعه شدها علي رقبتي وجرجرني لحد الدايره اللي كان واقف فيها وقال...

خلاص كده كل حاجة انتهت ونسل ال يزيد خلص والبيت باللي تحته هيبقي لينا عهدهم مع العمار خلص...

***

فتحت عيني مع كلمة خلص، كان لسه واقف في الدايرة وبيتمتم، بصيت بطرف عيني علي عفاف لقيتها واقعه علي الارض وفاطمة كذلك، رجعت لورا خطوة انا دلوقتي شبه فاهمة اللي بيحصل كل دي نصباية عشان البيت واكيد في كنز تحته، كنت بقول لنفسي انا لازم اخرج من هنا، الحكاية دي ماتنفعش تخلص كده، لفيت ضهري وقبل ما اجري، الرجاله كانوا ماسكيني من هدومي، قرب الشيخ مني وقالي...

-هو دخول الحمام زي خروجه ده احنا هننهي كل حاجة النهاردة ودلوقتي.

-هعملك تنازل عن الدار ولو عاوز فلوس هديك بس سيبني امشي.

-تمشي؟ هو انتي مفكرة كل ده معمول عشان ناخد الدار منك، تؤتؤ دمك المطلوب، انت اخر واحدة في العيلة دي، دمك هو اللي هيفتح الباب اللي بينا وبينهم.

-بينا وبين مين؟

-وانت مالك؟

-مأمون فين؟

-مأمون كان معانا، بس قلبه ضعف لما شافك، عشان انت شبه ستك وهو كان بيحبها زمان، فسلطناهم عليه، جنوه وخدوه...واللي بيتنادي ويتاخد مش بيرجع، ماتوجعيش دماغي بقي.

رفع ايده بالسكينة وقبل ما توصل لرقبتي حسيت بخبطه علي دماغي، والدنيا ضلمت في عيني بعدها... وزي ما انت شايفة كده البوليس يومها لما جه انا الوحيدة اللي كنت عايشة بس مغمي عليا ولما فوقت لقيتهم متهميني اني انا اللي قتلت الناس اللي في الدار واني كنت بعمل عليهم اعمال، ولما حكيتلهم الحقيقة، ماحدش صدقني قالوا عليا مجنونة وحبسوني هنا في الاوضة البيضا دي، عارفة انها اوضة حلوة، مرسوم في كل حيطة صورة لحد كان في الدار، هنا صورة عم مأمون وهنا أبلة عفاف وهنا ميس كوثر وهنا فاطمة.

وبعدين بصيتلي وضحكت وبصت لفوق وشاورت علي السقف وقالت...

-وهنا صورة ام نور.

بصيت علي الحيطان والسقف ماكنش عليهم حاجة فقومت من علي الكرسي بالراحة وقولتلها...

-طيب انا هروح اخلص حاجة في ايدي وهرجع تاني.

-هترجعي ولا هتعملي زيهم.

-زي مين؟

-زي الدكاترة اللي قبلك!

-لا هرجع ما تقلقيش.

-شاورتلها وخرجت وانا بحمد ربنا اني فلت من تحت ايدها، البنت فعلا عينيها كانت بتطلع شرار، وانا ماشيه قابلت الدكتور اللي مسؤول عن حالتها، كان بيضحك وقالي..

-ها قالتلك نفس الحكاية.

-اه بالملي زي انت ما قولت.

-مسكينة، جدتها حرمت والدها من الميراث ووهبته للجمعيات الخيرية وعملت دار للمسنين والبنت شافت ابوها بيموت قدامها ومش لاقي فلوس يتعالج بيها ربنا يزيح عنها.

-يا رب.

مشيت وانا من جوايا حاسه ان الحكاية غير كده، انا كنت مصدقاها بس مش بايدي اعملها حاجة.

***

فندق المنشية

كنت محتاج أفصل وأريح دماغي شوية من الشغل والدوشة، لقيت نفسي بكلم المدير وبطلب منه أجازة، أنا عملت تغطية لموضوع الزلزال واللي اتحكالي وشوفته حقيقي دمرني نفسيًا، ورئيس التحرير لما اتكلم معايا وشاف وضعي والتوتر والضغط اللي باين عليا مرفضش طلبي وقالي....

- معاك اسبوع أجازة يا عاطف، ترجع لنا أحسن من الأول بقى يا بطل.

- مش عارف اقولك ايه والله يا افندم انا محتاج أفصل بجد.

- عارف يا عاطف، انت من أكفأ اللي شغالين معايا وانا مش هاجي عليك، رفّه عن نفسك وغير جو، وليك عليا يا سيدي لو الجورنال اتقلب ماحدش هيكلمك في شغل لحد ما ترجع من نفسك.

- ربنا يخليك يا افندم انا مش عارف اقول لحضرتك ايه.

- ماتقولش حاجة قوم يلا روح شوف هتعمل ايه.

سيبته وخرجت من المكتب وانا فرحان من جوايا وبقول لنفسي أخيرًا هرتاح من ضغط الشغل، رجعت على البيت اللي أنا عايش فيه لوحدي من بعد موت أبويا وأمي، حضرت شنطتي وقعدت محتار اسافر اسكندرية عند فاروق صاحبي ولا اروح أخطفلي يومين عند خالتي كالعادة، بس أخيرا قررت أبعد عن كل الناس اللي اعرفهم في الاجازة دي وقولت اسكندرية أحسن، هناك هقدر أفصل من كل حاجة وأرجع أحسن من الأول، خدت شنطتي وطلعت على محطة القطر ومن هناك ركبت القطر الجديد، كنت قاعد مركز في الطريق وكل حاجة بتتحرك قدامي بسرعة، لحد ما واحدة ست جت قعدت جنبي وفضلت بصالي شوية، كنت محرج ومستغرب في نفس الوقت، مش عارف هي مركزة معايا كدة ليه؟ دورت وشي ناحية الشباك لحد ما سمعت الكمسري وهو بينادي يقول...

تذاكر يا استاذ، تذاكر يا مدام.

مديت إيديّ في جيب الشنطة وطلعتله تذكرتي ولفت انتباهي كلامها معاه لما قالتله...

-هقرالك المستخبي في أيامك بدل فلوس التذكرة.

الكمسري ضحك وقالها...

-يا ستي قولي إنك ماعكيش فلوس وعادي يعني مش هنزلك ولا هقولك حاجة.

ردت عليه وقالتله...

-اليد قصيرة بس العين لا، العين شايفة المستخبي واللسان ممكن يدلك بس انت اديني الإشارة.

ضحك بعفوية وقالها...

- خلاص قوليلي يا ستي المستخبي.

- طيب مد يدك.

مسكت ايد الكمسري وبعدين قالتله....

-نصيبك من الجاي مليان ورد، عندك فرح في بيتك، بس الحزن هيغلب الفرح.

الكمسري بعد ما كان وشه منور وبيضحك، كشر وقالها...

-كلامك صح ده فرح بنتي الكبيرة بس أمها تعبانه والدكاترة قالوا إن أيامها معدودة في الدنيا.

الست ساعتها اتأثرت وقالتله...

-أوقات كلامي مش بيصيب ماتخفش، ربك كريم.

الركاب اتلموا حوالين الست، كلهم كانوا عاوزينها تقولهم المستقبل بتاعهم فيه إيه؟.. الناس دي غريبة أوي، رغم انهم عارفين ان الغيب علمه عند ربنا إلا إنهم بيصدقوا كلام الناس دي وبيتعلقوا في قشاية هتغرقهم، بصيت للشباك وسرحت في الطريق، ما فوقتش غير وهي ماسكة إيدي، اتنفضت وشديتها منها وبصتلها باستغراب وقولتلها...

- في إيه يا ست انتي؟

- في إنك عايز تعرف يا ولدي بس خايف تمد يدك وانا كنت عايزة أكسر خوفك ده مش أكتر.

- هخاف من إيه؟ منك مثلًا؟ مش معني ان كلامك صادف اللي بيحصل مع الكمسري الغلبان يبقى انتي بتشوفي المستقبل.

- طيب هات يدك وجرب.

- لا.

- يبقى خايف من اللي جاي واللي شيفاه في عينيك حقيقة.

كنت قربت انفجر في وشها بس في ثانية قررت اريحها واشوف آخرها إيه، فقولتلها..

-مش خايف يا ست من اللي جاي، الغيب ده حاجة في إيد ربنا، وادي إيدي اهي.

مسكت إيدي، حسيت كأني اتكهربت، بصيتلها لقيتها مغمضة عينيها، وجسمها بيتنفض لكن فجأة سابت إيدي وقامت من على الكرسي وشدت شنطتها ومشيت، ابتسمت بانتصار وناديت عليها وهي ماشية بين كراسي القطر وقولتلها...

-يا ست شوفتي اني مش خايف من المستقبل.

رجعت خطوتين لورا وقالتلي بصوت مهزوز...

-الله يعينك على اللي هتورط نفسك فيه.

ادتني ضهرها وكملت في طريقها، ضحكت باستهزاء وخدت نفس عميق وطردت الهوا اللي كان جوه صدري وحطيت الكاب على وشي وغمضت عينيا وقولت...

- نصابة زي ما قولت بالظبط.

كنت محتاج انام عشان الطريق لسه طويل، صوت القطر كان سيمفونية مافرقتش وداني حتى بعد ما نزلت في المحطة ، أنا متعود على زحمة محطة مصر، خرجت من المحطة وشاورت لتاكسي وقولتله على عنوان فاروق صاحبي ولما وصلت

وقفت قدام شقة فاروق خبطت عليه ورنيت الجرس كتير لحد ما واحد من الجيران فتح وقالي....

- ما براحه على الباب يا جدع، صاحب الشقة مش هنا، سافر الاقصر من كام ساعة عشان جاله شغل مهم.

ساعتها قولت لنفسي دي أول القصيدة كفر، باينلها هتبقى أجازة رخمة، بصيت لجار فاروق من فوق لتحت وقولتله...

- طيب ماعلش لو فيها رزالة يعني ممكن تقولي على فندق ممكن اقعد فيه لحد فاروق ما يرجع؟

- اه طبعا يا باشا، في فندق قريب من هنا والليلة فيه بـ ٢٥٠ جني.

غمضت عيني واتنهدت باستسلام وقولتله...

- ولو ان العلاوة هتطير بالشكل ده بس يلا ماشي فين الفندق ده؟

- بص هتاخد الشارع اللي احنا فيه ده لآخره وبعدين تاخد يمينك لحد ما تطلع على البحر وهناك هتلاقي فندق....

- ماشي يا باشا تسلم.

نزلت من العمارة وأول حاجة عملتها إني فتحت الواتس وبعت رسالة صوتيه لفاروق قولتله...

لما انت يا غبي هتسافر جايبني ليه وفضلت تقولي لا تقلق تعالى عندنا الاسكندرنيه جدعان، إديني متسوح اهو هروح اقعد في فندق..... وانت انجز في شغلك وارجع.

حطيت الموبايل في جيبي ومشيت علي وصف جار فاروق لحد ما وصلت للفندق، كان منظره من بره فظيع وحلو

أوي، دخلت وحجزت أوضة فردية، رغم ان كان في أوض تانية مشتركة وسعرها أقل إلا إني عارف كويس ومقتنع إني إنسان غير قابل للتكيف مع البشر بسهولة، دخلت الأوضة وسيبت شنطتي على جنب ورميت نفسي على السرير، ماعرفش أنا روحت في النوم ازاي، كل اللي كنت حاسس بيه هو إرهاق السفر وده انتهى بمجرد ما نمت، صحيت على رنة تليفوني المزعجة، مسكت الفون ورديت من غير ما اركز في اسم الرخم اللي بيتصل...

- ألو..

- أيوه يا عاطف.

- هو انت يا زفت الطين.

- معلش يا عاطف والله غصب عني، أنا راح عن بالي خالص انك جاي وبعدين انت مأكدتش عليا يا راجل.

- هات الغلط عندي كالعادة ماشي يا فاروق، المهم هترجع امتى؟

- يومين كده أو تلاتة بالكتير وهتلاقيني عندك.

- أتمني قبل الفندق ما ينحل وبري في الفلوس.

- ماشي يا عم كنت بتعمل إيه؟

- كنت نايم وصحيت على رنتك.

- وانت جاي اسكندرية تنام؟

- أومال هعمل إيه؟

- قوم يا ابني اخرج، اتفسح، اطلع افطر علي الرووف بتاع الفندق اللي عندك فيه كافيه يرد الروح.

- ماشي هشوف كده.

- ماشي يا عاطف ولو اني عارف انك هتقفل معايا وترمي الموبايل وتنام.

- يلا يا فاروق سلام،هبعتلك لوكيشن الفندق عشان أول ما ترجع بالسلامة تجيلي.

قفلت معاه وبعتله موقع الفندق على واتس آب ورميت الموبايل وغمضت عينيا وبعد كام ثانية فتحتها تاني ومسكت الموبايل وبصيت في الساعة وقولت لنفسي...

-هيحصل إيه لما اروح اجرب الفطار في الكافية اللي على الرووف ده؟

اتحركت من على السرير ودخلت الحمام خدت شاور وخرجت لبست وخدت محفظتي وموبايلي وطلعت على الكافية، كانت حاجة بجد وهم، الوقت سرقني من غير ما احس، لحد ما سمعت صوت إتنين أجانب بيتخانقوا تقريبا كانوا متجوزين ومعاهم عيالهم كانوا ٣ أطفال واقفين على جنب، الست فجأة سحبت شنطتها وقالت لجوزها كام كلمة بصريخ وعصبية بلغة غريبة كده وراحت ماشية، أما هو فشاور لولاده يقعدوا وكملوا أكلهم كلهم كأن مافيش حاجة حصلت، لما رجعت أوضتي حسيت ان في حد ورايا، كنت سامع خطوات ونفس بس كل ما كنت بلتفت مش بلاقي حاجة، دخلت الأوضة وقفلت الباب، قعدت على الكرسي اللي كان جنب السرير ولمحت خيط نازل على الحطية اللي في وش السرير، الخيط بيطول، قومت من على الكرسي وقربت من الحيطة بحذر لحد ما وقفت قدامها، ركزت مع الخيط اللي كان نازل، كان لونه احمر وشكله لزج هو بينزل على

الحيطة ببطء، بصيت لفوق السقف كان سليم مافيش عليه حاجة، قربت من السائل ولمسته بايديا وانا حاسس ان قلبي بيدق بسرعة رهيبة، واللي حسبته لقيته؛ السائل ده كان دم، مسكت التليفون وصورت الحيطة وعملت زوم على الدم وخدتله كام صورة وقررت انزل لإدارة الفندق أشوف إيه اللي بيحصل ده، بس باب الأوضة ماكنش بيفتح، فكرته معلق، فقولت هتصل بالاستقبال وحد يفتحلي بس اكتشفت ان التليفون اللي موجود في الأوضة أصلا مافيهوش حرارة هو كمان، لما فتحت البلكونة كانت الدنيا ضلمة، مافيش قدامي نور خالص مافيش عربيات ولا بني آدمين حتى، طلعت جسمي من البلكونة وبصيت على الأوضة اللي جنبي، كانت ضلمة بردو مش شايف حاجة الفندق هو كمان ماكنش في نور طالع منه خالص، دخلت الأوضة وقفلت البلكونة وقعدت على الأرض مش فاهم إيه اللي بيحصلي، هو انا جاي عشان اهدي أعصابي وارتاح ولا عشان اتجنن، قومت من على الأرض ودخلت الحمام عشان اغسل وشي بس فجأة حسيت بخبطة جامدة على دماغي من ورا، حرفيا عيني نورت، وبعدها فقدت الوعي. مافوقتش غير على صوت موبايلي وهو بيرن، فتحت عينيا وحاولت ادور عليه بس ماعرفتش اوصله، أول ما اتحاملت على نفسي ووقفت اتزحلقت ووقعت تاني ودماغي اتخبطت بس المرة دي قاومت وحاولت اخرج من الحمام، لما وصلت للسرير مسكت الموبايل، وقولت لنفسي أخيرًا لقط شبكة أنا لازم اتصل بحد من صحابي أو بالنجدة بس للأسف الموبايل ماكنش بينطق، حاولت اقفله وافتحه، مفيش أي نتيجة، رميته

على السرير وقعدت على الأرض، هدومي كانت مبلولة مايه، مش عارف ازاي بس قومت غيرتها لأني حسيت اني بردان وانا مش عايز اتعب! قعدت على السرير وشديت عليا الغطا، وفي وسط الصمت الرهيب اللي كنت سامع فيه دقات قلبي اللي هيخرج من كتر الخوف، حسيت بحركة قدام باب الأوضة، وفجأة سمعت تكه في الباب، فكرت حد بيحاول يدخل بس الغريب ان الصوت اتقطع من بعدها، اتشجعت وقومت، مسكت كالون الباب وشديته وانا عارف اني هلاقيه مقفول، بس الغريب انه اتفتح معايا، حسيت ساعتها ان في حاجة بتزقني لجوه وفجأة الباب اتقفل تاني مع نفسه، بلعت ريقي وقربت منه وفتحته بس المره دي ما استنتش اني اكرر نفس غلطي، انا فتحت باب الأوضة وخرجت بسرعة للممر اللي بين الأوض، كان في إضاءة ضعيفة فوق أبواب أوض معينة، وقف قدام الأوضة اللي جنبي وخبطت عليه بي إيديا الاتنين لكن ماحدش رد، سمعت صوت جاي من الضلمة ورايا بيقولي....

-الدور عليك.

طلعت اجري زي العيال الصغيرة من غير ما افكر في شكلي، الأسانسير ماكنش شغال، كل ما كنت بنزل دور بلاقي نفسي رجعت للدور اللي كنت فيه! قربت اتجنن، بصيت على السلالم مالقتلهاش، نهاية فقررت اني على الأقل هطلع لفوق أكيد هلاقي حد في الكافية بس للاسف كان نفس الوضع، كنت بقطع نفسي على الفاضي وبتعب وبنهج من غير ما اوصل، قعدت على السلالم وبصيت للنور اللي فوق الأبواب، كل شوية كان في باب النور اللي

فوقه بينطفي ويغرق في الضلمة، كان جوايا حاجة بتقبض قلبي مع كل حركة، لقيت نفسي لا إراديا راجع لأوضتي، دخلت وقفلت الباب ورايا وسمعت تكة في الباب بعدها؛ قعدت على السرير وماكنتش عارف مفروض اعمل إيه، جسمي بقى تقيل مش عارف احركه كل حته فيه كانت منملة إحساس بشع، لمحت الحيطة بتتحرك، آه كانت بتقرب، فجأة باب الحمام اختفى والحيطة بقت لازقة في السرير، هو انا في الحقيقة مش عارف، السرير هو اللي لزق في الحيطة ولا اللي حصل العكس، وهنا معرفش ليه رن في ودني كلام الست اللي شوفتها في القطر، انا مابصدقش في الحاجات دي بس كلامها واللي بيحصلي دلوقتي غريب، طيب ليه ماحذرتنيش؟ ليه قالتلي بس الله يعينك؟ يمكن كانت حاسه ان دماغي ناشف ومش هصدقها.. في الحقيقة الموضوع مافرقش كتير حتى لو كانت حذرتني بطريقة مباشرة كنت هرمي كلامها ورا ضهري، حاسس ان عينيها بتقفل بس انا ماكنتش عايز أنام، حاولت أفضل صاحي أقصى فترة ممكنة بس ماقدرتش اقاوم النوم، تاني يوم الصبح لما فتحت عينيا النور كان مالي الأوضة، وكل حاجة مكانها لا الأوضة اتغيرت ولا حاجة اتحركت من مكانها، قولت لنفسي...

-الحمد لله كان كابوس فظيع.

أنا عمري ما عيشت ليلة كده، أنا دخلت المقابر وشوفت جن وناس ملبوسة بس مافيش لحظة مرت عليا وانا مرعوب بالشكل بتاع امبارح ده، قومت دخلت الحمام وغسلت وشي وطلعت عشان البس واخرج اغير جو بس لفت نظري هدوم كانت

متكومة في ركن جنب الدولاب، قربت منها بحذر وبدأت افحصها، دي هدومي بس إيه اللي رماها كده واتبلت إزاي بالطريقة دي، لثانية مر قدامي اللي حصل في الحمام فسيبت الهدوم من إيدي بفزع ورجعت لورا كام خطوة وقعدت على طرف السرير وفضلت باصص للهدوم ومش عارف أجمع أو أفهم اللي حصل، فجأة سمعت صريخ، شديت هدومي من الدولاب ولبست وخرج، كان باب أوضة من الأوض اللي شوفت نورها بينطفي امبارح قدامي مفتوح بابها وخارج منها صوت صريخ، لما دخلت الأوضة، وقفت مصدوم هو نفس الأب اللي شوفته بيتعارك مع مراته مشنوق هو وعياله التلاتة، اتلفت حواليا بفزع وجريت عشان ابلغ الاستقبال بس الفندق كله كان فاضي مافيهوش بني آدمين، حتى الأبواب بتاعته لما حاولت اخرج عشان استنجد بالناس، الأبواب كانت مقفولة كنت واقف جوه، شايف الناس وهي رايحة جايه وعمال اشاورلهم بس ماحدش كان بيعبرني، مش عارف هما شايفيني ولا لا، قررت ارجع الأوضة وأدور على موبايلي أو موبايل في أوضة الراجل اللي انتحر، قلبت اوضتي على موبايلي مالقتهوش، دخلت أوضة الراجل؛ كان منظره هو وعياله وهما متعلقين في السقف يقبض، دورت على أي موبايل وفي الآخر لقيت واحد عليه خلفية الراجل وعياله ومراته بس للأسف، كان مقفول بالبصمة، بصيت للراجل وبعدها لفيت بعيني في الأوضة لحد ما لقيت كرسي خشب في جنب انا مش هطلع على نفس الكرسي اللي الراجل استخدمه عشان يقتل عياله ونفسه، شديت الكرسي ووقفت عليه ومسكت إيد الراجل

بمنديل وبدأت اجرب بصمة كل صوبع، أنا كنت مرعوب من جوايا وانا بعمل كده، بس مافيش قدامي حل تاني، مافيش ولا صوبع بصمته نفعت كنت لسه بنزل من على الكرسي لقيت هوب جثة الراجل بتقع فوقي، خدني ونزلنا على الأرض، حسيت ان ضهري اتكسر، فضلت مغمض عينيا، جسمي كله كان بيتنفض وشعر راسي واقف، انا حاسس بتقل الجثة عليا، فتحت عيني بخوف وزقيته بعيد عني! كان تقيل اوي، قومت نفضت هدومي وبصيت حواليا، مسكت ازازة المايه اللي على الكومودينو وشربت منها، كنت مستغرب ازاي بعد الوقعة دي أنغ لسه كويس ماتكسرتش وقادر اتحرك! مسحت الموبايل وحطيته على السرير وخرجت من الأوضة وانا مرعوب، كنت بلهث كأن بقالي سنين بجري، دخلت أوضتي وقفلت الباب وقعدت وراه، جسمي كان بيتنفض بطريقة مرعبة، كان في شحنات كهربا بتمسك فيا، دخلت قعدت في البلكونة عشان اشم هوا والتوتر اللي انا في ده يخف؛ بس هيخف ازاي وانا معزول عن العالم في فندق مع اربع جثث، الصداع كان عاميني، فضلت ماسك راسي لحد ما سمعت صوت خبط جامد على الباب وصوت فاروق.. أه كان صوت فاروق بينادي عليا، دماغي كانت تقيلة أوي، فتحت عينيا، كنت في البلكونة بس البلكونة شكلها متغير شويتين، سندت على الحيطة وقومت وأول ما دخلت الأوضة، حسيت اني دايخ وفي حاجة غلط، الأوضة كان شكلها متغير، بصيت حواليا باستغراب وانا مش فاهم حاجة فضلت أدور حوالين نفسي والصداع كان هيموتني، قربت من الباب وفتحته عشان اهرب بس لقيت فاروق واقف في

وشي على باب الأوضة، دي أول مرة أفرح بشوفته، حسيت اني لقيت لقيه، مسكته من إيده وقولتله تعالى، دخلته الأوضة ووقفت في نص الأوضة وقولتله...

-أنا مش فاهم اللي بيحصل، أنا دخلت البلكونة وغمضت عيني شوية عشان اريح أعصابي لقيت كل حاجة حواليا اتغيرت، البلكونة والأوضة وشكل الدولاب وباب الحمام والسرير.

شدني وقعدني على طرف السرير وقالي...

-اهدى بس يا عاطف، واحكيلي اللي حصل كله.

قعدت وحكيتله كل اللي حصل معايا من أول ما دخلت الفندق لحد ما شوفته على الباب فبصلي باستغراب وقالي...

-بس الفندق اللي بتحكي عليه مش هو ده.

-يعني إيه؟

-أنت في فندق.... اللي بتحكي عنه فندق تاني هو قدامك تقدر تشوفه من البلكونة بوضوح.

-تقصد تقول إن حد نقلني هنا.

-لا انت هنا من الأول، أنا لما كلمتك أول مرة وبعتلي اللوكيشن كان الفندق ده.

فتح الواتس آب بتاعه ووراني اللوكيشن اللي بعتهولي،مسكت دماغي، كان الألم فيها بيزيد، فضلت اخبط فيها لحد ما فاروق مسك إيدي جامد وقالي...

-اهدى، كل حاجة هتتحل، يلا بينا نروح الشقة عندي، خدمة الغرف هنا أصلا قالوا انك من أ ما جيت ماطلبتش أكل ولا خرجت من الأوضة.

سابني قاعد على السرير وقام لم حاجتي ولقيته جاي يقولي...

-هي هدومك دي اتبلت كده ازاي؟

-مش قولتلك في حاجة غلط واني ماكنتش هنا.

-طيب خلاص خلاص.

لم كل حاجة وخد شنطتي وساعدني، نزلنا الاستقبال وعملت شيك أوت منه وخرجنا بره، وقفنا قدام الفندق، فاروق بصلي وقالي...

-اللي هناك ده هو الفندق اللي بتتكلم عليه.

دورت وشي، كنت حاسس اني هتجنن، كل حاجة فيه زي ما شوفتها، حتى الأمن اللي على الباب، فوقت على إيد فاروق وهو بيشدني وبيقولي...

-بطل سرحان بقى التاكسي واقف من ساعتها يلا بينا.

-تاكسي ليه يا ابني، دي شقتك قريبة.

-عشان انت شكلك تعبان والشنطة عايزة تتشال، مش هتفرق يعني.

-ماشي يا فاروق.

ركبت معاه التاكسي ولما وصلنا الشقة فتحلي أوضة أخوه وقالي...

-ادخل نام شوية وريح دماغك وانا هحضر حاجة كده على السريع وبعدها اصحيك ناكل سوا ونتكلم ونشوف هنخرج فين؟

-أنا عايز ارجع القاهرة مش حابب افضل هنا.

-يا ابني الله يرضى عنك ادخل ارتاح بس، ده انا هعملك شوية كبدة اسكندراني هتاكل صوابعك وراهم.

ماكنتش قادر اقاوح فيه، دخلت وفردت جسمي على السرير، كنت حاسس ان جسمي خفيف أوي، لدرجة اني كنت شايف نفسي نايم على السرير وانا.. أنا كنت طاير في سقف الأوضة، روحت عند المراية ماكنتش شايف نفسي، بس فجأة حسيت بهزة جامدة في جسمي، فتحت عينيا بفزع لقيت فاروق واقف جنبي وبيقولي...

-يلا اصحى عشان ناكل.

كنت قاعد باصص للطبق ومالیش نفس آكل، فاروق قالي...

-هتفضل كده كتير؟ هو انت جاي تفك ولا تكتئب؟

-أنا مش فاهم اللي بيحصلي ولا عارف في إيه؟

-يا ابني انت كنت جاي من القاهرة مرهق وميت من التعب، أكيد نمت على روحك في البلكونة بعد ما كلمتني لما وصلت الفندق، أنت فضلت يومين نايم في البلكونة يا عاطف قدام فندق... طبيعي تحلم بيه.

-زي ما بتقول كده الطبيعي احلم بـ الفندق مش بنفسي جواه.

-الإرهاق والتعب بيعملوا في الواحد اكتر من كده.

-بقيت محلل نفسي يعني يا فاروق.

-بقولك إيه كل عشان هنخرج.

-لا مش عاوز.

-مش بمزاجك، يلا كل.

خرجنا في الليلة دي ونزلنا سهرنا على قهوة ولعبنا طاولة واتفسحنا، حسيت اني فكيت شوية ونسيت موضوع الفندق واللي حصلي، بس لما رجعنا الشقة، فاروق دخل يعمل كوبايتين شاي، مسكت موبايلي وقعدت اقلب في السوشال ميديا اللي كنت عامل تسجيل خروج منها، لفت نظري كلمة عاجل اللي في أغلب الأخبار؛ ففتحت أول لينك قابلني وبدأت اقرأ...

-وفاة أب وأولاده الثلاثة في فندق بالإسكندرية في ظروف غامضة.

فتحت عيني على آخرها، ماكنتش مستوعب الخبر، في مواقع بتقول ان الفندق في العطارين وفي مواقع تانيه بتقول انه في المنشية وفي مواقع بتقول انه في محطة الرمل، نزلت تحت في آخر المقال عشان اشوف اسم الفندق وكانت الصدمة، الموبايل وقع من إيدي، فاروق جه وقف قدامي وفضل يقولي...

-في إيه؟ مالك يا عاطف؟

كنت سامع فاروق بس مش عارف ارد، منظر الراجل وولاده وهما مشنوقين قدامي مش عارف اشيله من دماغي، بصيت لفاروق بعيون مليانة بالدموع ووطيت على الأرض جبت الموبايل ومديتهوله، مسك الموبايل وبدأ يقرأ بصوت عالي وقعد على الكرسي مرة واحدة وبصلي وقالي....

-يعني إيه أنا مش فاهم حاجة؟

-يعني اللي حصل كان حقيقي وشوفته.

-بس ده لسه النهاردة وأنت كنت معايا يا عاطف.

-مش لاقي تفسير يا فاروق والله خالص.

-هو في تفسير بس ماعتقدش انك هتقبله.

-قول يا فاروق انا عقلي مابقاش فيا حيل.

-أنت شوفت اللي حصل للراجل وعياله قبل ما يجرى.

-تقصد شوفت المستقبل؟

-ماتجيش غير كده.

-احنا هنكفر يا فاروق؟

-مش كفر، أوقات دي بتبقى هبة، وأنت سيد العارفين بالمواضيع دي هو أنا اللي هقولك.

-أنا لازم اسافر القاهرة حالا.

-خليك للصبح.

-مش هينفع.

نزل معايا وصلني للمحطة واستناني لحد القطر ما اتحرك، كان جوايا حاجة بتدور على الست اللي شوفتها وانا جاي بس الوقت متأخر مستحيل هلاقيها هنا، لفت نظري الكمسري، هو نفسه اللي شوفته وانا جاي في القطر، العربية كانت شبه فاضية، بصيتله وهو جاي يشوف التذكرة واتشجعت وقولتله...

-مراتك عاملة ايه؟ وعملت إيه في فرح بنتك؟

-والله يا أستاذ الأعمار بيد الله احنا عشان خايفين امها تموت فأي لحظة عجلنا بالفرح وجوزناها امبارح قبل المعاد اللي كان متحدد.

-مبروك يا راجل يا طيب.

-هو انت تعرفني؟

-لا بس حضرت الست اللي قالتلك ان الفرح مش هيتم.

-دي ست غلبانة ودماغها ضايعة بتمشي في القطر على طول على باب الله.

كمل لف وانا فتحت الموبايل ولقيت في رسالة من فاروق كاتبلي فيها...

-أنا مصدقك من الأول يا عاطف بس ماحبتش ازنق عليك واخوفك، اللي إنت مريت بيه ده يا حصلك إسقاط نجمي مفاجئ أو فعلا شوفت المستقبل ولو اني بستبعد الاختيار الأخير عشان عارف انك مش مؤمن بالكلام ده، لما توصل يا صاحبي طمني.

غمضت عيني وفضلت أضحك، أنا كنت واخد أجازة عشان أفصل، دلوقتي راجع من مغامرة هكتبها هتكسر الدنيا.

***

مستشفى ...

خليك دايماً عارف إن اللي بتسمعه من الناس غير اللي هتشوفه بعينيك، اوقات كتيرة التعبير بيخونا ومابنعرفش نوصف إحساس الخوف اللحظي اللي جوانا كويس، بس أنا فاكرة كل حاجة حصلت في اليوم ده، شكلها لما ناديت عليها وهي بتلف دماغها ببطء وبتبصلي، حسيت إني اتجمدت مكاني، جسمها اللي كان بينزف من كل ناحية، كان فيه دم كتير في أرضية الممر مكان خطواتها، وقفت كذا دقيقة مرعوبة من اللي بيحصل ومخضوضة، مش عارفة المفروض أعمل إيه؟

بس مرة واحدة رجليا اللي كانت متبتة في الأرض اتحركت، بلعت ريقي بصعوبة وطلعت أجري، نزلت على السلم وأنا بصرخ وأقول ....

-الحقوني، الحقوني ...

***

دي كانت أول مرة أدخل فيها المستشفى، ماكنش قدامي أي اختيار تاني، بنتي تعبت مني فجأة في وقت متأخر، وماكانتش قادرة تاخد نفسها ومافيش دكاترة في العيادات الخاصة عشان الوقت اتأخر، اللي كان قدامي في الوقت ده مستشفى في بلد جنبنا، واسمحيلي إني مش هقول اسمها بس هي في قرية تبع قنا، خدت

بنتي وروحت المستشفى، كنت مضطرة، أنا عارفة إن المستشفي حالتها على قدها بس اهو أحسن ما بنتي تروح مني..

دخلت الاستقبال، كانت الساعة داخلة على عشرة بالليل تقريبًا، والدنيا كانت فاضية مافيهاش صرّيخ ابن يومين، يومها الدكتور النبطشي كشف عليها، وبعدها قالي...

- محتاجين نحجزها عندنا هنا، ونعملها جلسات تنفس على مدار اليوم؛ لأن بنت حضرتك صدرها مقفول خالص.

- تمام يا دكتور، اللي تشوفه حضرتك.

- ياريت تجيبيلي الأدوية دي من الصيدلية اللي قدام المستشفى.

جبت الروشتة اللي كتبها، وخلصت الورق المطلوب، ودفعت تأمين الأوضة، وهو فضل ينادي على الممرضة لحد ما جت، وقالها بصوت واطي...

- خدي المدام دي وبنتها على الأوضة اللي في آخر الدور التالت

- بس يا دكتور دي جنب...

- بقولك إيه.. مافيش غيرها فاضي، نمشي الحالة ومانستقبلهاش وتشيلي ذنبها؟! هي دي الأوضة اللي فاضية دلوقتي، والأكسجين واصلها والبنت محتاجة جلسات، هو انتي هتفهمي أكتر مني.

-لا يا دكتور وعلى إيه، اللي حضرتك تؤمر بيه هيتنفذ.

وبعد كده بصتلي، وهي راسمة ابتسامة باردة على وشها، وقالت لي...

- اتفضلي معايا عشان أوصلك.

ماشغلتش بالي باللي قالوه أنا كنت عاوزة انقذ بنتي الي كنت شيلاها على دراعي، وماشية بيها ورا الممرضة، فضلت تستغفر ربنا لحد ما وصلنا للأوضة، بصتلي من فوق لتحت وقالتلي...

- معلش استني هنا، هروح أجيب المفتاح عشان نسيته.

- تمام، ولا يهمك.

مشيت هي وففضلت أنا، كنت مرهقة جدًا ومش قادرة أقف، لاحظت ان في حاجة كانت بتتحرك في آخر الممر، وسمعت صوت واحده ست بتنادي، حطيت الشنطة اللي كانت معايا علي الارض، وقربت شوية من المكان اللي الصوت طالع منه وانا مش شايفه قدامي حاجة بس سامعة صوت واحدة بتعيط، كنت واقفة في الضلمة مش شايفة حاجة حواليا، الجو في آخر الممر كان برد أوي، كنت حاسة ان روحي بتتسحب مني، خدت ياسمين في حضني جامد وحاولت ارجع للمكان اللي الممرضة سابتني فيه بس حسيت اني تايهه، الضلمة ماكنلهاش نهاية الجو كان بيبرد أكتر، وقلبي كان بيدق جامد....لحد ما ايد اتحطت علي كتفي وساعتها اتنفضت من مكاني وحسيت ان قلبي وقف؛ حد شدني من كتفي بعيد عن الضلمة ولما رجعنا الممر لقيتها ممرضة كانت بتزعق جامد وبتقولي....

-انتي ايه اللي موقفك هنا؟

- مستنية الممرضة تفتحلي الاوضة

بصتلي من فوق لتحت وسابتني ومشيت..

الممر اللي بين الأوض كان النور فيه ضعيف، وماكنش واصل لآخره أصلاً، وقفت وأنا حاضنة بنتي في عز البرد، وخايفة من صوت الأجهزة بتاعة العناية اللي في الدور اللي تحت..

آه كان واصل عشان الدنيا ليل ومافيش دوشة، كنت واقفة بتلفت حواليا لحد ما لمحت الممرضة جاية ومعاها واحدة زميلتها، فتحوا باب الأوضة، كانت نضيفة، جربوا جهاز الأوكسجين، وجهزوا الحقن اللي الدكتور كتبها للبنت وجبتها وحطوهالها في أول جلسة اوكسجين، سابوني قاعدة بيها وراحوا عملوا شاي ورجعوا تاني، فيه واحدة منهم كانت جايبة بطانية، حطتهالي على السرير، وقالت ...

- ابقي اتغطي بيها انتِ وبنتك، دي زيادة معانا.

-كتر خيرك، ربنا يخليكي.

خلصت أول جلسة فقفلوا الجهاز، وبصوا لبعض، وواحدة فيهم قالتلي....

- أنا اسمي نعمات ودي سارة، معاد الجلسة اللي جاية الساعة ٤، نامي واحنا هنيجي نصحيكي ونديهالها.

- ماشي، كتر خيركم.

- اقفلي الباب ورانا عليكم بعد ما نخرج.

ماكنتش فاهمة هي ليه طلبت مني أقفل الباب، بس حطيت بنتي على السرير وقومت قفلت الباب بالترباس وراهم، ورجعت قعدت على طرف السرير، وخدت بنتي في حضني وقعدت أعيط، من أسبوعين بالظبط ماكناش كده، لما بنتي كانت بتتعب عمامها كانوا بيتسابقوا عشان يودوها للدكتورعلى ما أبوها

يرجع من شغله في القاهرة، بس الوضع ده كله اتقلب من بعد موته، ماحدش بقي بيسأل فينا، ولما أكلم حد فيهم أقوله البنت تعبانة، كان بيقولي ما كل العيال تعبانين ويقفل، كنت قاعدة وشريط ذكرياتي بيمر قدام عينيا، وكل اللي كنت قادرة أعمله إني أعيط بقهرة، مسكت الموبايل وقررت أتصل بأخويا، مهما كان الضفر عمره ما هيطلع من اللحم، وأكيد هيسامحني وينسى كل الخلافات اللي بينا، بس للأسف ماردش، يمكن عشان الوقت كان متأخر أصل الساعة كانت داخلة على واحدة بالليل، قولت لنفسي لو اتصلت بأمي هقلقها على الفاضي، وهي مش هتعرف تعملي حاجة دلوقتي؛ لأن الوقت متأخر ومش هتلاقي مواصلة تجيبها المستشفى، سيبت الموبايل جنبي على السرير وكملت عياط، فوقت على صوت خبط على الباب، على ما قومت ونقلت البنت على السرير وروحت أفتح الباب، كان صوت الخبط اختفى، فتحت الباب وطلعت راسي منه، بصيت يمين وشمال ماكنش فيه حد قدام الباب، بس لمحت حد ماشي في آخر الممر، قفلت الباب تاني بالترياس، ودخلت قعدت على السرير، بنتي كانت راحت في النوم ونفسها هدى شوية، فخدتها في حضني وفردت البطانية علينا وحاولت أنام، بس ماعرفتش..

فيه حاجة كانت قلقاني، بتحرك وأفرك طول الليل، كنت بسمع خبط على الباب، ولما أقوم أفتح مالاقيش حد، فقولت يمكن حد من اللي في الأوض اللي جنبي معاه عيل بيلعب، بس عيل إيه اللي هيلعب في الوقت ده!

غمضت عيني وأنا قاعدة علي السرير، حسيت برعشة غريبة في ايدي الشمال وتنميل في رجلي الشمال وعيني كانت بترف جامد، ففتحت عيني وانا مخضوضة... كان في واحدة ست قاعدة قدامي بتاكل لحم طفل صغير في ايدها وهي بتبصلي ومبتسمة، ماكنتش مستوعبة اللي بيحصل، لكن بمجرد ما غمضت عيني وفتحتها تاني كانت اختفت..

بصراحة خوفت وكنت مرعوبة؛ مش عارفة ده كانت هلاوس ولا حقيقة، ففضلت مفتحة عينيا وباصة للسقف، من كتر التركيز , حاسة إن السقف بيتحرك وهيقع علينا فأي وقت، لحد ما فوقت على صوت حد بينادي من ورا الباب وبيخبط جامد، قومت وقفت ورا الباب وسألت اللي بتنادي ...

- انتِ مين؟

- أنا نعمات يا أبلة غادة .

- آه آه نعمات الممرضة، ثواني هفتحلك اهو..

أول ما فتحتلها الباب بصتلي باستغراب، وقالتلي ....

- هو انتِ لسه ما نمتيش؟

- لا، مش جايلي نوم.

- بس انتي كده هتتعبي، ومش هتقدري تركزي مع البنت، انتي ليه ماحدش جه معاكي؟

- ماحدش يعرف.. هي تعبت فخدتها ونزلت، أنا لسه هستناهم!!

- معاكي حق الضنا غالي بردو، طيب بصي نامي شوية وأنا هقعدلك بيها لحد ما الجلسة تخلص وهصحيكي، الجلسة هتاخد نص ساعة تقريباً، فريحي نفسك شوية.

سيبتها معاها ونمت، شكل الممرضة دي طيبة، قررت لما أصحى أكلم أمي وأخويا، أنا مش عارفة هفضل قاعدة هنا لغاية امتى ومش هينفع أقعد لوحدي، غمضت عينيا واستسلمت للنوم، جسمي كان كله متلج، حاسة إني بتنفض وفي واحدة واقفة بتخنقني وبتقولي...

- انتي مش هتخرجي من هنا, لازم تموتي ...

ماكنتش قادرة اقاومها , روحي كانت بتروح مني, كنت سامعة عياط ياسمين بنتي, زقيت الست اللي كانت بتخنقني بعيد وفجأة...

***

قومت مفزوعة من النوم، بصيت حواليا لقيت عنايات الممرضة قاعدة على طرف السرير، وبنتي ماسك الأوكسجين على وشها، معقولة أنا نمت وقومت ولسة الجلسة شغالة.. عنايات قاطعت تفكيري، وقالتلي...

- هو انتي لحقتي تنامي؟ مالك كده؟

- كابوس.. شوفت كابوس.. كان حد بيخنقني وعاوز يموتني وكنت سامعة صوت ياسمين بتعيط.

- لا ماعيطتش دي هادية وأمورة خالص.

سككت شوية وقالتلي...

- ما تآخذنيش في الكلام.. هو انتي بينك وبين أهلك مشاكل؟

- عرفتي منين؟ قصدي عرفتي إزاي؟

- يعني تقدري تقولي شوفت كتير، وممكن كمان أقولك إيه سبب الخناق لو تحبي..

- قولي...

- بما إننا في أرياف، وهما بيحبوا خلفة الولاد، فأكيد أهل جوزك متخانقين معاكي، ومقومينه عليكي عشان خلفتي بت...

ضحكت على عفويتها، وقولتلها...

- لا خالص، أنا جوزي الله يرحمه ماحدش كان يقدر يتكلم بحاجة وحشة عني قدامه، بس تقدري تقولي إن بعد موته اتكاتروا عليا أنا والبنت؛ عشان كاتبلنا كل حاجة باسمنا، كان عارف إخواته وحافظهم.

- طيب الجلسة خلصت علي خير، الدكتور هيعدي يبص عليها الساعة تسعة، يعني كمان كام ساعة، وبعدها هيبقى ليها جلسة كمان، لو كتبلها خروج يبقى خلاص مش هتحتاجها، مكتبش يبقى هيجي حد يحضرهالها.

شكرتها، وخرجت وسابتني، وقومت قفلت الباب وراها، كانت الساعة داخلة على ستة الصبح، اتصلت بأخويا تاني وفرحت أوي لما رد..

- محمود، رد عليا يا محمود، أنا غادة أختك.

- مالك على الصبح؟

- ياسمين بنتي تعبت وخدتها على المستشفى، أنا بايتة بيها من امبارح.
- وعمامها فين؟
- ماحدش فيهم عبرني، قالوا العيال كلها تعبانة.
- دول اللي فضلتي تبقي في وسطهم عننا..
- مش وقته يا محمود، البنت تعبانة وبتعمل جلسات تنفس.
- طيب يا غادة، أنا مسافة الطريق وهكون عندك.

قفلت التليفون وماكنتش مصدقة نفسي، كان فيه صوت دوشة جاي من برة، حد بيشد حاجة وبيجرجرها، قومت من على السرير بالراحة واتسحبت لحد ما وصلت للباب، فتحت الترباس بالراحة، ودورت كالون الباب وواربته، فبصيت لقيت واحدة ست لابسة أسود في أسود في آخر الممر ماشية بتجر شوال وراها، والشوال سايب أثر دم، بلعت ريقي بخوف وحطيت إيدي على بوقي؛ عشان أكتم أي رد فعل ممكن يطلع مني في اللحظة دي، دخلت الاوضة وقفلت الباب وشديت الترباس وماقدرتش أتحرك..

قعدت ورا الباب، قلبي كان بيدق بسرعة أوي وجسمي بيتنفض، حاولت أهدي نفسي وقولت يمكن دي عاملة من بتوع النظافة وكانت بتنضف، بس الممر والدم حاجة مقرفة أوي، المكان كله كان ريحته دم، حسيت بصداع فظيع في دماغي، ماكنتش قادرة أفتح عيني منه، كل اللي عملته إني اتحاملت على

نفسي ووصلت لحد السرير، وفردت جسمي جنب ياسمين وشديت علينا الغطا وأنا بعيط..

كنت خايفة وتايهة وبردانة، سمعت صوت حاجة بتتحرك في الأوضة معايا، فقومت قعدت وفضلت مفتحة عينيا ومستنية أتأكد، كنت مركزة في المكان وعينيا بتروح وتيجي بسرعة، لحد ما باب الأوضة خبط فاتنفضت من مكاني بخضة، قومت أشوف مين اللي بيخبط ..

- مين؟

- أنا اللي بنضف.

فتحتلها الباب وسبتها تدخل، كانت شبه الست اللي بشوفها في كوابيسي أوي, معاها جردل وشرشوبة ومكنسة، كنست الأوضة الأول وبعدها مسحتها وخرجت، بس كان في حاجة غريبة اوي دي طويلة شوية عن الست اللي بشوفها في كوابيسي من اول ما جيت هنا.

ريحة الأوضة بعد ما خرجت كانت كلها ديتول، حتى الممر ريحته بقت مطهر، بعد شوية الأصوات بدأت تعلا في المستشفى، والأوض كلها اتفتحت، والناس بقت تدخل وتطلع، فضلت قاعدة مكاني مستنية محمود أخويا، الدكتور جه كشف عليها، وطلب مني أعملها أشعة تحت في المستشفى؛ عشان يتأكدوا من سبب المشكلة، وقالي إنها هتفضل في المستشفى كمان كام يوم، وبعدين سابني وخرج، مسكت الموبايل وكلمت أمي بس تليفونها كان مقفول، اتصلت تاني على تليفون محمود أخويا اداني جرس بس ماردش، فضلت طول اليوم قاعدة باصة لباب الأوضة مستنية

أمي أو أخويا يدخلوا منه، لكن ماحدش جه غير الممرضات اللي كانوا بيجهزولها الجلسات، ويفضلوا قاعدين لحد ما تخلص، وبعدين ياخدوا بعضهم ويمشوا ..

كنت قاعدة في الاوضة وسامعة صوت واحدة بتعيط جنبي وكل ما أبص مالاقيش حاجة

فجأة باب الأوضة خبط، قومت فتحته لقيت الممرضة في وشي بتقولي...

- فيه ناس بيسألوا على أوضة ياسمين.

- مين دول؟

بعدت عن الباب لقيت محمود أخويا ومعاه أمي ومراته وشايل أكياس كتيرة، الممرضة بصتلي وقالتلي ...

- هما ممكن يفضلوا هنا معاكي لحد الساعة عشرة بالليل، بس بعد كده لازم يروحوا،

أمي اتكلمت، وقالتلها ..

- طيب هما يروحوا وأنا أبات معاها، هتقعد إزاي بالبنت لوحدها؟

- كان على عيني، ماينفعش والله ياحاجة، كل حالة بيبقى موجود معاها مرافق واحد بس.

- عادي يا أمي خلاص، مافيش مشكلة.

الممرضة مشيت ودخلوا الأوضة، وقفلنا الباب، محمود بص على المكان، وقالي..

- هي دي مستشفى تدخلي فيها بنتك؟

- اللي كانت فاتحة قدامي يا محمود، هو أنا لقيت غيرها!

- طيب جهزي حاجتها، وننقلها مستشفى خاص.

- المستشفيات الخاصة بينا وبينها قد إيه يا محمود، وبعدين أغلبهم مش بيبقى معاهم مرافق، وأنا مش هسيب بنتي لحد.

- يعني عاجبك الوحدة الصحية المهجورة دي؟

- دي مستشفى يا محمود، وفيها عناية مركزة، ومكان لغسيل الكلى.

- يا بنتي بصي حواليكي، أقولك أنا مش هتعب نفسي معاكي، انتي أدرى بمصلحة بنتك، هو أنا هخاف عليها أكتر منك!!

فضلوا قاعدين معايا، خدتها فرصة ونمت ساعتين، وأمي قومتني قبل ما يمشوا، وقالتلي ...

- على عيني إني أسيبك والله يا بنتي، بس اديكي شايفة مافيش بإيدي حاجة.

- ولا يهمك يا أمي، أنا عارفة إنه لو بإيدك كنتي هتفضلي معايا.

- لو احتجتي أي حاجة ف أي وقت كلميني هتلاقيني عندك، أنا كده كده الصبح هجيلك.

- ماتزعلش مني يا محمود، أنا هخرج من هنا على بيت أبويا، مش هرجع بيتي تاني، وبخصوص ياسمين والمستشفى، فوالله البنت بتعمل الجلسات هنا والدنيا ماشية، لو كان فيه تقصير كنت قولتلك تشوف مستشفي تانية.

- ماشي يا غادة، خدي بالك من نفسك ومن البنت..

الممرضة خبطت على الباب، فمحمود فتح وقالها...

- احنا ماشيين أهو، بس خدي بالك منهم، وكل شوية شوفيهم لو محتاجين حاجة.

وقام مطلع فلوس من جيبه ومديهوملها، وبعد ما مشيوا بصتلي وقالتلي..

- هاجي أبص عليكي كل شوية، ولو احتجتي حاجة أنا اسمي مريم، ومعاكي نبطشية ٣ أيام ماتقلقيش.

ابتسمتلها وشكرتها ومشيت، فضلت واقفة لحد ما شوفتها وهي بتنزل السلم، حسيت ساعتها برعشة في جسمي كله، الممر بقي فجأة بارد، دخلت وقفلت الباب علينا وطلعت أكل من اللي محمود كان جايبه معاه، ولسه بقول بسم الله وهاكل لقيت الباب بيخبط، سبت الأكل من إيدي وفتحت الباب بس مالقتش حد، فبصيت بزهق وقولت بيني وبين نفسي: هو شغل الهبل بتاع العيال ده هيشتغل تاني زي امبارح!

رزعت الباب وقفلت بالترباس، ودخلت عشان آكل بس اتصدمت لما لقيت الأكل ناقص، بصيت حواليا بخوف وقولت ..

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، مين هنا هو الاكل راح فين؟

بصيت تحت السرير، وقولت يمكن تكون فيه قطة ولا حاجة في الأوضة، وشيلت الأكياس ودورت وراها ماكنش فيه حاجة في الأوضة غيري أنا وياسمين، خوفت آكل فلميت الأكل، وفتحت إزازة المية شربت منها شوية، وقفلتها وحطيتها جنب السرير، سمعت صوت خبط على الباب تاني، صوت عامل زي

النبش كده بس كان واضح، قومت بسرعة وفتحت الباب، بس فجأة نور الممر انطفى، الممر كله كان ضلمة ما عدا أوضة واحدة كان النور فيها طالع من تحت عقب الباب، رجعت لورا وقفلت الباب، وفضلت واقفة متسمرة، النور رجع تاني في الممر بعد ما قفلت الباب، أكيد اللي بيعمل كده في الأوضة اللي كان نورها شغال، ودخل بسرعة لما فتحت الباب عشان مامسكهوش، قعدت بعد كده على السرير وأنا مركزة مع الباب، كان صوت النبش بيتكرر وأنا قاعدة مكاني مش بتحرك، بس فجأة صوت النبش طوّل واتحول لخبط، والخبط بقي أقوى واتحول هو كمان لرزع، قربت من الباب وأنا عارفة إن الصوت هيقف ف أي لحظة لكنه ماوقفش، حطيت ودني على الباب، كان فيه حد بيخبط وسامعة صوت نفسه برة، ومرة واحدة سمعت صوت صرخة نفضتني من مكاني، ورجعت لورا وأنا بعيط، كنت خايفة ومسكت موبايلي عشان أتصل بمحمود ييجي ياخدني من المستشفى دي..

هو كان معاه حق لما قال دي خرابة، اللي بيحصل فيها ماكنش طبيعي خالص، بس التليفون كان فاصل شحن، عارف لما تحس إن كل حاجة حواليك قررت تيجي عليك مرة واحدة، أهو ده كان شعوري ساعتها، كنت سامعة صوت الخبط على الباب بيتكرر كل شوية، كنت مصدعة مش عارفة أستحمل أي حاجة، فتحت الباب مرة واحدة وصرخت ...

- بس بقى.....

- فيه إيه يا أم ياسمين؟ مالك حد ضايقك؟

لقيت الممرضة اللي اسمها مريم واقفة قدامي، ماردتش عليها، سيبت الباب مفتوح ودخلت الأوضة، قعدت على الكرسي اللي جنب السرير ودايرت وشي بإيديا وقعدت أعيط، دخلت وقفلت الباب وراها، كنت حاسة بيها جهزت الجلسة ولبست ياسمين الماسك وبدأتلها الجلسة، وجت قعدت على طرف السرير وهزت كتفي بإيدها، وقالتلي...

- وحدي الله، أنا عارفة إن أعصابك بايظة عشان بنتك، بس هي زي الفل وحالتها بتتحسن، انا والله سألت الدكتور عليها وقال إنها زي الفل، واحتمال كام جلسة كدة وتخرج بعد بكرة الصبح.

- أنا عايزة أمشي من هنا دلوقتي.

- وحدي، الله الجو تلج، ماينفعش تخرجي بالبنت من المستشفى وهي لسه تعبانة في الجو البرد ده، حرام عليكي.. هو حد ضايقك في حاجة؟

- ماعرفش، بس فيه حاجة غريبة بتحصل هنا...

- حاجة إيه يا أم ياسمين؟

- حد بيخبط على الباب، ولما بفتح مش بلاقي حد.

- هتلاقي حد من الأوض اللي جنبك ولا حاجة، كبري دماغك وماتفتحيش الباب إلا لو حد من الممرضات، انتي مش محتاجة تخرجي من الأوضة، الحمام عندك أهو، والسرير وكل حاجة، وإن شاء الله كلها بكرة وتروحي ببنتك بيتك بالسلامة.

- إن شاء الله على خير يارب.

- فكي بقي كده، حد يبقي عنده العسل الصغير ده ويزعل.

- أبداً والله، ده البصة في وشها بالدنيا.

- ربنا يباركلك فيها، الجلسة خلصت بقى أنا همشي، وكمان خمس ساعات هاجي أعملها الجلسة التانية.

- ماشي، تسلمي يا رب.

الممرضة بصت على ياسمين وخرجت، وأنا قفلت الباب وراها، ودخلت الحمام اتوضيت وطلعت عشان أصلي في الأوضة، بس مالقتش حاجة أصلي عليها ففردت البطانية وصليت، كنت سامعة حاجة بتتحرك ورايا وأنا بصلي، قلبي كان بيتنفض، غمضت عينيا وكملت صلاة، ولما خلصت وسلمت حسيت بهوا بارد بيخبط في وشي، بصيت على ياسمين لقيتها نايمة، حمدت ربنا إنها بخير، وقررت أواجه الخوف اللي جوايا بالقرآن، آه مسكت شنطتي وطلعت المصحف الصغير منها، أنا طول عمري بمشي بيه، فتحته وبدأت أقرأ..

كنت حاسة براحة لحد ما حسيت بإيد صغيرة بتتحط على رجلي، سيبت المصحف وبصيت حواليا بخوف، قلبي كان بيدق بسرعة أوي، كنت بحاول أقنع نفسي ان دي تهيؤات لكن حسيت بعدها إن حد بيشدني من كم الجاكيت بتاعي، اتنفضت من على السرير وبصيت على ياسمين لقيتها مفتحة وباصة للسقف، عينيها كانت مركزة على حاجة أنا مش شيفاها، سمعت خبط تاني على باب الأوضة، ووقفت ورا الباب وقولت..

- مين؟

ماحدش رد، صوت الخبط اتكرر تاني..

- مين؟

فتحت الباب بالراحة، الممر كان ضلمة، بصيت ورايا في الأوضة كانت ياسمين بتلعب مع نفسها، شديت الباب وخرجت من الأوضة، سيبت الباب متوارب، كنت محتاجة أعرف مين اللي بيعمل معايا كده؛ عشان أواجهه ويبطل يضايقني؛ عشان أعرف أنام شوية، بس للأسف الممر كان فاضي خالص، والأوض كلها كانت ضلمة ما عدا الأوضة اللي شوفتها منورة من تحت عقب الباب كانت منورة..

قربت من الباب وخبطت، بس فجأة النور انطفى من جوة، بلعت ريقي وخبطت تاني، حد فتح الباب من جوة ووارب، وسمعت صوت واحدة ست بتقول..

- عاوز إيه؟

- هو انتوا عندكوا عيال صغيرة بيخبطوا على الباب، ويجروا يستخبوا؟

قفلت الباب في وشي من غير ما ترد، وفي نفس اللحظة سمعت صوت عياط ياسمين اتنفضت من مكاني من الخضة، ورجعت الأوضة بسرعة، ماكنتش مستوعبة اللي حصل أصلاً، أنا كنت بسألها سؤال عادي، جريت على ياسمين وخدتها في حضني، وفضلت أهدي فيها لحد ما نامت..

حطتها على السرير وغطتها، وقفلت الباب علينا، كنت قاعدة حاسة إن الدنيا بتلف بيا، وعينيا بتقفل غصب عني، قومت غسلت وشي ورجعت قعدت على السرير، كنت حاسة إني بتخنق والأوضة بتضيق عليا، وقفت جنب الشباك اللي في الأوضة وفتحت ناحية منه، الهوا كان بارد بس حسيت ساعتها إني

لسه عايشة، أنا من أول ما دخلت المستشفى دي وأنا حاسة إن قلبي مقبوض، محمود كان على حق، أنا اللي غبية ودايماً بعاند معاه وبندم في الآخر...

قعدت أفتكر خناقاتي أنا وهو، وقد إيه كان بيخاف عليا وبينصحني دايماً, دموعي خانتني وكنت حاسة ساعتها إني مقطوعة من شجرة ومالیش حد، بس خلاص هانت كلها بكرة..

سمعت صوت خبط على الباب، بس المرة دي كان صوت مريم مع الخبط، وهي بتقولي: افتحي يا أم ياسمين عشان معاد الجلسة..

فتحتلها الباب ودخلت، كالعادة جهزت الجلسة لياسمين، وقعدت ترغي معايا شوية وبعدين موبايلها رن، فاستئذنت مني تشوف الحالة وترجع، كسلت أقفل وراها الباب، ما هي قالت دقايق وراجعة تاني، فضلت باصة على ياسمين وهي بتعمل الجلسة، كنت براقب بخوف لا يجرالها حاجة وماعرفش أتصرف، سمعت صوت جاي من الممر فطلعت أشوف فيه إيه..

الساعة تقريباً كانت داخلة على تلاتة الفجر، كان فيه واحدة ست ماشية في الممر لبسها مقطع وشكله مبهدل أوي، مشيت وراها لحد ما وصلت للممر اللي بيطلع على السطح كانت ماشية كأنها مغيبة، ناديت عليها كذا مرة، وفي الآخر لفت دماغها ببطء وبصتلي، ووقفت قدامي ثابتة مااتكلمتش، حسيت إني اتجمدت مكاني، جسمها كان بينزف من كل ناحية، كان فيه دم كتير في أرضية الممر مكان خطواتها، وقفت كذا دقيقة مرعوبة من اللي بيحصل ومخضوضة، ماكنتش عارفة المفروض أعمل إيه؟

بس مرة واحدة رجليا اللي كانت متبتة في الارض اتحركت، بلعت ريقي بصعوبة وقربت منها، كنت حاسة إن قلبي بيتقبض مع كل خطوة ونار بتكويني، ومرة واحدة وقعت من طولها بصيت حواليا وقربت منها وهزيتها كذا مرة , كانت قاطعة النفس، طلعت أجري نزلت على السلم، وأنا بصرخ وأقول ....

-الحقوني، الحقوني ...

وصلت الاستقبال وأنا بتنفض، ماكنتش عارفة أتلم على أعصابي، ولا أتكلم ...

- ف في فيه واحدة بتموت ففوق في في الممممر اللي بيطلع علي السطح...

الممرضة طلعت تجري نادت على الدكتورة، وطلعوا يجروا على فوق، مشيت وراهم وأنا حاسة إن رجليا مش شيلاني، وصلنا الممر النور كان مطفي فيه، الدكتور بعت الممرضة ترفع الكوبس بتاع الكهربا بتاعة الممر، ولما النور اشتغل ماكنش فيه حد واقع علي الأرض، الدكتور بصلي باستنكار وقالي...

- هي فين الست ؟

- كانت هنا والله، والأرضية دي كان عليها دم.

- واتبخر يعني، ولا إيه؟!

- ماعرفش والله!!

- حضرتك إيه اللي طلعك من الأوضة أصلاً، انتي مرافق لحالة ولا تعبانة ولا إيه حكايتك؟

بص للممرضة وقالها ...

- هما فتحوا قسم مجانين كمان في الوحدة، ولا إيه؟

لسه هدور عشان أرجع الاوضة لقيت إيد اتحطت ورا ضهري، وصوت حد أنا سمعته قبل كدة كانت ممرضة، أيوة أول ممرضة شوفتها لما جيت المستشفي هنا، بصت للدكتور وقالتله...

- مدام ياسمين قاعدة مع بنتها في آخر أوضة في الدور التالت يا دكتور.

- هي مش الأوضة دي كانت مقفولة ؟

- آه بس يوم ما جت ببنتها دكتور حازم امرنا نفتحها عشان ماكنش فيه مكان.

الدكتور بصلي وقالي ...

- أنا آسف يا مدام، بس الاوضة دي كانت ... ولا أقولك مش لازم تعرفي أحسنلك.

بص لعنايات، وقالها ...

فيه أوض فاضية دلوقتي، انقلي المدام وبنتها ليها، واقفلي الاوضة وإياكي تتفتح تاني، حتى لو بأمر من مدير المستشفى، احنا مش ناقصين كوارث .

الدكتور اعتذرلي تاني، وسابنا واقفين ونزل، وعنايات قالتلي: يلا عشان مريم وراها شغل، وقاعدة ببنتك بعد ما رجعت، ومالقتكيش لحد ما خلصت الجلسة، وكلمتني أشوفك فين عشان تكمل نبطشيتها...

رجعنا الأوضة، ولميت حاجتي أنا وياسمين، وعنايات خدتنا على أوضة تانية في الدور الأول علوي، وظبطت الجهاز وكل حاجة، وهي خارجة مسكت إيدها وقولتلها ..

- هو الأوضة اللي فوق دي كان مالها.. أنا كنت بسمع أصوات وبحس بحاجات غريبة، أنا شوفت ست جسمها متبهدل وهدومها متقطعة، وأغمى عليها قدامي بس لما روحت جبت الدكتور ورجعت ماكنش فيه أثر لأي حاجة .

- الدور اللي فوق كان مشرحة، وتلاجة للجثث اللي مش عارفين يوصلوا لهوياتهم أو أهلهم، وحولوه لأوض عشان المكان على قده والضغط عليه كتير، والست اللي انتي قولتي شوفتيها دي كانت حالة فعلاً في المستشفى هنا من خمس سنين، سلايفها اتكاتروا عليها وضربوها وهي حامل لحد ما سقطت، وقالوا لجوزها لما رجع من الشغل إن هي اللي مش عايزة تخلف منه، وعملت كده في نفسها، ف جوزها رماها في الشارع وأهلها جابوها المستشفي هنا، ماكانتش قادرة تتقبل فكرة إن ابنها مات في بطنها من ظلمهم، لما فاقت وحكت لجوزها ماصدقهاش فغفلتنا وطلعت على السطح ورمت نفسها، انت لو من أهل البلد كنت أكيد هتبقى عارفة الحكاية دي.

- أنا ماكنتش أعرف حاجة زي دي، ولوكنت أعرف ماكنتش دخلت المستشفي دي أصلاً.

- الدور اللي فوق هو اللي مش مظبط، بس لكن بقية المستشفي تمام..

- هو أنا ممكن أعمل من موبايلك مكالمة؟

- أكيد اتفضلي .

اتصلت على محمود، كنت حافظة رقمه زي اسمي، أول مرة ماردش رنيت تاني، صوته كان نايم..

- محمود، اصحى انا غادة.

- غادة ؟ مالك البنت فيها حاجة؟

- لا ياسمين بخير ماتقلقش، بس بالله عليك أول ما النهار يطلع تيجي تاخدنا من هنا.

- هو انت بالخوف الآلي في صوتك ده مفكره إني هستنى للصبح ؟ نص ساعة بالكتير وأكون عندك.

قفلت معاه وادتها التليفون وشكرتها ومشيت، بعد ساعة إلا ربع سمعت زعيق جاي من الممر، فتحت الباب أشوف فيه إيه أنا عارفة إن فضولي موديني في داهية دايماً، كان محمود وأحمد ابن خالي وعيال عماتي برة، والدكتور واقف ومانعهم يدخلوا..

لفيت ياسمين في البطانية، وشيلت شنطتي وحاجتي وسيبت الأوض،ة وخرجت جريت على محمود وقولتله ...

- بلاش مشاكل يلا نمشي من هنا..

الدكتور بصلي وقال ..

- ماينفعش تمشي إلا بعد ما تخلصي ورق المستشفى،

- أنا مستحيل أقعد ثانية واحدة هنا .

- تقدري تستني الساعتين دول في الاستقبال انتي واخوكي، لحد ما الناس اللي شغالة تيجي وتخلصي الورق وتخرجي ببنتك .

بصيت لمحمود اللي هز راسه، وخد مني ياسمين ونزلنا قعدنا في الاستقبال، شباب العيلة كلهم كانوا واقفين معانا ماحدش رضي يمشي غير لما نروحوا كلنا سوا، يومها لما طلعت من المستشفى ببنتي بصيت ورايا على المكان، عيني وقعت علي الدور

التالت الشباك بتاع الأوضة اللي كنا فيها، كان حد واقف فيه واحدة، ست مش باين ملامحها..

بلعت ريقي بصعوبة، ولفيت وشي ومشيت مع محمود أخويا، وأنا بحمد ربنا إنه جاب العواقب سليمة .

- أنت شايفة ان العواقب جت سليمة كده؟

- مش فاهمة تقصدي ايه؟

- أقصد ان الاعتراف بالمرض أول خطوة للعلاج .

- اعتراف ومرض تقصدي ايه؟

- أولا لازم تتقبلي فكرة موت بنتك قبل ما تولدي بكام يوم وانك معانا هنا في المستشفي من يوم ما ماتت لازم تتخطي الصدمة دي عشان تخرجي وتكملي حياتك.

-أنا مش مجنونة .. مش مجنونة ليه مش عارفين تستوعبوا ده؟

***

ويدنج بلانر

قومت من النوم وانا مش قادرة آخد نفسي، حاسه ان قلبي هيخرج من جسمي من كتر ما بيدق، كنت بتنفض، شديت عليا الغطا وفضلت أقول...

- أعوذ بالله، أعوذ بالله.

ماكنتش مجمعة اللي بيحصل فضلت أستعيذ بالله كذا مرة لحد ما حسيت ان لساني اتجمد لما سمعت نفس جنبي، اتلفت بفزع أكتر حواليا الدنيا كانت ضلمة خرص، لزقت في الحيطة وحاولت ابص بتركيز في وسط الضلمة يمكن المح حاجة، كان جسمي كله بيصب عرق، بس في نفس الوقت بردانة، مش شايفه حاجة بس حاسه بالنفس حواليا موجود، فجأة حسيت شعر راسي وقف، فرفعت ايدي عشان اشوف في ايه لكن مالحظتش حاجة غريبة غير ان شعري عليه مايه وقولت يمكن من العرق، فضلت شوية قاعدة في مكاني مش بتحرك ماكنش عندي الجرأة أصلا، لحد ما هديت ودورت علي الموبايل تحت المخدة، وشغلت الكشاف بتاعه وبدأت أتحرك على نوره في الاوضة لحد ما وصلت لكوبس الكهربا وشغلت النور، بس لاحظت ان في حاجة لونها أحمر علي ايدي، قربتها من مناخيري كانت ايدي ريحتها غريب... دم فكرت اني اتعورت فجريت علي

التسريحة بخضة ووقفت قدامها، مالقتش اي جرح فيا افتكرت اني حطيت ايدي علي شعري، ففردته وبدأت أشوف في المراية لو في جرح في راسي، وبرده ماكنش فيه، فتشت الاوضة حواليا، ماكنش في حاجة غريبة، دخلت الحمام عشان اخد شاور، عشان كنت قرفانه من ريحة الدم اللي في شعري وايدي، فتحت المايه وقعدت افكر... هو الدم ده ممكن يكون جه منين طالما انا مافيش فيا حاجة؟ ماكنش في اجابة معينة ترضي فضولي، من يوم ما روحت أشوف الفندق ده وأنا بصحى على كوابيس وبلاوي سودة بس النهاردة العيار كان تقيل حبتين، ده في دم، غمضت عيني وقولت في سري يا رب سلم.. خليني أحكيلك كل حاجة من البداية أنا من أكتر الناس المؤمنين بأن الفضول هو بداية اللعنة فأي شغل... بس أنا للأسف بضعف أو اعتبر اني باخد كل حاجة تحدي ومش بيهمني العواقب مهما كانت، والريسك اللي خدته المرة دي كان أكبر بكتير من أي مرة، أنا وظيفتي اللي بقبض عليها فلوس من العملا بتوعي هي اني اخلى أي مكان جنة حتي لو أوضة صغيرة وأحققلهم كل أحلامهم، رضا العميل بالنسبالي اهم حاجة، ومعايا تيم كامل شغال في الموضوع ده.. اسمي ليلي مراد وده بجد مش ألش، اتخرجت من كلية اعلام جامعة القاهرة... شغالة ويدنج بلانر أصل مافيش حد في البلد دي بيشتغل بشهادته وأنا بصراحة عندي هواية تنظيم الحفلات من أيام المدرسة عندث شركة صغننه كده اسمها فايف مون، بننظم حفلاف الزفاف والخطوبة والتخرج أعياد الميلاد والمناسبات الخاصة، ده كان حلمي من وأنا صغيرة والحمد لله حققته أتمني بابا وماما يكونوا مبسوطين مني

دلوقتي وفخورين بيا، كان نفسي يكونوا معايا ويعيشوا كل فرح ونجاح بوصلوا وبعيشوا، كل فرحة بجد مهما بانت كاملة فهي نقصه وجودهم جنبي، كالعادة كل يوم الصبح بقوم بدور المدير النشيط اللي بينزل بدري يفطر مع الموظفين بتوعه، في اليوم ده كان الجو شتا واتأخرت شوية علي ما وصلت الشغل، وهما شوية... فطروا وسابوني، احنا تيم في بعضينا، عمري ما حسستهم ان فينا حد شغال تحت ايد التاني او بياخد أمر منه دايما في مساحة صداقة سيباها بينا ويمكن دي الحاجة اللي خلتنا مميزين ونجحنا سمع في فترة قصيرة، دخلت مكتبي فمرام جت جري وقالتلي...

- في خبر حلو جدًا جدًا.

- انطقي بسرعة وقولي في ايه؟

- ليا الحلاوة؟

- يا بنتي نا تبقيش باردة بقى انطقي، في ايه؟

- في عروسة كانت هنا من الصبح فضلت مستنياكي شوية ولما اتأخرتي طلبت تتكلم مع حد مسؤول عشان تتفق معاه.

- ها وبعدين انجزي!

- طبعا كنت هتكلم معاها واخلصلك الديل ده بس في دخلة عاصم خدها علي مكتبه وخلص كل حاجة ومشيت.

- أنتِ هبلة يا مرام؟

- لا ليه؟

- فين الخبر الحلو في اللي رغيتي فيه ده كله؟ هو دي اول مناسبة نعملها؟ ولا احنا كنا قاعدين مش لاقين شغل؟

- لا يا ليلي مش قصدي افهمي بس..

- أفهم ايه؟

- العروسة دي سابت شيك تحت الحساب ب اتنين مليون جنية.

- نعم؟ تحت الحساب و اتنين مليون! ليه هي عايزة الفرح فين؟

- مش عارفة بس كل التفاصيل الباقية اللي فاصلة في الموضوع ده هتلاقيها مع عاصم.

- ماشي يا مرام، أنا هروح مكتب عاصم وانتِ جمعي التيم وتعالوا هناك عشان نشوف الليلة دي فيها ايه.

- ماشي تمام، والله والزهر هيلعب معانا بقى.

- يلا يا مرام ارحميني انتِ بتقبضي مرتب مابيخدوش دكتور.

- ما انا عيني بتطلع في الشغل بردو يا لولو.

سيبتها وخرجت من المكتب، لو فضلت قدامها هلبس في زيادة انا عارفة البنت دي لما بتتسهوك كده وتقول لولو بتبقي عايزة زيادة في المرتب، بس للأمانة هي تستحق كل خير، التيم كله ولاد حلال، دخلت مكتب عاصم وقعدت والبيه كان واقف بيكلم خطيبته في التليفون ماحسش بيا خالص، خبطت علي المكتب وناديت عليه، فلف بوشه وشاورلي بايده عشان استني، أنا مش عارفه مين اللي شغال عند مين في التيم ده، خلص مكالمته وجه قعد علي الكرسي اللي قدامي وقالي....

- ايه بكلم خطيبتي شوية حرام يعني؟

- لا كلمها عادي الشغل يستني حضرتك لحد ما تخلص كلام ونحنحه.

- على فكرة انا لسه مخلصلك حتة ديل انما ايه، حاجة كده مش هتتكرر.

- يا سلام، انت ليه محسسني انك جايب العميلة من الاشارة، دي جاية المكتب يعني عارفة اسم المكان وواثقة فيه.

- بصي هي من حتة واثقة فهي واثقة ومكلفة.

- والرقم اللي سمعته قالقني يا عاصم.

- طلباتها بسيطة، هي فرحها اخر الشهر ده يعني معانا أسبوعين يادوب نلحق.

- طيب نجمع التيم ونناقش طلباتها ونشتغل.

- أكيد..

داس علي زرار علي مكتبة من الناحية السمال فدخلت مرام وطلب منها تجمع التيم ويدخلوا أوضة الاجتماعات... بعد خمس دقايق كنا قاعدين كلنا وعاصم واقف قدامنا وبدأ يشرحلنا طلبات العروسة اللي كان اسمها حور فقال...

- احنا في الشتا وطبيعي لأن الجو مش مضمون فالعروسة ريحتنا الحمد لله وبعتدت عن الأوبن اير وعبط البنات ده وقالت انها عايزة قاعة في فندق اسمه أنكل سام كايرو، عايزة كل حاجة في الفرح كلاسيك وعلي ذوقك أنتِ يا ليلى.

استغربت، وقولتله...

- على ذوقي أنا؟

- اه، رفضت تديني أي تفاصيل خاصة بالترابيزات والبوفية وكل حاجة قالتلي انها واثقة في ذوق ليلي،مش عارف بقى دي صاحبتك ولا حد يعرفك معرفة عادية ولا جيران.

- مممم، صعبتها عليا أوي، اسمها كامل ايه؟

- حور كامل الشهاوي.

- لا الاسم ده غريب عليا، طيب هات رقمها اكلمها.

- للاسف هي كانت مستعجلة اوي، سابت الشيك باسمك ومشيت وقالت انها وراها حاجات كتيرة وهختلصها وهتيجي في وقت تاني.

- طيب أنتوا شايفين ايه؟ نقبل ولا نرفض؟

كل كانوا شايفين انها فرصة كويسة ما عدا أنا، ما اتعودتش علي السرعة دي لازم كل حاجة في التجهيزات تاخد وقتها، في العادة اي حجز بيجي قدامه وقت قليل برفضة بس احنا في الشتا مافيش حجوزات قد كده والكوميشن اللي هيطلع لنا من الفرح ده هيبقي حلو أوي، فقررنا ناخد الخطوة دي ونوافق، هو عاصم الصراحة ماسبلناش مجال للرفض لما خد منها الشيك، جهزنا العقود ومضيناها وسيبناهم مع مرام في حال لو حور جت وماحدش فينا موجود تخليها تمضي وتاخد نسختها وتجيب منها الداتا اللي نقدر نتواصل معاها من خلالها زي الميل والفون وأكونتات الميديا بتاعتها وكده، وزعنا الشغل على بعض وعاصم كان مفروض انه هيروح يشوف الأوتيل ويحجز القاعة اللي فيه وانا كملت شوية شغل كانوا مركونين عندي وفضلت اشيك علي أوردرات كانت لسه شركة الشحن ماسلمتها، خلصت شغل

وسيبت المكان وخرجت، ركبت عربيتي وقررت أروح أتغدي عند سهر اختي؛ وحشتني هي وحمزة ابنها أوي، سهر اختي الكبيرة متجوزة وعايشة في مصر الجديدة أما أنا فشقتي في التجمع، مشوار محترم بس كله يهون، كنت في نص الطريق تقريبًا، نزلت اشتريت شوية لعب لحمزة ابن سهر واول ما دخلت العربية لقيت موبايلي بيرن، كان عاصم، بصراحة كسلت أرد عليه وقررت اقضي اليوم مع حمزة وسهر وقولت لنفسي لازم يتحملوا المسؤلية شوية اكيد في حاجة واقفة معاه وبيكلمني عشان احلها.. عملت موبايلي ثامت وكملت الطريق لحد ما وصلت لبيت اختي اللي ماكنتش مصدقة نفسها ودخلت تحضرلنا الغدا وقعدت أنا مع حمزة نلعب لحد ما قالي...

- خالتو موبايل حضرتك بينور.

- اه يا حبيبي عارفة.

- مش هترد؟

- مش ضروري ده المكالمة دي عشان الشغل.

- مش انت دايما بتقوليلي اني لازم اعمل واجبي كله عشان ده شغلي؟

- اه يا حبيبي.

- طيب انت بتهربي من شغلك ليه؟

- لا يا حمزة أنا كنت في الشغل وخرجت، من حقي اقعد شوية معاك مش كل الحياة شغل.

- بس جايز يكون التليفون ده مهم، مش أنتِ علمتيني كده؟

- ماشي يا بكاش هرد علي الفون بس اياك تغش وتشوف ورق الكوتشينة.

- حاضر.

التليفون كان سكت، فتحت اللوك وبصيت علي المكالمات لقيت عاصم اتصل بيا ١١ مرة، أكيد في كارثة مش مشكلة، قومت بخضة وكنت هقع اتصلت بيه واول ما سمعت صوته قولتله...

- ايه يا عاصم في ايه؟

- كنتِ فين كل ده يا ليلي؟

- عند اختي والفون صامت، في ايه؟

- في مصيبة.

- اللي هي؟

- الأوتيل اللي العروسة طالبة فرحها يتعمل فيه...

- ماله! انطق؟

- لازم تيجي انتِ تشوفي بنفسك.

- طيب ابعت العنوان.

- قشطة هعملك شير لوكيشن علي العنوان واتس اب أنا هناك دلوقتي.

- خلاص مسافة الطريق وأكون عندك.

- تمام، هستناكي متتأخريش عشان نشوف هنعمل ايه؟

- أوك تمام.

سيبت حمزة ودخلت المطبخ لسهر بوست دماغها واعتذرتلها عشان كان لازم امشي ورجعت حضنت حمزة، ووعدته

اني هعمله مفاجأة ونخرج قريب أنا وهو ونروح الملاهي ونتفسح سوا كتير، نزلت من عندهم وركبت العربية وفتحت الواتس آب وشيكت على اللوكيشن عشان أوصل لعاصم، كان في الفندق في منطقة حي العجوزة المسافة بينيوبينه بتاع ١٨ كيلو يعني هتاخد ٢٠ أو ٢٥ دقيقة بالكتير، طول الطريق كنت بفكر ايه اللي ممكن يكون حصل؟ ايه المصيبة؟ كل اللي دماغي كانت مجمعاه ان القاعة اللي في الاوتيل ممكن تكون مشغولة في اليوم ده، وصلت وحاولت أتصل على عاصم عشان أشوفه فين بس ماكنش في شبكة، ركنت العربة ونزلت عشان ادور على عربيته، الشارع كان هادي أوي غريبة ده احنا يا دوب كنا الساعة ٧ فضلت ماشية أدور علي محل فاتح او حد معدي اسأله علي مكان الأوتيل، لكن فجأة حد حط ايده علي كتفي، حسيت ان شعري وقف من الخضة وقبل ما ادور عشان اشوف مين اللي ورايا سمعت صوت حد غريب بيقولي..

-بتعملي ايه في الوقت ده هنا؟

بصيتله بفزع

-أنت مين؟

-أنا السايس اللي هنا.

-أنا بدور على...

عاصم جه من ورايا وقاطع كلامنا وقالي...

-ايه يا ليلي كل التأخير ده؟

-انا واصله من ساعتها ورنيت عليك بس ماكنش في شبكة في المكان.

السايس اتكلم وقال...

-فعلا يا استاذ مفيش شبكة في المنطقة دي.

-معلش بس أنت مين أصلا؟

-بقالك كتير شغال هنا؟

-سبع سنين.

كنت هتشل من عاصم اللي جايبني على ملى وشي عشان يقف يدردش مع السايس، مش عارفة فين المصيبة اللي قالي عليها؟ بصيتله بنفاذ صبر وقولتله...

-يا عاصم انجز فين المصيبة؟

السايس بصلي باستغراب بس عاصم لحق الدنيا وقالي...

-الفندق اللي العروسة طالبة تعمل فيه فرحها..

مكملش كلامه وسكت فضلت بصاله مستنية انه يكمل كلامه... ولما طول في السكوت قولتله...

-ماله الأوتيل يا عاصم ماله؟

-مهجور.

-مهجور ازاي؟

-مهجور من ٢٢ سنة عشان كده كنت بسأل السايس هو شغال هنا من امتي؟

-طيب والحل؟

-أنا بقول يمكن في لخبطة أوتيل تاني شغال هنا بنفس الاسم.

السايس بصلي أنا وعاصم وقالنا...

-هو أنتوا بتسألوا على ايه بالظبط؟ أنا مش فاهم أي حاجة خالص؟

عاصم خد نفس وسأله بتردد...

- بنسأل علي فندق اسمه أنكل سام كايرو، تعرف مكانه؟

-ايوه طبعا ده فندق مشهور هنا أوي فآخر الشارع يمين يا أستاذ.

-بس ده مهجور، مافيش مكان تاني بنفس الاسم؟

-لا، هو ده الفندق اللي موجود بالاسم ده ومهجور بقاله سنين، ماحدش بيدخل ولا بيخرج منه.

-ماتعرفش ايه اللي حصل وخلاهم يقفلوه ويبقي مهجور كده؟

-بص يا باشا هو أنا أسمع من اول ما جيت انه مقفول من زمان أوي في ناس بقى بيقولوا ان الفندق كان عليه فلوس كتير للبنك وقروض بفوايد، ولما صخابه مادفعوش البنك قام حاجز علي الفندق وقفله وفي ناس تانية بتقول انه مسكون وماعرفوش يطردوا منه اللي ساكنينه وبيطفشوا الزباين فقفلوه.

عاصم وقف يرغي مع السايس وانا دماغي كانت في مكان تاني خالص معني كده ان كل حاجة ضاعت والليلة خلصت من قبل ما تبدأ، فوقت وعاصم بيشاور بايده قدام عيني...

-في ايه يا عاصم؟

-هنروح للبنك بكره نتكلم معاهم حتى لو هنأجره يومين تلاته ونديهم جزء من مديونية الفندق مش هنضيع الشغل ده.

-تمام معاك.

-يلا نروح.

رجعت البيت في اليوم ده وانا حاسه بخوف فظيع مش عارفة ايه سبب خوفي ده، يمكن عشان السايس قال ان الفندق مسكون، بس هو طبيعي أي مكان بيفلس ويتقفل بيطلعوا عليه اشاعات مالهاش لازمة غير انها تبعد عين أي مستثمر عنه، أول ما وصلت الشقة دخلت علي السرير وفردت جسمي ونمت، كنت حاسه بارهاق غريب أوي، صحيت الصبح وانا مش قادرة اتحرك، كأن حد مدشش عضمي كله، مسكت الموبايل وكلمت عاصم عشان أطمن اذا كان راح البنك أو لا، بس ماكنش بيرد، خدت شاور ونزلت على الشركة فضلت طول اليوم مش عارفة اخلص أي شغل، عاصم مختفي ومش بيرد علي تليفون، قررت أكلم حد من معارفي شغال في البنك وأشوف أنا الدنيا ممكن تمشي ازاي، وعلي بالليل كان عندي معاد على العشا مع اسراء عزمي، نائب مدير البنك اللي حجز على الأوتيل، قعدنا واتكلمنا شوية فاتحها في الموضوع بشكل مباشر وعرضت عليها اننا نسد جزء من مديونية الأوتيل قصاد اننا ناخده لمدة أسبوع، بصراحة كانت حد عملي جدًا ووعدتني انها تجبلي موافقة علي اتفاقنا ده لأنه في مصلحتهم بدل ما هو مقفول كده قالتلي...

-بصي يا ليلي، أنت بيزنس وومن شاطرة جدًا واحنا بنحب ندعم البنات اللي زيك عشان كده في خلال أسبوع أوعدك اني هحاول أقنع مجلس الادارة وندیكي القاعة كذا يوم.

-ميرسي جدًا لحضرتك ده من ذوقك.

كملنا عشا وحاجة جوايا كانت بتلح عليا عشان اسألها عن كلام السايس اللي قاله عن الفندق ، ماكنتش عارفه اسكت فضحكت وقولتلها...

-أنا سمعت اشاعة كده وكنت حابة اتأكد منها، ممكن؟

-ان الاوتيل مسكون وفي عفاريت صح؟

-انا مش مؤمنة بالكلام ده طبعا وعارفة انه خرافات بس ده الكلام اللي سمعته.

-لا اطمني الأوتيل مافيش في حاجة، وممكن تدخلي تعايني بنفسك الوضع من جوه.

-بجد ممكن ادخل الاوتيل؟

-أيوه طبعا؛ بكرة هبعتلك حد تبعي ياخدك جولة في الأوتيل عشان تشوفي هرحتاجي ايه وهتعملي وتحضري كل حاجة هتحتاجيها وتعرفي مخطط المكان وكل حاجة.

-أنا مش عارفة أقولك ايه بجد.

-ماتقوليش حاجة، احنا بنشجع الاستثمار والنماذج المجتهدة اللي زيك.

-ميرسي جدا لحضرتك يا افندم.

كنت عارفه ان في آخر العشوة دي هلبس في حاجة، واحنا قايمين عشان نمشي ميلت عليا وقالتلي...

-فرح ابن أختي كمان شهرين عايزينك تنظميه بقى.

ضحكت وقولتلها...

-اكيد طبعا يا افندم ده شرف ليا.

هو البني ادم معروف مدام في منفعة متبادلة او ليه عندك حاجة هتلاقيه أول ما تكلمه، انما لو مالوش عندك حاجة مش محتاج أقولك هيعمل فيك ايه بقى، قررت أروح أبات عند سهر أختي في اليوم ده لأني كنت قريبة منها، قعدنا نتكلم لحد الفجر، وهي رايحة تنام طلبت منها تصحيني الساعة ٩ عشان ألحق أشوف الاوتيل، وفعلا صحتني بس انا كان عندي حرارة وفي تكسير في جسمي على ما الدنيا ظبطت وخدت مسكن وشربت حاجة دافية ونزلت أقابل الشخص اللي هيدخلني الفندق كانت الساعة ٥ بعد العصر، كان مستنيني عند الاوتيل، اول ما وصلت وقفت مذهولة، معقوله في فنادق في مصر بالطراز ده؟ أنا شوفت كتير وقليل بس حقيقي ما شوفتش حاجة زي دي، الفندق كان من بره واخد شكل الطراز اليوناني، المنحوتات والمجسمات كل حاجة فيه كانت تحفه، رغم ان التراب كان مغطيها والحمام معشش علي تماثيل كتيرة في المدخل الا ان المنظر كان حلو جدًا..

فتح الباب ودخلنا، اللوبي بتاع الفندق كان حاجة كده ما تتوصفش، في كل خطوة كنت ببقى مبهورة من جمال المكان وبسأل نفسي هو ازاي المكان ده متساب كده، كان في اماكن نضيف وأوض مكسره، البار كان عليه شامبين مقفوله وكانزات التراب متكوم عليها، وصلنا القاعة، كانت واسعة وهادية الاضاءة فيها ماكنتش شغالة فالراجل اللي كانت بعتاه معايا استأذن مني ثواني عشان يشوف كوبس النور فين ويرفعه، بدأت أتحرك في القاعة، أول ما صلت للبيت ووقفت عليه حسيت ان قلبي اتقبض مرة واحدة ومابقتش قادره اخد نفسي، عارف لما تبقي دايخ ومش

عارف تصلب طولك، كنت شايفه حواليا اطفال صغيرة لابسين فساتين بيضا وبيلفوا حواليا وصوت زراغيد عاليه أوي، قلبي كان بيدق بسرعة، ماكنتش عارفه هو ايه اللي بيحصل! حاولت أخرج من القاعة بس انا مش فاكرة دخلت من ي باب فيهم، كلهم كانوا شبه بعض، فضلت واقفة محتارة لحد ما طلعت الموبايل بتاعي وشغلت الكشاف اللي فيه وبدأت أتحرك من المكان، خرجت من القاعة لقيتني في اوضة غريبة كان فيها سرير فستان فرح، وترابيزة صغيرة من اللي بتترق كان عليها اكل، اه والله أكل مش معفن ده لسه مطبوخ وكان طالع منه دخان يعني سخن، بلعت ريقي بصعوبة ولفيت حوالين نفسي وانا بقول مين هنا؟... حسيت بحركة غريبة في الاوضة، فهرجت من الباب اللي دخلت منه عشان أرجع القاعة بس للاسف مالقتش نفس في القاعة أنا لقيت نفسي في الحمام وفي واحد قدامي كان لابس قميص وبنطلون وماسك سكينة وهدومه كان عليها دم، لفيت ودخلت من الباب تاني ماكملتش، فجأة لقيتني في قلب القاعة ازاي ماعرفش، شديت أقرب كرسي وقعدت عليها، كنت بنهج، مش عارفة ايه اللي شوفته من شوية، المكان ده فعلا في حاجة غريبة، حسيت بحركة ورايا بس ماكنتش قادرة ألف أشوف مين، ايد اتحطت علي كتفي وسمعت صوت بيقول...

-يا باشمهندسة ايه اللي مقعدك علي الارض كده؟

يصيت حواليا وانا بقوله..

-ارض ايه أنا قاعدة على...

الكلام اتجمد علي طرف لساني انا كنت على الأرض فعلا، كان معاه حاجة بيضا قربها مني فاتخضيت ورجعت لوره وقولتله...

-ايه ده أنت بتعمل ايه انت اتجننت؟

-ايه يا بشمهندسة، انا بحطلك شاش على الجرح.

-جرح!

حطيت ايدي علي جبيني وحسيت ساعتها بألم فظيع، أنا مش فاكرة اني اتجرحت أصلا فقولتله...

-هو ايه اللي حصل؟ أنا اتجرحت ازاي كده؟

-مافيش حضرتك كنا ماشين بنتفرج على القاعة اتكعبلتي في السجادة واتخبطتي في الطرابيزة لما وقعتي واتعورتي فقولتلك استنيني هنا وجريت جبتلك شاش عشان الجرح مايتلوثش من التراب اللي في المكان.

-طيب طيب، ساعدني اخرج من هنا.

طلعت بره الأوتيل ووقفت شوية عشان اخد نفس، كنت عاملة زي اللي خارج من سباق، جسمي كله كان بيتنفض، ماكنتش قادرة اتلم علي نفسي، موبايلي رن فجأة وخضني، طلعته بصعوبة من الشنطة، كان عاصم، فتحت عليه بس ما سمعتوش الشبكة كانت زي الزفت، الراجل بصلي وقالي...

-تؤمريني بحاجة تانية يابشمهندسة؟

-لا اتفضل انت كتر خيرك.

مشي وانا ركبت عربيتي ومشيت وأول ما وصلت لمكان في شبكة ركنت وكلمت عاصم...

-أنت فين يا زفت؟

-ماعلش والله يا ليلي، انا ضغطي وطي ودخلت المستشفي والموبايل كان في البيت.

-انت كويس دلوقتي؟

-اه ظغطي اتظبط الحمد لله وخرجت من المستشفي وفي البيت اهو، انا اسف اني مختفي اليومين دول بس انا قبل ما اكلمك، هملت كام مكالمه لناس مسؤولة في البنك وعرفت انك اتواصلتي معاهم والموضوع تحت المناقشة واحتمال كبير جدًا بنسبة ٩٥٪ نستلم الفندق خلال يومين عشان نلحق نجهزه.

-ايه الاخبار الحلوة دي..

-عشان تعرفي ان وراكي رجالة.

-عارفة طبعا، انا كنت هناك النهاردة ولسة خارجة.

-كنتِ هناك فين يا ليلى؟

-في الاوتيل، بعتوا معايا حد خدني جولة فيه ووراني القاعة وكدة.

-طيب وايه رأيك؟

-عاوز شغل كتير اوي بس هيطلع منه حاجة حلوة.

-طيب كويس جدا علي خير يا رب.

-يا رب.

قفلت معاه وانا مترددة، كنت عايزة اقوله ان طاقة المكان ده مش حلوة، بس انا أصلا مش بآمن بالكلام ده، روحت البيت وطلبت دليفري ولما وصل فتحت الباب عشان اخد الاوردر وقفت متنحة ثواني قدام الباب، الراجل بتاع الدليفري متهيألي اني

شوفته قبل كده بس ماكنتش عارفه شوفته فين، ماكنش معاه فكه فسيبته علي الباب ودخلت جبت فكه ولما جيت احاسبه بصيت في وشه وكنت لسه هسآله واقوله هو احنا اتقابلنا قبل كده، بس لاحظت انه حد مختلف مش ده اللي كان قدامي من شوية فسالته...

-هو زميلك راح فين؟

-زميل مين؟

-اللي كان واقف هنا ومالقتش معاه فكه!

-حضرتك انا اللي كنت واقف هنا وانت دخلتي تجيبي فكه ميتين.

-اسفة اسف.

حساسبته واديته تيبس ومشي وقفلت البا، حطيت الاكل وفضلت باصلة للباب... لا انا متأكدة، يمكن بيتهيألي، اصل اكيد مش اتنين هيوصلوا ساندوتش، ممكن ده يكون من أثر الخبطة؟ ممكن ليه لا، خدت الساندوتش ودخلت قعدت قدام التليفزيون، انا بحب اشغله جنبي وخلاص مش لازم اقعد اسمعه، اكلت وحسيت ان عينيا بتقفل، حاولت اقوم انام علي السرير لكن ماقدرتش، فنمت مكاني.

كنت واقفة في مكان بارد وضلمة بدور يمين وشمال علي اي حاجة تدفيني، مالقتش غير شال أبيض لما خدته عشان ادفي بيها اكتشفت ان عليها بقع دم كتيرة ماكنتش باينة وهو مطبق بلعت ريقي وحطيته مكانه كان في صوت عياط في المكان بس فجأة وقف وحست ان ابمكان بيترج من حواليا، كنت هقع،

سندت علي الحيطة اللي جنبي وبدأت انادي بصوت على علي سهر ومرة واحدة سمعت...

***

صوت الموبايل كان بعيد وبيعلي فتحت عيني بصعوبة، ماكنتش قادرة احرك رقبتي، انا نمت علي الكنبة، الموبايل رن تاني، مديت ايدي وخدته، كان عاصم بيطمن عليا وبيسأل ليه اتاخرت على الشغل، بصيت حواليا، معقوبة انا نمت كل ده، كنت حاسه اني مانمتش خمس دقايق على بعض، قفلت معاه وخدت شاور وعملت قهوة شربتها علي السريع وانا بلبس ونزلت على الشغل، دخلت لقيت مرام واقفه مستنياني وبتضحك، ماكنتش عارفه هي جايبه السعادة دي منين، اكيد ماصحتش علي كابوس زي، بصتلي باستغراب ووشها قلب وقالتلي...

-ايه اللي في وشك ده انتِ متعورة؟

-اه جرح بسيط.

-بسيط؟ ازاي ده حصل؟

-عادي كبري، اتكعبلت ووقعت.

-طيب يا ليلي انسة حور جت ومضت علي العقد بتاعنا وخدت نسختها.

-حور مين؟

-ايه يا ليلي اللي فرحها اخر الشهر بتاعة الاتنين مليون.

-اه اه افتكرت، ربنا يسهل الحال وناخد المكان بس عشان نبدأ نشتغل ونظبط كل حاجة.

-هنلحق يا لولو ماتخافيش التيم كله قدها.

-يا رب، عاصم جوه، لا نزل يخلص ورق في الجمارك.

-تمام.

خلصت شغلي وروحت علي البيت، نومي بقى متلخبط بسبب الكوابيس اللي بشوفها، كنت محتاجة اتكلم مع حد، بس مين؟ أكيد مش سهر لأنها هتقلق، وأكيد مش عاصم لأنه مش فاضيلي، التيم كله مضغوط ومشغول الفترة دي، خدت نفسي وطلعت قعدت على النيل، ركنت العربية ونزلت، الجو كان بارد أوي مافيش حد في الشارع، فضات اتمشي لحد ما تعبت فقعدت علي كرسي وفضلت باصه للنيل، الشاعة كانت ١١ بالليل، حسيت بخطوات جنبي وفجأة حد قعد، رفعت وشي بخوف وبصيت لقيت بنت لابسة ترنج رياضي وجاكت، تقريبا كانت بتجري.. بس ايه الهبل ده حد يجري في الجو البرد ده، بصتلي باستغراب زي ماتكون بتقرأ أفكاري وقالتلي...

-مستغربة مش كده؟

-بصراحة آه.

-أنا من النوع اللي مش بيعرف يرتاح طالما عنده طاقة، لما اجري هتعب وهنام علي طول من غير ما افكر.

-ده مبدأ غريب.

-يمكن بس بيريحني، وبعدين ما الحال من بعضه انتِ بره البيت في البرد اهو.

-لا انا مش لاقيه حد اتكلم معاه، خايفه من رد فعل القريبين مني لو حكيت لهم اللي بيحصلي.

-ممم طيب ما تحكيلي أنا هسمعك.

-دخلت مكان صدفة واتكعبلت ووقعت، شوفت بعد كده حاجات غريبة وبقيت بحلم بكوابيس مرعبة، مش عارفة أعمل ايه؟

-امشي ورا قلبك.

قالت كده وقامت وادتني ضهرها ومشت وسابتني قاعدة مذهولة، بس هي صح، انا قلبي مقبوض من الفرح ده كله، بكره هروح ارفض واكلم العروسة اديها الشيك بتاعها ونلغي العقد.. روحت عند سهر، ماكنتش عايزة ابات لوحدي عملت حمزة ابنها حجة وقولتلها اني حاية معاه عشان وحشني، ونزلت تاني يوم علي شقتي خدت شاور ولبست ونزلت ع الشركة وهناك طلبت من مرام تخلي حمزة يجي ورايا علي المكتب، قتدت وطلعت العقد واستنيته، دخل وهو مبسوط وقالي.....

-عندي ليكي خبر بمليون جنية.

-ما بلاش جو الملايين ده عشان شكل مش مكتوبلنا نلعب ببهم.

-ايه اللهجة دي؟

-لا لهجة ولا غيرة، ده شيك انسه حور وده العقد بتاعها هتروحلها وتفسخ العقد وترجعلها فلوسها ولو قدرت كلملها شركة تانية ووصي عليها.

-ايه! نعم؟ ليه ده كله ايه اللي حصل ده انا جاي اقولك اننا خدنا الضوء الاخضر والبنك وافق وهنشتغل من بكره، لا بكره ايه من دلوقتي لو حبينا.

-مش هينفع يا عاصم.

-وايه اللي مش هينفعه يا ليلي؟

-حاجات كتيرة أهمها اني مش مرتاحة.

-ليلي احنا عمرنا مارجعنا في اتفاق مع عميل، والدنيا ربنا مسهلها اهي علي الاخر فبلاش نزمزق.

-انا فعلا مش مرتاحة من يوم ما دخلت الاوتيل ده وانا بشوف كوابيس وبحلم احلام وحشة اوي.

-طيب خدي بريك، سافري واحنا هنكمل الفرح ده مالكيش دعوة أنتِ.

-انا بس مش مرتاحة والله مش أكتر.

-خلاص خليكي في البيت وماتجيش اهرجي روحي اقعدي عند اختك او سافري الجونة او دهب واحنا هنخلص علي اتم وجه.

-ده اسمه هروب.

-ليلي الفرح ده ضروري نكمله ارجوكي ثقي فيا.

-ماشي يا عاصم، انا هقوم اروح احاول انام ولو في حاجة كلموني.

-تمام الله يعينك.

سيبته كل حاجة وقولتله كمل روحت البيت وقعدت اتمشي في الشقة شوية، انا مااتعودتش اني اقعد فاضية بس ماكنتش لاقيه حاجة اعملها، دخلت لبست ترنج وخدت جاكت ونزلت اجري، قولت اقلد البنت اللي شوفتها يمكن الافكار اللي في دماغي تحل عني، رجعت وانا مش حاسه برجلي يا دوب خدت شاور وخرجت من الحمام رميت نفسي علي السرير ونمت كتير

كأني كنت جعانة نوم، قومت من النوم وانا مش قادرة آخد نفسي، حاسه ان قلبي هيخرج من جسمي من كتر ما بيدق، كنت بتنفض، شديت عليا الغطا وفضلت أقول...

- أعوذ بالله، أعوذ بالله.

ماكنتش مجمعة اللي بيحصل فضلت أستعيذ بالله كذا مرة لحد ما حسيت ان لساني اتجمد لما سمعت نفس جنبي، اتلفت بفزع أكتر حواليا الدنيا كانت ضلمة خرص، لزقت في الحيطة وحاولت ابص بتركيز بتركيز في وسط الضلمة يمكن المح حاجة، كان جسمي كله بيصب عرق، بس في نفس الوقت بردانة، مش شايفه حاجة بس حاسه بالنفس حواليا موجود، فجأة حسيت شعر راسي وقف، فرفعت ايدي عشان اشوف في ايه لكن مالحظتش حاجة غريبة غير ان شعري عليه مايه وقولت يمكن من العرق، فضلت شوية قاعدة في مكاني مش بتحرك ماكنش عندي الجرأة أصلا، لحد ما هديت ودورت علي الموبايل تحت المخدة، وشغلت الكشاف بتاعه وبدأت أتحرك على نوره في الاوضة لحد ما وصلت لكوبس الكهربا وشغلت النور، بس لاحظت ان في حاجة لونها أحمر علي ايدي، قربتها من مناخيري كانت ايدي ريحتها غريب... دم فكرت اني اتعورت فجريت علي التسريحة بخضة ووقفت قدامها، مالقتش اي جرح فيا افتكرت اني حطيت ايدي علي شعري، ففردته وبدأت أشوف في المراية لو في جرح في راسي، وبرده ماكنش فيه، فتشت الاوضة حواليا، ماكنش في حاجة غريبة، دخلت الحمام عشان اخد شاور، عشان كنت قرفانه من ريحة الدم اللي في شعري وايدي، فتحت المايه

وقعدت افكر... هو الدم ده ممكن يكون جه منين طالما انا مافيش فيا حاجة؟ ماكنش في اجابة معينة ترضي فضولي، من يوم ما روحت أشوف الفندق ده وأنا بصحى على كوابيس وبلاوي سودة بس النهاردة العيار كان تقيل حبتين، ده في دم، غمضت عيني وقولت في سري يا رب سلم، انا لسه واخده شاور قبل ما انام اصلا، عملت نسكافية وقعدت علي السرير وانا مولعه نور الاوضة، عيني كانت بتلف في كل مكان، فضلت كده كتير كل ما عيني تغمض اقوم اغسل وشي او اعمل قهوة فضلت علي الحال ده يومين لحد ما عاصم اتصل بيا يسأل عني ولما لقى صوتي تعبان، جاب مرام وجم عندي البيت يزوروني، اتخضوا من شكلي المبهدل، قعدوا قدامي كأنه استجواب ولما حكيت كل اللي حصل عاصم بصلي باستغراب وقالي...

-انتِ عارفة اني تعبت علي طول وضغطي وطي واتنقلت المستشفي بعد ما دخلت الفندق ده اول مرة.

-انت دخلته تاني؟

-لا هنبدأ من بكره.

-عشان خاطري بلاش المكان ده فعلا وحش في طاقة كده فظيعة مليان موت يا عاصم.

-طيب هنعمل ايه؟ الاستاذة مرام مضت انسة حور علي العقد بس لكن البيانات قالتلها مش مهم، احنا ماعندناش اي حاجة نتواصل معاها من خلالها.

-طيب سيبلي الطلعة دي.

-ازاي هجيب عنوانها من البنك.

ماكنش ينفع نستني، تاني يوم كانت استاذة اسراء مجهزالي العنوان بتاع حور الشهاوي، خدته منها وعديت ع الشركة كان عاصم جهز الاوراق وصمم يروح معايا لحور، وصلنا فعلا الفيلا وهناك طلبنا نقابل انسة روح لكنهم قالوا مش هينفع، فطلبنا نقابل اي حد موجود في البيت مكانها، وفعلا بعد دقايق دخلونا لوالدتها، كانت ست عادية علي كرسي متحرك بس شكلها طيب أوي، قعدت معانا وابتسمت وقالت...

-انتوا صحاب حور بنتي صح؟

-ده شرف لينا بس لا مش صحاب هي جت عشان ننظملها فرحها بس للاسق مش هينفع.

-جت فين وامتي؟ انتوا بتتكلموا علي حور مين؟

-حور الشهاوي جت من أسبوع تقريبا وسابت سيك لينا عشان ننظم فوحها.

-ازاي يا بنتي؟ حور ماتت من تلت سنين! اكيد في حاجة غلط انتوا نصابين انا هناديلكم الامن.

-ثواني بس احنا جايين ندي لحضرتك الشيخ ونفسخ العقد هننصب عليكي في ايه اتفضلي ده الشيك اهو وده العقد بامضة انسة حور.

مسكت الشيك وعينيها غرغرت بالدموع ووبعدين بصت في العقد وحضنته وقالت....

-كان نفسها تعمل فرح يتحاكي بيه الكل بس فعلا حور ماتت من تلت سنين قبل فرحها بأسبوعين، كانت رايحة تحجز عند واحدة اسمها ليلي وماتت في الطريق.

-ثانية بس انا اسمي ليلي، بس لو فعلا بنت حضرتك ماتت يبقي حد بيستعمل اسمها ومنحل شخصيتها.

-مين هيعمل كده؟ اوصفولي البنت اللي جتلكم كده؟

-انا مشوفتهاش عاصم اللي شافها اوصفهالها يا عاصم.

-عينيها بنت! شعرها قصير ولونه عسلي فاتح، جسمها رفيع ومش قصيرة ووشها مدور.

-اللي بتوصفها دي حور بنتي بالملي.

نادت علي واحدة عندها في البيت...

-يا عايدة يا عايدة.

-نعم يا ست هانم.

-هاتي الالبوم اللي جنب سريري.

جابت عايدة الالبوم ومامت حور فتحته وطلعت منه صورة وناولتها لعاصم وقالتله...

-هي دي اللي جتلك؟

-أيوه يا افندم هي، وكانت لابسه ترنج وجاكت عليه.

مديت ايدي وخدت الصورة وساعتها تنحت، كنت مصدومة، بصيتلهم وقولتلهم...

-أنا شوفتها أنا كمان.

حكيتلهم اللي حصل معايا يومها، لكن مامتها جابت شهادة الوفاة بتاعتها عشان تثبتلنا انها ماتت، ماكنش في حل غير اننا نراجع كاميرات المراقبة بتاعة الشركة عندي، طلعنا احنا التلاته علي الشركة وقعدنا نتفرج علي تفريغ الكاميرات اللي في نفس

الوقت اللي جت فيه الكاميرات مجابتش حد داخل ولا خارج، وقفت مرام وهي مخضوضة وقالت لنا...

-يعني اللي كانت هنا اللهم ما احفظنا.؟

-بطلي هبل يا مرام.

-لا مش هبل احنا محتاجين نف م حد ميت ليه يجيلنا ويظهرلك وتحلمي بكوابيس.

عاصم قام مرة واحدة وقال...

-أنا خال امي راجل في حاجه لله، هتصل بيه اسأله هل ممكن ده يحصل ولا لا..

بعد مكالمة طويلة رجع ووشه مقلوب وقالنا...

-بيقول ان دي اشارات من حور عشان في حاجة غلط.

-غلط زي ايه يا ابني؟

-مش عارف يا ام حور.

تليفونها رن فردت وقالت ان ده ابن اختها وهيجي ياخدها عشان يروحها وبعد نص ساعة وصل، وقفت قدامه متنحه كل اللي عملته اني مسكته من ايده نفس مكان الجرح اللي شوفته في الولد اللي كان في الفندق، كان مستغرب بس ساعتها ام حور عرفتنا عليه وقالت...

-ده رامي خطيب حور بنتي الله يرحمها وكان هيبقي جوزها.

بصيت لعاصم وشاورتله، فطلب من رامي يساعده يجيب حاجة من العربية عشان ينقلوا مامت حور، بعد مامشي ماكنش فاضل غيري انا ومرام وهي قربت منها وقولتلها...

-رامي ده ليه يد في موت حور يمكن ماتصدقنيش بس بعد كل اللي حصل ده انا ماعنديش مبرر اكذب عليكي واتهمه، بس انا شوفت حاجة زي رؤيه كده كان لابس فيها قميص وبنطلون ومعاه سكينه.

ضربت بايدها علي صدرها وقالت..

-معقولة.

-ماعوفش انا قولتلك اللي عندي يمكن كل ده حصل عشان حور عايزه تدلنا علي اللي قتلها.

-طيب والعمل دلوقتي؟

-افتحي التحقيق تلني في حادثة بنتك واحنا معاكي.

كل اللي قدنا نعمله اننا راجعنا تسجيلات اليوم اللي اتقتلت فيه حور من ٣ سنين؛ والكاميرات كانت جيباها فعلا وهي بتتعارك مع خطيها قدام الشركة لكنه شهدها للعربية وخدها ومشوا...

فضلت متابعه القضية ومهتمية بتفاصيلها رغم ان الكوابيس وقفت، مش هنكر اني فرحت لما اتحكم بالاعدام علي رامي... اصل الغدر وحش.

***

البيت القديم

في حاجة غلط في البيت، مش هينفع نقعد فيه اكتر من كده، أنا لازم اتكلم مع بابا وماما في الموضوع ده، فضلت قاعد مستنيهم لحد ما صحيوا وبابا جه قعد في الصالة معايا وماما حضرت الفطار، وبعدين ندهت علينا فقعدنا كلنا عشان نفطر، ماكنتش عارف ابدأ كلامي منين؟.. ولا اشرحلهم ازاي اني بشوف وبسمع حاجات غريبة في البيت من اول ما رجعنا؟.. بس لازم يعرفوا الحقيقة، ده لو ماكنش بيحصل معاهم كده هما كمان وساكتين، هحكيلك كل حاجة حصلت معايا من الأول...

كان قلبي بيدق بسرعة أول ما سمعت المضيفة وهي بتطلب مننا نربط حزام الامان، عشان الطيارة خلاص دخلت المجال الجوي وهنكون خلال دقايق في المطار، ممم دي مش أول مرة أركب فيها طيارة، بس دي أول مرة أرجع فيها مصر بعد غربة ١٨ سنة، أيوه حاليا انا عندي ٢٨ سنة، احنا هاجرنا وعلي ما افتكر كان عندي وقتها عشر سنين تقريبًا، هاجرنا تلاتة ورجعنا تلاتة، أبويا وأمي دول الحاجة الوحيدة اللي كانت مصبراني في الغربة، بصيت جنبي لقيتهم في سابع نومة وحزام كل واحد فيهم مربوط، ربطت الحزم بتاعي أنا كمان وغمضت عيني، كنت خايف مش هنكر ده، بس في حاجة كده مش قادر اوصفها، كنت متوتر

من الحاجات الكتير اللي أكيد اتغيرت في سنين الغربة، زي الاهل والصحاب والشوارع والبيوت، دول ١٨ سنة مش كام يوم، الطيارة نزلت بسلام وبدأنا نخرج منها، خلصت ورقي وورق ابويا وأمي، وكنت طالب من ابن عمي انه يستنانا بعربيته في المطار، كنت مستغرب اوي لما لقيته جايب عربية كبيرة، بصيتله باستنكار وقولتله...

- ايه يابني كل العربية دي؟.. ده احنا تلاته وانت الرابع؟

- يا يحيى الطريق طويل، كده أحسن عشان كل واحد يبقي قاعد مرتاح.

بعد السلامات واللذي منه رصينا الشنط ودخلنا ابويا وأمي وقعدت انا قدام جنب يوسف اللي قالي...

- والله بعودة يا ابن عمي، ماتجمعناش من كام سنة يا يحيى؟

- من كتير والله، ده هي طلعت فجأة في دماغ الحاج انه عايز يصفي وينزل، بس انت عارف الظروف بقي اخرتنا شوية بس ادينا رجعنا أهو.

- حمد لله علي السلامة.. نورتوا مصر.

- منورة بك ياحبيبي.. انا ملاحظ ان الدنيا اتغيرت أوي هنا.

- اومال، ده حتي البلد لما ننزلها مش هتعرفها.

- ليه يعني؟

- الطرق، البيوت القديمة، العماير الجديدة كل حاجة اترسمت ولسه بترسم من جديد، انا متأكد اني لو وصلتك البلد وسيبتك تروح البيت مش هتعرف.

- للدرجة دي؟

- هههههه وأكتر كمان يا عم يحيى.

- هو انتوا لسه ساكنين في نفس الشارع ولا عزلتوا؟

- عزلنا من حوالى أربع سنين كده بعد موت جدتي، ابويا قالها نخرج من الشارع ده بقي ونسيب الشقة عشان ضيقة فاخدوا شقة قريبة من شقتي.

لقيتني بقوله...

- يااااه البيت ده ليه ذكريات كتير معايا في طفولتي.

- معاك حق يا يحيى والله، البيت ده يا ما شبع مننا.

- بصيت علي الكنبة اللي ورا وبعدين بصيت قدامي وأنا بضحك وبقول...

- مبسوط يا بابا مش كده؟

- أكيد يا ابني هو حد يرجع المكان اللي اتربي وكبر فيه ومايتبسطش!

لقيت ماما بتقولي...

-بس كل حاجة اتغيرت يا يحيى عن ما سيبناها.

-كل حاجة اتغيرت فعلا يا ماما.

سكتنا وماحدش فينا تقريبًا كان عنده كلام يعوض غربة السنين اللي راحت مننا على الفاضي، بصيت علي الطريق من الشباك اللي جنبي، كل حاجة اتغيرت فعلًا، بقى فى طريق سريع

وكباري وبنزينات كتيرة في السكة، خدت نفس وغمضت عيني وسرحت، أنا عمري ما اتعلقت بمكان غير بيتنا، رغم كل السنين اللي مرت دي، واديني راجعله بس في حاجة جوايا متغيرة مش عارف ايه هي؟!.. يمكن الفرحة بالاماكن واللقا، الخوف والغربة قتلوهم، فوقت علي ايد يوسف وهو بيهزني وبيقول....

- يحيى.. يا يحيى انت لحقت تنام يا ابني؟

- مانمتش أنا صاحي بس سرحت، ومطبق والله معلش.

- ماينفعش نروح على البيت لازم...

- معلش يا يوسف سيبني علي راحتي.

- طيب هكلم بابا يبعت حد ينضفه علي السريع علي ما نكون وصلنا.

- هو احنا قدامنا كتير؟

- لا مش كتير أوي.. حوالي ساعتين كده.

بصيت علي الطريق وأنا قلبي مقبوض، كان جوايا كمية خوف مش عارف ظهرت منين؟.. دماغي كاتن هتنفجر، بصيت ليوسف وسألته...

- مافيش معاك ماية؟

- معايا، اتفضل اهي.

وطيت عشان اجيب الشنطة الكتف من جنب رجلي وطلعت منها حباية صداع وخدتها عشان تساعدني اخلص من التوتر وتخفف الضغط، رجعت شريط الحبوب مكانه وركنت الشنطة جنب رجلي، مش عارف ليه بدأت أحس بتقل في دماغي، الدنيا كانت بتلف بيا مش عارف ليه؟.. غمضت عيني تاني،

حسيت بشواكيش بتدق في دماغي، أكيد الحباية هتعمل مفعولها فأي لحظة وههدا.. روحت في النوم بعدها...

متاهة، مكان كله حيطان شبه بعضها، أصوات صرِيخ، وشوش طالعة من الحيط، دم كتير، ايدين بتحاول تشدني وتخنقني، ماصدقت فلت ووقعت على الارض في النص، مش قادر استحمل كل اللي بيحصل حواليا في حاجة مكتفاني، ماعدتش قادر اتحرك، ولا حتى أتنفس، كنت حاسس ان روحي بتتسحب مني والمكان بيضيق عليا.

***

فتحت عيني وفضلت باصص قدامي علي الطريق وانا ساكت، كنت مصدوم مش قادر اتخطي ان اللي خرجت منه ده كان كابوس، جسمي كان بيتنفض، بصيت ليوسف اشوفه خد باله ولا لا، لقيته باصصلي وقبل ما انطق سالني...

- أنت كويس يا يحيى؟

- ايوه تمام بس شوفت كابوس.

- معلش احنا خلاص قربنا نوصل، انت اطلع ارتاح ومالكش دعوه بحاجة.

- هو احنا فين كده؟

- احنا يا سيدي دخلنا البلد اهو.

- يااااه ده كل حاجة اتغيرت فعلًا.

- أكيد طبعًا هم كام يوم!.. دول ١٨ سنة ياعم يحيى.

- بابا حاسس بايه دلوقتي؟

- مرتاح اوي ومبسوط، شايف وش أمك منور ازاي من أول ما رجعنا.

- ربنا يخليكم ليا يا حبيبي وما يحرمنيش منكوا ابدا.

فضل يوسف ماشي في شوارع واماكن انا اول مرة اشوفها، بقيت ابص حواليا زي الطفل اللي اول مرة ينزل الشارع ويشوف الدنيا ماشية ازاي، بره في تقدم وراحة بس مافيش حياة، الناس هناك كإنهم آليين متبرمجين انما هنا كل حاجة ليها طعم وروح.. فوقت على صوت يوسف...

- ايه يا عم يحيى، مستغرب البلد صح؟

- عارف انا بقالي ١٨ سنة ميت ودلوقتي بس حسيت اني رجعت للحياة.

- ياه للدرجة دي؟

- وأكتر كمان وحياتك، سنين الغربة بتردم علي العمر تراب يا يوسف، كل حاجة بتتسرق منك وانت مش حاسس، حتي لو حبايبك واهلك معاك بتفضل حاجة معلقاك هنا، ذكرى بني ادم، أو مكان.

- ايه العمق ده كله!.. اللي يشوفك كده مايقولش انك محامي فاشل.

- مش فاشل أنا اللي اخترت أبعد عن السكة دي.

- ماشي يا عم ما علينا احنا وصلنا خلاص اهو.

- ايه ده يا يوسف!

- ايه يا يحيى مالك؟

- هو ده الشارع بتاعنا؟.. ده بيتنا؟

- اه يا ابني هو ده البيت، وامسك كده دي المفاتيح بتاعة البيت كله، الكبير ده مفتاح الباب اللي تحت واللي فيه بلاستيك اسود مفتاح شقتنا القديمة واللي فيه شريطة ده مفتاح شقة جدك ومفتاح شقتكم اللي فاضل، حاول ترتاح وأنا هخلص كل حاجة وهعدي عليك اخر النهار ماتقلقش.

- انت مش هتنزل حتي تطلع معايا الشنط؟

- اكيد مش هسيبك تطلعهم أصلا، الواد اللي نضف الشقة هناك اهو هو هيطلعهم.

شاور لولد كده واللي جه ناحيتنا بسرعة...

- أؤمر يا أستاذ يوسف؟

- نضفت الشقة كويس يا محروس؟

- ايوة وخليتها بتبرق.

- هنشوف، يلا طلع الشنط دي وساعد استاذ يحيى، وانا هعدي عليك احاسبك بالليل ماتخدش من يحيى فلوس.

بصيتله باستغراب، فقالي...

- أنا عارف انك لسه جاي من السفر وماعكش فلوس مصري.

هزيت راسي وسكِت، الولد طلع الشنط ويوسف مشي، طللعنا واتأكدت ان كل حاجة تمام وبعدها محروس مشى، بصيت علي الكنبة مالقتش ابويا وامي دورت عليهم في الصالة ماكنلهمش أثر، جريت على أوضتهم زي زمان، انا فاكر لما كنت بشوف كابوس كنت بقوم مفزوع واجري علي اوضتهم وادخل انام وسطهم، قربت من الاوضة الباب كان موارب، سمعت صوت

ضحكهم، غمضت عيني وحسيت بالأمان، فتحت الباب، وساعتها بص لي ابويا وقالي...

- تعالى يا يحيى، فاكر زمان لما كنت بتخاف تنام لوحدك وتتحجج بالكوابيس عشان تنام معانا.

بصيت علي أمي اللي كانت واقفة قدام الشباك وقالت من غير ماتبصلي...

- شايف الشارع اتغير ازاي؟

- الله يخليكي يا ماما انا في عرضك، ابعدي عن الشباك عشان ماتتعبيش من الهوا.

- ماتخفش عليا، الهوا هنا يرد الروح.

لفت وشها لبابا وقالتله...

- انا كنت غلطانة لما طاوعتك وسيبنا البلد، بس مش هكرر غلطي تاني، مافيش سفر ولا غربة.

هز راسه وفضل ساكت ما اتكلمش، سابتنا وخرجت من الاوضة، قعدت جنب ابويا علي حرف السرير وقولتله...

- بابا، هو انت زعلان اننا رجعنا!

- لا خالص يا يحيى، كل واحد مهما اتغرب لازم يرجع لمكانه اللي اتولد فيه، لو ماكنش بجسمه بيرجع بقلبه يا ابني.

ماما دخلت وقاطعت كلامنا وقالت...

- يحيى، مافيش اكل يا ابني، انزل شوف اي سوبر ماركت او مطعم هات أي أكل ناكله علي ما نظبط الدنيا أنا وأبوك.

- حاضر يا ماما، انا لو معايا رقم مصري كنت طلبت دليفري.

- يلا انجز عشان معاد الادوية بتاعتي انا وابوك قرب.
- حاضر حاضر، نازل اهو.

سيبتهم وخرجت من البيت، كانت الشنطة بتاعتي معايا، خدت الاكل وحاسبت الراجل بالدولار، وفرح جدًا ماعرفش ليه؟.. وبعدها رجعت البيت، اول ما دخلت الشقة ماما خدت مني الاكياس وحطتها علي الترابيزة، وجهزت كل حاجة، ماقدرتش اكمل أكل، سيبتهم ودخلت اترميت علي السرير...

دوخة، كأني نازل من الملاهي، أصوات كتيرة كانت جوه دماغي وشوش وذكريات طفولة بتتعرض قدامي علي شاشة صغيرة، نورها مخليني مش مركز، وفجأة كل حاجة هديت وسمعت صوت نفس بيلهث وصوت ماما بتصرخ وبتقول...

- الحقونا .

***

فتحت عينيا بخوف، بصيت حواليا، سيبت الاوضة وخدت نفسي وروحت علي اوضة ابويا وأمي عشان اطمن عليهم، دخلت الاوضة لقيتهم نايمين والدنيا هادية، ماكنش ينفع انام علي السرير معاهم زي ماكنت بعمل زمان وانا صغير، فقررت انام علي الكنبة العربي اللي في ركن اوضتهم، هما وجودهم أمان بالنسبالي، غمضت عيني وانا مطمن وروحت في سابع نومة، مافيش حاجة قلقتني من بعدها لحد ما صحيت تاني يوم، فتحت عيني وفردت دراعي، جسمي كله مكسر من النومة دي، بصيت مالقتش ابويا وأمي، اكيد اتأخرت في النوم فصحيوا وسابوني نايم، كنت قايم مبسوط، حسيت ان الزمن رجع بيا ١٨ سنة لورا، قوومت

وخرجت من الاوضة، وقفت في الطرقة قبل ما ادخل الحمام، ونااديت علي أمي بصوت عالي زي ما كنت بعمل زمان...

- ماما انا صحيت حضريلي الفطار بقي انا ميت من الجوع.

قولت كده ودخلت الحمام، خدت شاور دافي وخرجت ادور في الدولاب علي هدوم لكن كانت لسه الهدوم في الشنطة والدولاب فاضي، بصيت بغضب علي باب الاوضة وقولت لنفسي...

- اكيد رتبت هدوم جوزها ونسيت هدومي ماشي يا ماما.

لفيت حواليا لقيت الشنطة بتاعتي جنب الدولاب فضحكت وقولت...

- كتر خيرها انها دخلتها هنا.

شيلت الشنطة حطيتها علي طرف السرير وفتحتها، اول حاجة قابلتني، كانت البرواز اللي فيه صورتنا احنا التلاته، خدته وسندته علي الكومودينو اللي جنب السرير، رجعت وقفت قدام الشنطة تاني، وطلعت تيشرت خروج ولبست عشان اكل واخرج افك فلوس واشوف يوسف اللي ضحك عليا وقالي هعدي عليك وماعداش ده، قعدت علي السفرة وناديت علي ماما فسمعتها من جوه بتقولي...

- جايه اهو اصبر انت دايما متسربع كده!

سمعت صوت خبط علي الباب اللي تحت، فقومت بغيظ ودخلت البلكونة عشان ابص واشوف مين اللي بيخبط منها، لقيت الولد محروس اللي نضف الشقة واقف علي الباب تحت، احنا شقتنا في التالت، ناديت عليه وقولتله...

- بطل خبط ثواني نازلك اهو.

دخلت الشقة ووقفت في الصالة وقولت لأمي اللي كانت واقفة في المطبخ...

- انا نازل اشوف الواد اللي نضف الشقة عاوز ايه وجاي علي طول.

ماستنتهاش ترد عليا، فتحت الباب ونزلت، خرجت من البوابة لقيت محروس بيبصلي باستغراب وبيسألني..

- انت كويس يا استاذ يحيى؟

- اه الحمد لله في ايه؟

- خضتنا عليك يا راجل، ده يوسف ابن عمك كان هيتجنن عليك وباعتني أطمنه عليك.

- هو في ايه؟ وفين يوسف؟

- بيلف علي قرايبكم عشان يشوف نسخه لمفاتيح البيت.

- ليه؟

- اصله جه امبارح وفضل يخبط عليك وانت ماردتش فقلق عليك والنهارده الصبح برده جه خبط كتير وماحدش رد فشك ان يكون جرالك حاجة في البيت وراح يدور علي حد معاه مفاتيح للبيت.

- النوم سلطان؛ وبعدين ما كان نط من علي اي سطح او بلكونه؛ ما الشارع كله لازق في بعضه.

- معلش بقي هو كلمني وقالي استناه هنا، هرن عليه اطمنه ثواني.

طلع موبايله وكلم يوسف قدامي واداني الموبايل، كلمت يوسف وقولتله اني راحت عليا نومه ولسه صاحي يادوب مافطرتش فطلب من محروس يوديني المكتب عنده وهو هيروح هناك ونتقابل ويعزمني علي الفطار، ماقدرتش ارفض طلبه؛ بس قبل ما اركب الفيزبا ورا الواد محروس بصيت علي البلكونه لقيت امي واقفة وبتبص عليا، شاورتلها وركبت وراه ومشينا، كنت عارف انها مش هتعديهالي لما ارجع، وصلت المكتب بتاع يوسف، وهو مكتب سفريات، قضيت معاه النهار كله وفكيت فلوس ووصلني البيت وروح عشان ابنه تعبان ومحتاج يوديه للدكتور.

طلعت وانا متأكد ان في وصله مستنياني عشان غيابي عنهم طول النهار، حطيت المفتاح في الباب، وفتحت بهدوء، واتسحبت علي طراطيف صوابعي، ماكنش في حد في الصالة، النور كله كان مطفي ماعدا نور الحمام، كان والع والباب متوارب، حطيت الطلبات في المطبخ ووقفت قدام اوضة ابويا وامي، مسكت أوكرة الباب وفتحته بالراحة، كانوا في سابع نومة، معقول ناموا بدري كده، دي الساعة ٩ ونص!.. دخلت اوضتي، فردت جسمي علي السرير وكلمت يوسف عل يالتليفون وضحكت وقولتله أبويا من يوم ما جينا مثر وهو بقي بينام زي الفراخ فضلنا نضحك لحد ما رصيد يوسف خلص والخط فصل، كان يوم مرهق ومتعب من اللف، سمعت فجأة صوت خبط جامد، طلعت بصيت علي الصالة ماكنش فيها حاجة لفيت الشقة كلها ووقفت في الصالة الصوت ما سكتش فقولت بصوت عالي...

- هو في اييييييه؟

ساعتها الصوت سكت والمكان هدي، دخلت اوضتي ولفيت عشان اقفل بابها ورايا سمعت صوت صرخة جمدت الدم في عروقي، بصيت حواليا وانا حاسس ان قلبي هيخرج من صدري من كتر ما بيدق، الدنيا كانت كحل، البيت كله ضلمة، قفلت الباب عليا بسرعة وحاولت اتمالك اعصابي، كان جسمي بيتنفض ونفسي عالي، حاولت اهدا عشان ما حدش منهم يصحي، حطيت ايدي علي بوقي وشديت الغطا ومع الوقت والخوف نمت من غير ما احس، المكان كان برد أوي والغطا بيترفع من عليا كل ما أشده، فتحت عيني بضيق وشديت الغطا وقولت بصوت عالي...

- يووووووه بس يا بابا بقى.

ساعتها سمعت صوت بيضحك وبيقولي...

- هههههههه بابا مين يا حبيبي؟ قال بابا قال هههههههه.

قومت بفزع كنت مخضوض وخايف، المكان ضلمة حواليا، ماكنتش شايف حاجة، بس في صوت جنبي بيتحرك مش ثابت، ابن الت... بيصفر جنب ودني خضني.

- انت مين اظهر، حد يولع النور، انت يا حيوان ياللي بتضحك.

الصوت فجأة اختفى، بس مرة واحدة حد هجم عليا من ورا ومسك دماغي وفضل يحركها شمال ويمين، كان بيرجها كأنها كورة، ومرة واحدة خبطني علي دماغي، حسيت اني دايخ عينيا كانت بتغمض وتفتح شوفت عينيه في وسط الضلمة كان لونها ابيض، وابتسامة واسعة كشفت سنان صفرة، دي كانت الملامح اللي شوفتها قبل ما افقد وعيي.

كنت حاسس بألم رهيب في دماغي، قومت من علي الكنبة ودخلت الحمام، غسلت وشي وروحت المطبخ ووقفت أعمل شاي، حسيت فجأة ان في ايد بتخبط علي كتفي، بصيت ورايا اشوف مين مالقتش حد وقبل ما ارجع ابص للبراد اللي علي النار، حسيت بألم رهيب، براد الشاي كان متحرك من مكانه، رجعت لورا بسرعه وفضلت متنح، هو براد الشاي اتنقل علي العين دي امتي؟... في حاجة غلط في البيت، مش هينفع نقعد فيه اكتر من كده، أنا لازم اتكلم مع بابا وماما في الموضوع ده، فضلت قاعد مستنيهم لحد ما صحوا لما بابا جه قعد في الصالة معايا وماما حضرت الفطار و وبعدين نادت علينا فقعدنا كلنا عشان نفطر، ماكنتش عارف ابدأ كلامي منين ولا اشرحلهم ازاي اني بشوف وبسمع حاجات غريبة في البيت من اول ما رجعنا، بس لازم يعرفوا الحقيقة ده ان ماكنش بيحصل معاهم كدا..

- بابا، ماما.. كنت عاوز اسألكم علي البيت انتوا مش ملاحظين حاجة غريبة؟

ردت ماما وقالتلي...

- ايه يا يحيى في ايه؟.. ماله البيت؟

- ماله البيت يا ابني!

- ماسمعتوش صوت الخبط امبارح!.. طيب ما فيش حاجة غريبة حصلت لكم في البيت!.. انا كنت هتشوي الصبح وانا بعمل الشاي، مع اني متأكد اني حطيت البراد علي البوتوجاز من جوه بس فجأة لقيته بره ومايل.

- جرالك حاجة يا حبيبي!.. انت بخير.

- انا كويس يا ماما ماتخافيش.

- لا يا ابني ما فيش حاجة غريبة حصلت، ولا لاحظنا حاجة يمكن انت عشان بتسهر كتير وتغيير المكان مأثر عليك.

- لا يا بابا أنا واثق ان البيت في حاجة غلط.

- يحيي ماتجادلش معايا البيت مافيهوش حاجة ، أنت رجعت تاخد الحبوب اللي بتاخدها دي.

- لا يا بابا لا ماخدتهاش يمكن أنت معاك حق أكيد ده من تغيير المكان.

فطرت ولبست بسرعة، أنا فاكر أخر مرة اتخانقت فيها معاهم علي الحبوب دي، مش لازم يعرف اني لسه باخدها، نزلت روحت مكتب يوسف، كنت هموت واحكيله اللي بيحصل معايا بس خايف يروح يحكي لعمي والكلام يوصل لبابا، قضيت اليوم كله معاه وبعدها دخلنا سينما واتفرجنا علي فيلم كوميدي، ضحكنا وفكينا شوية روحت اتعشيت معاه في بيته وأصر يوصلني وعلي ما رجعنا البيت كان بابا وماما ناموا، اطمنت عليهم وقعدت انا ويوسف شوية، مسكت فيه يسهر معايا قدام التليفزيون قولنا نسلي نفسنا ونكسر الروتين بس مراته كالعادة ما بطلتش زن عليه عشان يروح فقام عشان يمشي لكني وقفته وقولتله....

- بابا وماما هيزعلوا منك أوي انك جيت وهما نايمين.

أصر انه يروح واعتذرلي؛ بصراحة ماكنش جايلي نوم خالص حتى بعد ما يوسف مشي، فتحت التليفزيون وقومت اجيب مايه من التلاجة، رجعت لقيت فيلم تاني شغال، بس استغربت اوي.. دي مش القناة اللي كنت مشغلها، كنت بحاول

اتجاهل اللي بيحصل معايا في الشقة بس كل حاجة بتأكد ان في شئ مش مظبوط، قررت اعمل اختبار صغير، غيرت المحطة ودخلت المطبخ دقايق ورجعت كانت القناة فعلا متغيرة، بلعت ريقي بخوف ودورت في التليفزيون علي اي قناة من اللي بتذيع بث مباشر لقراءة القرآن ماكنش فيه، خوفي زاد أكتر، وبقيت ببص حواليا وجسمي بيتنفض، قفلت التليفزيون وخدت موبايلي ودخلت اوضتي، قفلت الباب عليا، وقعدت علي السرير، الشقة دي فيها حاجة مش مظبوطة انا متأكد، فتحت التليفون ورنيت علي محروس، كان صاحي الحمد لله ورد عليا....

- ازيك يا محروس؟

- استاذ يحيى، التليفون نور يا باشا خير مالك؟

- هو انت وانت بتنضف البيت مالحظتش حاجة غريبة؟.. ماجرالكش أي موقف مريب.

- مش فاهم تقصد ايه يا استاذ؟

- يعني وانت في الشقة ماسمعتش صوت خبط مثلا.. ماحستش ان في حد معاك في البيت؟

- لا طبعا، هو في ايه؟

- مش عارف انا مش مرتاح.

- تحب اكلم استاذ يوسف واجيبلك شيخ يقرالك شوية قرآن في البيت؟

- لا لا ماتدخلش يوسف في الموضوع.، انت كلم اي حد ثقة تعرفه ونتفق علي ميعاد تجيبه فيه.

- ماشي يا استاذ يحيى عينيا ليك.

قفلت معاه وكنت بفكر ازاي هدخل محروس والشيخ البيت، مستحيل ابويا يصدقني ويسيبه يدخل، باااس لقيتها انا هقوله يروح يزور يوسف عشان ابنه تعبان وفعلا مددت جسمي علي السرير وانا راسم مُخطط في دماغي لما الراجل يجي هنفذه.

فتحت عيني وشهقت بفزع، كان كابوس صعب اوي، الاوضة كانت ضلمة، مسكت الموبايل وشغلت الكشاف وقومت من علي السرير، فضلت ماشي لحد ما وصلت لكوبس الكهربا وولعت نور الاوضة، حسيت بهوا بارد خبط في وشي، اتلفت حواليا بخوف، مش فاهم في ايه!.. طلعت الصالة وقفت قدام اوضة بابا وماما وخبطت على الباب، سمعت صوت ماما من جوه بتقولي...

- تعالي يا يحيى، تعالى يا حبيبي، مالك ايه اللي مصحيك دلوقتي؟

رديت عليها وانا واقف قدام الباب وقولتلها...

- كابوس يا ماما.. كابوس وحش أوي.

- طيب تعالى يا حبيبي اقعد علي الكنبة اللي عندنا واتكلم معايا لحد ما تنسي.

فتحت باب الاوضة ودخلت، مددت علي الكنبة وماعرفتش انام من التفكير لقيتها بتقولي ...

- مالك فيك ايه يا يحيي؟

- مافيش يا امي.

- لو كدبت علي الكل مش هتعرف تكدب عليا ، انت رجعت تاخد الحبوب دي تاني؟

- مش علي طول والله لم بكون متوتر بس.
- ماتضيعش نفسك زي ما ضيعتنا يا ابني.
- حاضر يا امي.

عِرفِت اللي كانت عايزاه وسكتت بعدها، اما انا ففضلت اتقلب لحد الصبح ومانمتش، ابويا صحي وخرج من الاوضة وامي بعده بشوية قامت بصت عليا، فعملت نفسي نايم لحد ما خرجت من الاوضة وقومت سايب الكنبة ونايم مكانهم علي السرير، مش برتاح غير علي السرير ده بالذات، حسيت ان النوم خلاص كبس عليا فشديت الغطا واستسلمت، صحيت علي رنة الموبايل، اول مرة انام مرتاح كده ماكنتش عايز اصحى، مسكت الموبايل وفتحت الخط...

- ألو مين؟
- أنا محروس يا استاذ، انت نسيتني ولا ايه؟
- لا يا محروس، خير مالك؟
- الشيخ هيجي معايا كمان ساعتين كده.
- ساعتين؟
- اه بعد العصر.
- طيب تمام مستنيكم.

قفلت معاه ونطيت من علي السرير، روحت لبابا وماما وفضلت امهدلهم لحد ما اقتنعوا انهم يروحوا يزوروا يوسف ويشوفوا ابنه.

لبسوا ونزلنا وقفنا قدام البيت عشان اشوفلهم تاكسي، شاورت لتاكسي كان بعيد شوية اول ما قرب اكتشفت ان محروس

ومعاه واحد راكبين فيه، اول مانزلوا عملت عبيط وروحت سألت السواق...

- فاضي ياسطا؟

هز راسه ففتحت باب التاكسي وركبت بابا وماما اللي بصتلي وقالتلي ...

- خد بالك من نفسك يا يحيي هتوحشني يا ضنايا.

سلمت عليهم والتاكسي اتحرك، كنت متجاهل محروس واللي معاه واول ما اتأكدت ان التاكسي عدي الشارع، لفيت ورجعت لمحروس واللي معاه واعتذرتلهم، كانوا بيبصوا لبعض باستغراب بس انا قولتله ان الدنيا رايقة فوق، خدتهم وطلعنا الشقة، قعدوا في الصالة وانا دخلت جيبتلهم عصير.. محروس بص للراجل اللي معاه لما حطيت الصينية وقعدت وقاله...

- أستاذ يحيى بيقول انه حاسس بحاجات غريبة في الشقة هنا يا شيخ.

بص لي الشيخ وسالني...

- بتسمع ولا بتشوف يا ابني؟

- هتفرق يعني يا عم الشيخ؟

- اه يا ابني تفرق.

- بصراحة مش عارف بس أوقات بحس بهوا بارد بيخبط في وشي وان حد بيحط ايده علي كتفي، وساعات بسمع صوت صريخ.

حكيتله كل اللي حصل، وبعد ما خلصت قالي...

- أنت بتصلي يا يحيى؟

- بصراحة يا شيخ مش منتظم.

- طيب أنا هشوف الشقة وهرقيك، وحاول يا ابني تنتظم في الصلاة والأذكار هتحميك لو في حاجة.

- حاضر هحاول، اتفضل عشان تشوف الشقة.

قام معايا، وكان كل ما يدخل اوضة يقول...

- السلام عليكم.

كنت هموت وافهم بيسلم علي مين وسألته بس هو شاورلي بايده عشان اصبر، بعد ما خلص لف في الشقة رجعنا تاني مالقناش محروس في الصالة، بلعت ريقي بصعوبة وانا بسأله...

- هو راح فين؟

- مش عارف.

فجأة لقينا محروس خارج من المطبخ وهو بيقول...

- يا أستاذ يحيى ايه الكركبة اللي في المطبخ دي؟.. انا لما اوصل الشيخ هرجع انضفهولك.

- معلش الحاجة نزلت من غير ما ترتبه؛ ان شاء الله لما ترجع هي هتنضفه.

- مممماشي يا استاذ ها يا شيخ في ايه؟

- محروس كان قايلي ان الشقة دي مقفولة من فترة.

- اه من ١٨ سنة.

- طيب انا حصنتها وان شاء الله خير.

- فهمني طيب انت كنت بتسلم علي مين؟.. ده ماحدش في البيت غيرنا؟

- العُمار يا ابني.

- العُمار!

- اه هما يشوفنا بس احنا مانشوفهمش.

- قصدك جن يعني؟

- اه بس مابيأذوش، لكن بما ان البيت بقاله فترة مش مسكون، فالعُمار اللي فيه ممكن يحاولوا يطفشوك عشان تسيب المكان، فاصبر والتزم بالصلاة والاذكار.

- طيب هما ممكن يأذوني جسديًا.

- لا طبعًا احنا بينا وبينهم عهد وحجاب طول ما انت ملتزم بصلاتك وقربك من ربنا مافيش حاجة هتجرأ تقربلك.

- تمام يا شيخ.

- وانا كل جمعة هعدي عليك اقرالك شوية قرآن لحد ما تقولي يا شيخ بقيت برتاح في المكان.

- تسلم يارب.

هنا اتكلم محروس وقال...

- نستأذن احنا بقي يا أستاذ يحيى ولو احتجت حاجة رقمي معاك.

- ماشي انا نازل معاكم اصلا، هعدي علي يوسف عشان الحاج والحاجة هناك.

نزلنا ومشينا لحد الشارع بتاع يوسف، دخلت انا، اما هما فكملوا في طريقهم، وصلت البيت عند يوسف، خبطت بس ماحدش رد، رنيت عليه، قالي انه في بيت عمي، فقولت لنفسي يمكن راحوا كلهم هناك، خدت منه العنوان ووقفت تاكسي وروحت، اول ما دخلت عمي خدني بالحضن وقالي....

- وحشتني ياللي من ريحة الحبايب، انا زعلان منك يا يحيى بقالك فترة هنا وماجتش تشوف عمك.

يوسف قاله...

- اتحايلت عليه والله يا بابا بس هو كل مرة بيطلع بحجة شكل.

كنت محرج أوي مش عارف اقوله ايه بس مرات عمي جت وضربتني علي كتفي وقالتلي...

- اكيد كِبر ومكسوف مننا، معذور يا ابو يوسف اكيد الغربة نسته هو كان عندنا ايه.

- لا والله ابدا يا مرات عمي، انا فاكر كل حاجة كأنها امبارح.

- طيب اقعد اتغدي معانا بقى.

- ماشي عشان ماتقوليش اتغيرت والكلام ده.

- ماشي يا ابن ثريا، هقوم أحط الاكل.

حضرت الترابيزة وعمي قال يلا بينا، وقفت وبصيت حواليا، انا قولت يمكن ماما في المطبخ مع مرات عمي وبابا مريح جوه ولا حاجة بس اكيد هيتجمعوا علي الاكل، عمي حط ايده علي كتفي وقالي...

- يلا عشان الاكل مايبردش.

بصيت باستغراب وقولتله...

- طيب مش هتنادوا للجماعة؟

- لا مرات يوسف وابنه عند امها، يادوب انا وانت ويوسف ومرات عمك اللي هناكل.

- ليه هو بابا وماما مش هنا؟

كلهم بصولي باستغراب وماحدش رد عليا.

- ايه يا جماعة هما ماجوش ولا ايه؟

- جماعة مين؟ وماجوش فين؟

- ابويا وامي يا يوسف.

- يبقي الكلام اللي محروس قاله صح؟

- كلام ايه؟.. انا مش فاهم حاجة، انا لازم انزل ادور علي ابويا وامي حالا.

- اهدي بس وتعالي هفهمك كل حاجة وهقولك مكانهم كمان.

- اديني هديت وقعدت هما فين بقي؟

- احنا هنروح مشوار كده لحد عندهم واوعدك انك هناك هتفهم كل حاجة.

- ماشي، يلا بينا.

نزلت مع يوسف وعمي ومراته ويوسف دور العربية وفضل ماشي لحد ما وصلنا لمكان غريب أول مرة اشوفه.

- انزل يا يحيى.

- هما هنا؟

- اه يا يحيى انزل.

- اخس عليك يا يوسف، هان عليك تجيب عمك في مكان مطرف شبه ده.

- انزل يا يحيى.

- اهو نزلت، نزلت.

اتحرك يوسف وفتح البوابة بمفتاح خده من عمي.

- هو انتوا كمان قافلين عليهم هما هيهربوا.

- تعالى يا يحيي.

- ايه ده يا يوسف، انت بتهرج؛ ده مدفن! ايه اللي هيجيب أبويا وامي هنا؟

- يحيى أبوك وأمك...

ماكنتش سامعه، شايف بوقه بيتحرك بس مش سامع كلامه، الدنيا بدأت تضلم في وشي، كنت حاسس اني دايخ مش قادر افتح عيني لحد ما غصب عني جسمي ميل علي جنب ووقعت ودماغي اتخبطت في الارض، كنت شايف مشاهد بتمر قدامي، أنا وبابا كنا بنتخانق في المطبخ وماما جت تفصل بينا وقالتلي اخرج دلوقتي، مشهد تاني وانا واقف قدام بيتنا اللي كان بيولع وانا سامع صراخهم جوة، غمضت عيني وماحستش بحاجة بعدها غير لما فوقت؛ كان الصداع هيفرتك دماغي، اول ما فتحت عيني، لقيت يوسف قاعد جنبي، بصيتله سألته...

- هو ايه اللي حصل؟.. أبويا وامي فين؟.. روحوا البيت صح؟

- اهدا يا يحيى، الدكتور جاي وكل حاجة هتبقي تمام.

دخل الدكتور واطمن عليا فقولتله...

- في ايه يا دكتور؟.. أنا هنا ليه؟

- انت مش فاكر حاجة خالص؟

- لا فاكر، كنت عند عمي ودوخت..

- لا انا بسألك علي الحادثة.

- حادثة ايه؟

الدكتور بص ليوسف وقاله...

- اضطراب ما بعد الصدمة ورفض للواقع.

- في ايه يا جماعة حادثة ايه واضطراب ايه؟

اهدا يا يحيى ويوسف هيحكيلك كل حاجة، بس لازم تعرف ان انكار الواقع مش هيرجع اللي راح.

- راح ايه؟.. انطق يا يوسف في ايه؟

- قبل ميعاد نزولكم بكام يوم بيتكوا ولع، عمي ومرات عمي ماتوا وانت اللي ربنا انقذك عشان كنت بره وقتها، انت صممت تدفنهم هنا ورجعت بيهم وماقدرتش تحضر الدفنة، روحتك البيت وروحنا دفناهم ورجعتلك وفضلت طول الليل اخبط عليك ماردتش عليا، انا كنت بشوفك بتكلمهم بس ماكنتش أعرف ان الموضوع واصل معاك لكده قولت شوية وهتفوق، حتي لما جيت البيت قولت من الصدمة لكن الموضوع طول أوي يا يحيى أنت مش قادر تتخطى فكرة موتهم.

- مستحيل انا ابويا وامي مامتوش، انت اكيد غلطان، دول نزلوا هنا معايا، كانوا قاعدين معايا في البيت ونزلوا يزوروك،انت جيت البيت وشوفتهم ياريتني ما سيبتهم ينزلوا، لو ماكنوش نزلوا كان زمانهم معايا دلوقتي.

- افهم يا يحيى ماحدش كان معاك، امك وابوك اتدفنوا في نفس اليوم اللي رجعت فيه ولو كان في حد، فدول أكيد مش بشر زينا، دول زي ما الشيخ قالك عُمار البيت.

- هو انت كمان عرفت بالشيخ؟

- طبعا محروس لما لقي الدنيا مكركبة والبيت مش نضيف ولقاك بتقول الحجة ولما نزلت كلمت بتاع التاكسي ورزعت الباب كلمني وحكالي، انا ماكنتش متوقع ان الدنيا تكون واصله معاك للدرجة دي.

- لا لا لا كل ده كذب!.. مستحيل، انا دماغي هتنفجر.

- اهدا يا يحيى وكل حاجة هتبقى بخير.

- دماغي فيها شواكيش.. خبط كتير، ارحموني وقولولي ان ده كله كدب.

الدكتور اتكلم وقالي...

- ده احساس طبيعي، دي اعراض انسحاب الاقراص اللي كنت بتاخدها، وعلي فكرة هي بتسبب هلوسة سمعية وبصرية.

قبل ما انطق حسيت بألم بسيط، بصيت لقيت الدكتور بيغرز سن الإبرة في دراعي ومن بعدها ماحستش بحاجة.

- كلهم كدابين، بيعملوا كده عشان الورث، انا واثق انها لعبة من عمي لما عرف اننا نزلنا وهنستقر هنا، هو اللي خطف أبويا وامي لما راحوا يزوروا ابنه، ساعديني يا دكتورة أرجوكي ساعديني، ماتسيبنيش هنا، انا لازم أخرج عشان ادور على ابويا وأمي، هاخدهم ونسافر ومش هنرجع هنا تاني.

- عارف يا يحيى، صعب ان الانسان يتقبل موت اقرب الناس ليه وخصوصا لو كانوا دنيته، انا عاوزه اصارحك بحاجة، انا مش دكتورة أنا زي زيك، بس كدبت عليك عشان تحكيلي، الفرق بيني وبينك انهم بيقولوا انك قتلت اهلك بس انا أهلي هما اللي قتلوني..

- كذب أنا أهلي عايشين...ماامتوش.، لازم ألاقيهم.
- ماحدش بيصدق حد هنا، كلنا في نظرهم مجانين حتي لو كنا صحاب حق وعاقلين.
- طيب والعمل هنفضل مرمين هنا؟
- لازم نخرج من هنا.
- نهرب؟
- لا الهروب ده موضه قديمة.
- أومال هنعمل ايه؟
- تعالى ورايا.

الساعة كانت ٧ ونص بالليل، كل اللي في المستشفي نايمين، مشيت وراها يومها، كان اسمها ياسمين، هي قالت كده، وصلنا لأوضة في المستشفى فيها جراكن كتير خدنا منها كذا جركن وغرقنا بيهم المكان وياسمين زقتني بعيد بره مبني المستشفي وولعت عود الكبريت ورمته علي الارض، اللي في لمح البصر بقت نار، نار مسكت في كل حاجة، لتاني مرة الموقف بيتعاد قدامي وقفت خايف مخضوض ماكنتش عارف اخد اي رد فعل، كنت بتنفض من جوايا، الاسعاف والناس والدنيا كانت مقلوبة جنبي وانا واقف في وسطهم مرعوب لحد ما حد حط ايده علي كتفي، بصيت ورايا لقيت أبويا، خدني من ايدي وخرجنا من المستشفي من غير ما حد يقولي رايح فين؟ كان نفسي يشوفوه وهو معايا عشان يعرفوا ان احساسي مش بيكدب، سالته علي ماما قالي انها راحت مشوار ولسه مارجعتش، علي فكرة انا مش مجنون، انا

بحكيلك حكايتي عشان اسليكي علي ما الترام يجي وبأبويا وأمي يكونوا رجعوا.

-هو سابك وراح فين؟

-راح يجيبلي أكل عشان جعان.

كان شكله غلبان أوي هدومه مقطعه وحالته مبهدله، استغربت نفسي اني قعدت جنبه وسمعته للاخر من غير ما اخاف منه ومن غير ما احسبها لقيتني بقوله...

-تيجي أعزمك علي الاكل في المطعن اللي هناك ده؟

-لا لا كتر خيرك مش هينفع امشي عشان لما أبويا يرجع يلاقيني.

مشيت يومها وسيبته لأن الترام اتأخر أوي وماما كانت قلقانة عليا، حقيقي كان نفسي اساعده، بس ماكنش في ايدي حاجة اعملها غير اني اكتب قصته وأنزلها...

***

عنايات

الأوضة كانت هادية أوي، فيها شباك صغير بس عالي شوية، ما كنش بيتقفل إلا لما وقت الليل يدخل، حيطان الأوضة كانت بيضا، الأوضة دي كان فيها سرير خشب صغير، وكنبة جنبه على اليمين، الأرض كانت مفروشة كليم، وفوق السرير كان فيه سبحة كبيرة متعلقة على الحيطة، مكتوب عليها أسماء الله الحسنى كلها، كانت ريحة المكان كله بخور لحد ما رامي دخل الأوضة، الهدوء اتبخر، دلوقتي بقى الشباك مقفول ليل ونهار، حتى الحيطان بقى يظهر عليها علامات بالدم، كل يوم بالليل كنت بامسح الحيطان، وأصحى الصبح ألاقي الحيطة متلطخة بالدم تاني، حتى السبحة انفرطت بعد زيارة رامي، لميتها وركنتها على جنب بعد ما مشى، وقلت هصلحها وأرجعها مكانها، بس اللي حصل بعد كده لخبطني..

ريحة الأوضة نفسها اتغيرت، وبقت نتنة، كأن الأوضة فيها حاجة ميتة، زيارته ماكنتش مريحة أبدًا، شقلبت كل حالي..

***

جاهز عشان أحكيلك الحكاية اللي شقلبت حياة بلد كاملة!

هاحكيلك عنه هو الأول، وفي وسط الكلام هتعرف أنا مين..

رامي، عيل عنده ١٧ سنة، أبوه ميت من كام سنة، وأخوه بيشتغل وبيساعد في مصروف البيت وجامعة أختهم، والدته ست فاضلة شغالة مديرة مدرسة، العيلة بتاعة رامي دي معروفين عندنا إنهم ناس محترمة وفي حالهم أوي.

"يوم ١٣ / ٢ / ٢٠٢١"

أنا فاكر التاريخ ده أوي كأنه امبارح، جالي الأسطى رضا أخو رامي، وقالي عاوزك ضروري يا حاج سيد، سبت اللي في إيدي، واستأذنت من الناس اللي كنت قاعد معاهم على القهوة وطلعت معاه، روّحنا البيت عندي ودخّلته في الأوضة إياها، وعملتله شاي وقعدنا ناخد وندي في الكلام، كان باين عليه إنه محرج ومتلخبط، مش عارف يقول إيه، لحد ما سألته عن أحواله وإخواته والبيت، ف بص للأرض وقالي...

- كلنا بخير ما عدا رامي.

- ماله أخوك يا رضا يا ابني، خير فيه إيه؟

- مش عارف والله، تعبان بقاله كام يوم، والحاجة خدته وراحت بيه للدكتور.

- خير إن شاء الله، قال عنده إيه؟

- قال إنه محتاج يتعرض على دكتور نفسي.

- دكتور نفسي، يا ساتر يا رب.

- أنا جايلك عشان تشوف صرفه ليه، ترقيه، أو تعمله حجاب، أي حاجة تخليه كويس الله يخليك، احنا أملنا فيك كبير.

- استغفر ربنا يا ابني، الأمل فيه هو، هو اللي بيجيب وهو اللي بياخد، واحنا مجرد أسباب.

- ونعم بالله.

- خليه يعدي عليا بكرة بعد العصر، هاستناه هنا.

- هاجيبهولك بنفسي.

- خلاص هاستناكم.

مشي وفضلت قاعد في خلوتي زي ما باقول عليها، الأوضة دي دخلها ناس وخرجوا منها ناس تانية، اوعى يغرك إنها صغيرة، أنا شوفت فيها حاجات تشيب الراس، بس ربنا كبير بيساعد، بيعين وبيقدر، أيوة زي ما فهمت كده، أنا معالج بس بالقرآن، كله برضا ربنا ونوره.

تاني يوم العصر جالي فعلًا رضا مع رامي، أنا باشوفه مع صحابه من وقت للتاني، وهما معديين من قدام القهوة اللي بابقى قاعد فيها.

كان شكله ضعيف شويتين، ووشه كان مطفي، شفايفه كانت زرقا وعينيه ماكنش قادر يفتحها، طلبت من رضا يقعّده على السرير، وقعدنا أنا وهو على الكنبة نتكلم بصوت واطي شوية...

- احكيلي ماله يا ابني، إيه وصّله لكده؟

- كان مع صحابه، ورجع نام، صحى الصبح كده.

- ماكلمتش حد من صحابه، تعرفوا كانوا فين وبيعملوا إيه؟

- كلهم قالوا إن رامي سابهم بدري قبل المغرب، ومشي لوحده من غير ما يقولهم رايح فين، من المغرب لحد الساعة عشرة ماحدش يعرف كان فين ولا بيعمل إيه.

- طيب أنا هقرأ عليه دلوقتي، وربنا ييسر الحال.

***

قررت في الوقت ده إني أرقيه عادي وفعلًا بدأت، كان بيتنفض بين إيديا؛ جسمه كان سخن بشكل مخيف، كان بيخرف وأنا كنت باتّاوب كتير وكنت حاسس بتنميل جامد في إيدي الشمال، وحتى رضا أخوه كانت عينيه بتدمع غصب عنه، خلصت وأنا باجاهد عشان ماقطعش في نص الرقية، كنت حاسس إن قلبي هيقف.

بصيت لرامي بقلق، جسمه كان هدى أول ما خلصت وعينيه غمضت ونام، قعدت جنب رضا وأنا بحاول أتماسك بصيتله وقلتله...

- فيه مصيبة أخوك عملها، لازم نعرف هي إيه؟

- تقصد إيه؟

- ماعرفش بس العيال في السن ده كتب السحر بتشدهم، يمكن حضر حاجة كده ولا كده، وهي السبب في اللي هو فيه!

- طيب، والعمل يا شيخ محمد؟

- العمل عند الله، روح بيه البيت أنا رقيته، ولو حصل حاجة من هنا لبكرة هاته، بس خلي حد يقرأ له الأذكار جنب ودنه قبل ما ينام.

- ربنا يبارك فيك يا شيخ، مش عارف والله من غيرك كنا عملنا إيه!

- مفيش حاجة يا ابن الغالي، ربنا يحميكم.

يومها مشى رضا ورامي من عندي، الساعة كانت قربت على ٨، صليت العشا وقعدت مكاني، كنت حاسس إن الدنيا بتضلّم حواليا والأوضة بتترج، قلت يمكن فيه زلزال ولا حاجة، فجأة سمعت صوت صريخ بيعلى في الأوضة، وأول ما استعذت بالله وبدأت أقرأ آية الكرسي الدنيا هديت، بس الكهربا قطعت، فضلت قاعد مكاني لحد ما حسيت إن الجو بقى حر في الأوضة أوي، فقررت أطلع أقعد برة قدام البيت، كانت الدنيا طراوة شوية، بس لاحظت إن كان فيه خبط جوة الأوضة، كأن حد جوة محبوس عاوز يخرج بس مش عارف.

لما الكهربا رجعت، دخلت الأوضة لقيتها مبهدلة، مع إني كنت سايبها مترتبة ما فيهاش حاجة، كل الأوضة مدربكة حتى فرشة السرير والكنبة كانت متفشكلة، والحيطة كان عليها بقع دم وعلامات غريبة، قلبي اتقبض، جريت وجبت قماشة، وبدأت أمسح في الحيطة، وأنا بقرأ خواتيم سورة البقرة لحد ما خلصت، حسيت إني تعبان أوي ومش قادر أتحرك، فنمت على السرير مكان رامي.

***

مش عارف أنا فين، بس كان فيه صوت بنت بتصرخ تحت ملاية بيضا، و فيه خمس ستات ماسكين الملاية دي وبيلفوا حواليها، وفجأة واحد جاب حيوان صغير شبه الفار كدا ودبحه، ورش دمه على الملاية، وبعدين شالوا الملاية وكبوا جزء منه على جسم البنت، وبدءوا يشرّبوها الدم اللي فاضل...

***

صحيت مخضوض وبعدها بكام دقيقة الفجر أذّن، كنت حاسس إن قلبي هيقف من اللي شفته، يا رب انت قادر تؤذي المؤذي، أنا أول مرة أشوف رؤية لحد ماعرفهوش بالبشاعة دي، بدأت أقوم عشان أصلي الفجر، اتوضيت ورجعت الأوضة، فردت سجادة الصلاة وأخدت وضع القبلة، وفجأة لمحت دم نازل من الحيطة، رفعت عيني وأنا ماسك على السبحة اللي كانت في إيدي، وباقول سبحانك إني كنت من الظالمين، كان نفس الحيوان اللي شفته في الرؤية مدبوح، ومتعلق على الحيطة، ومكتوب بدمه حاجة شكلها غريب، مش عارف اللغة المكتوب بيها إيه بالظبط، حسيت بقبضة في قلبي، سحبت المصلية وخرجت، وقفلت الأوضة بالمفتاح.

صليت الفجر في الصالة، وأنا باصلي كنت سامع صوت خبط علي باب الأوضة، كان فيه صوت حد بيضحك جوة، فضل صوت الخبط لحد ما خلصت صلاة، وأول ما سلمت نور الأوضة انطفى، والصوت سكت..

لما صحيت الصبح نبّهت على أهل بيتي ماحدش يقرّب من الأوضة دي مهما حصل، وقلتلهم إني رايح مشوار ضروري، أيوة زي ما جه في بالك رحت لرامي أشوفه، أكيد اللي بيحصل عندي في الأوضة ده ليه علاقة بيه؛ لأنه ظهر بعد ما رامي مشي، لازم رامي يفوق ويتكلم عشان أعرف إيه اللي حصل، وإيه اللي محبوس عندي في الأوضة، ومش قادر يطلع حتى وبابها مفتوح.

وصلت البيت قابلت أخته، هي اللي فتحتلي لما خبطت، وقالتلي إن رامي تعب ونقلوه بالليل على المستشفى، روّحت بيتي وأنا بفكر مليون مرة، يمكن اللي محبوس في الأوضة ده قرين رامي؟

استغفرت ربنا، وقررت أروح أشوفه في المستشفى، وهناك وقفت مع والدته ورضا، كل الدكاترة قالوا إن رامي سليم، بس ماحدش عارف الدم اللي بيرجّعه ده منين، أنا تهت، مابقتش عارف هو محضر حاجة ولا معموله حاجة؟

أنا مش صغير في الحاجات دي، بس المرة دي الموضوع صعب جدًا عليا، كنت باسأل نفسي، يا ترى يا رامي أنت إيه حكايتك بالظبط، أنا لازم أعرف..

مفيش دكتور واحد كان عنده تفسير للحالة اللي رامي بيمر بيها، الدكتور بعضمة لسانه قال...

-خدوه وروّحوا، مالوش لازمة وجوده هنا.

وقفت على جنب، وشديت رضا من إيده، وسألته...

- إيه اللي حصل، أنت ماشي بيه سليم يا ابني؟

- دخلنا البيت، وفردتله جسمه على السرير وروّحت آكل لقمه، سمعت صوته بيكح، أختي دخلت تشوفه لو محتاج

يشرب، لكني اتفاجئت بيها بتصرخ بصوت عالي، سبت الأكل ورحت اشوفه، لقيته غرقان في دمه وبيرجّع دم كمان من بوقه، فكرت إن فيه نزيف في معدته، فجبناه المستشفى، بس اهو علي إيدك كل الدكاترة أكدوا إنه سليم، أنا مش عارف أعمل إيه، وأنا شايف أخويا بيموت قدام عينيا.

- الدكاترة معاهم حق يا رضا، رامي أخوك مفيش حاجة في جسمه تاعباه، الموضوع أكبر وأصعب من كده.

رضا بصّلي وبرق، بس فجأة سكت، لما شاف والدته جاية علينا وبتعيّط، وشاورلي عشان ماتكلمش قدامها، أخدنا رامي وروّحناه البيت، وقصدت أدخله مع رضا عشان أدخل أوضته وأشوفها، طلبت من رضا يحاول يشغل مامته برة الأوضة في أي حاجة.

أول ما دخل طلبت منه يقفل باب الأوضة، وطلبت منه يدوّر معايا على أي كتب سحر أو تحضير، أي ورق، أي رسمة، أي حاجة غريبة حتي لو مش مهمة بالنسبة له، قلبنا الكتب والأدراج، دوّرنا تحت السرير، فوق الدولاب، ماكنش فيه أي حاجة في الأوضة خالص.

ماكنش في طريقة تانية قدامي، طلبت منه يجيب طشت فيه مية دافية وقرأت عليها، وخليت رضا يساعدني عشان نكتّفه، وبعدها ثبتناه على كرسي، وبدأنا نصبّ عليه المية دي، كان جسمه بيتنفض وبيصرخ لحد ما أغمى عليه.

نقلناه على السرير لما خلصنا، وفضلت طول الليل قاعد جنبه جسمه بيترعش وأنا باقرأ له قرآن، الصبح كان رامي هادي شوية لما صحى، على عكس اللي شفناه منه امبارح، بس برضه ماكنش بيتكلم ولا بيرد عليا خالص، باصص للسقف وعينيه بتفتح وتغمض كأنه مش داري باللي بيحصل حواليه ولا سامعنا خالص، كان لازم أروح أشوف إيه اللي حصل في الأوضة، دماغي مشغول يا ترى حد فتحها، ولا لا؟

استأذنت رضا إني هوصل لحد البيت عندي؛ عشان أجيب

من هناك بخور الحلتيت، ووعدته إني هرجع قبل العصر ضروري عشان نرقي رامي تاني، في مواعيد معينة للرقية بتبقى مستحبة فيها.

وصلت البيت، كل حاجة كانت عادية، على عكس ما توقعت، قرّبت من أمي، هي بتبقي قاعدة في الصالة قدام الأوضة دي دايمًا، وسألتها بصوت واطي.....

- فيه حد قرب من أوضتي؟

- لا يا ابني.

- طيب حد فيكم سمع صوت حاجة فيها؟

- لا برده يا ابني، فيه إيه ماتقلقنيش عليك؟

- مفيش حاجة، اطمني.

في نفس اللحظة، مالك ابني قرب مني وكان بيدعك عينيه وباين إنه كان بيعيّط، مسك في رجلي جامد وقالي ماتسبناش يا بابا، قعدت قدامه وأخدته في حضني، وسألته.....

- فيه إيه؟

- شفت حلم وحش.

لأول مرة يبقي عندي فضول أعرف إيه اللي مستخبى في الأحلام.

- احكيلي يا مالك؟

- شفت فار كبير كان في الأوضة اللي انت بترقي الناس فيها، الفار كان بيتعارك معاك وموّتك.

أمي شدته من حضني، وفضلت تهز فيه وتزعقله، فطبطبت عليه وقلتله: روح العب، بصتلي وقالت...

- الموت في الحلم، طولة عمر يا شيخ محمد.

- مش خايف يا أمي، من أول ما مشيت في الطريق ده وأنا طردت الخوف من جوايا.

- ربنا يحميك يا ابني.

سبتها ودخلت الأوضة.. عارف أنت القبر أول ما يتفتح، كانت نفس الريحة، دخلت بسرعة وقفلت الباب عليا وفتحت الشباك عشان أغير الهوا اللي في الأوضه، كان في خرابيش على الحيطان، علامات ضوافر كانت بتنزف دم، حسيت بتقل في جسمي، فقعدت على طرف السرير، ولقيت الدنيا بتضلّم في عينيا.

***

رامي كان واقف قدامي، بس مديني ضهره وبيكتب حاجة على الحيطة، قرّبت منه وأنا بنادي عليه لكنه ماردش ولا انتبه لوجودي لحد ما وقفت جنبه، وبقيت مش عارف أبلع ريقي من الرعب، ضوافر رامي كانت مخلوعة وبيخربش في الحيطة بيهم،

منظر الدم على الحيطة خلاني أبعده عشان مايؤذيش نفسه أكتر من كده، ولما شديته بعيد بصلي فسبته ورجعت كام خطوة لورا، كان بيحرك راسه للناحية الشمال بشكل مخيف، عينيه كانت مخلوعة، ووشه كان فيه جرح كبير كاشف اللحم والعضم من جوة.

***

أول مرة أصحى ودراعي الشمال تكون تقيلة عليا بالشكل ده، أنا ماكنتش قادر أستوعب إنه حلم، كان جسمي بيترعش من الخوف، كل اللي سيطر عليا وقتها إني أعرف رامي عمل إيه عشان يحصله كل ده!

أخدت البخور وكام حاجة كنت عارف إني محتاجهم، وقفلت شباك الأوضة والباب ورايا، ووصيت إن ماحدش يفتحها لأي سبب.

كان فيه حاجة بتشدني عن الطريق عشان ماكملش، بس انا كنت باقرأ قرآن وأنا ماشي لحد ما وصلت بيت رامي بصعوبة، أخدت نفسي وخبّطت، فتحلي رضا، دخلت وبدأنا نجهز رامي اللي بدأ يصرخ من أول ما حس بيا في البيت تاني.

كان صوت صريخه مرعب بيهز الأوضة، ومامته واقفة على الباب تعيّط، وتقولي بالراحة يا شيخ...

-لازم نطهر جسمه يا حاجة، عشان اللي معاه يسيبه، ماتخافيش الحاجات دي مش هتؤذيه، ده مسك أسود وحلتيت وشوية حاجات بستعملها في العادي.

طلبت من رضا يبعت يجيب صحاب رامي كلهم، وبعد ما رقيته ونام طلعت قعدت معاها أنا ورضا في الصالة، كانوا تلاتة، سألتهم بهدوء....

- حضرتوا إيه عشان نشوف هنصرفه إزاي؟

- ماحضرناش، احنا مالناش في الكلام ده يا شيخ.

- طيب اللي نايم جوة ده جراله كده إزاي!

- ماحدش مننا يعرف، هو كان قاعد معانا، وقال هيروح عشان دايخ.

- هو ليه صحاب غيركم؟

- لا.

- تعرفوا حد بيكرهه، وعاوز يؤذيه يكون عمله عمل؟

- رامي محترم وكل الناس بتحبه، هو مش بتاع مشاكل خالص.

- طيب لو عرفتوا حاجة تعالولي، قبل ما يفوت الأوان..

كنت حاطط وشي في الأرض مش عارف أعمل إيه، أول مرة أحس إني عاجز كده، القرآن كان تقيل عليا أنا قبل ما يكون تقيل على رامي، مش عارف فيه إيه!

رجعت بيتي متأخّر، وسبت رضا سهران جنب رامي، وفهمته هيقرأ إيه وهيتعامل إزاي لو حصل لأخوه حاجة، وفي أضعف الأحوال قلتله يبعتلي حد وأنا هاكون عنده، ماينفعش أفضل في بيتهم، أنا مهما كنت غريب حتى في وجود رضا.

صليت قيام الليل وقعدت أقرأ قرآن في الصالة جنب أمي، هي ست كبيرة بس لسه بصحتها.

سمعت صوت دربكة جوة الأوضة، فبصيت ليها لقيتها ماسكة المصحف ماحستش بحاجة، دخلت الأوضة قلت هشوف إيه وأطلع أقعد جنبها تاني، بس أول ما دخلت الباب اتقفل عليا، وحسيت إن لساني تقيل مش قادر أنطق، كان فيه إيدين بتلف حوالين رقبتي بتخنقني، ضهري كان للباب، حاولت أخبط عليه بكل قوتي، لكن فجأة حسيت بإيد بتمسكني وتهزني، وصوت بيقولي....

-اصحى يا شيخ محمد، اصحى يا ابني، رضا ابن فاطمة عايزك برة ضروري.

قمت مفزوع، كنت باتلفت حواليا بخضة لحد ما اطمنت إنه كان كابوس، بصيت على باب الأوضة كان مقفول، رجعت بصيت لأمي، وقلتلها....

-كنتِ بتقولي إيه؟

-رضا...! إيه جابه؟ سلّم يا رب.

على قد ما كنت باحمد ربنا إن اللي كنت فيه كان كابوس، بس وجود رضا في البيت، وإنه عاوزني ده في حد ذاته كان كابوس أسوأ.

كان واقف بيفرك في إيديه، وبيتلفت حواليه وبيبص للسما، وبيقول يا رب ....

- مالك يا رضا؟ إيه خلاك تسيب أخوك وتيجي هنا؟ مابعتش حد ليه؟

- رامي، أخويا يا شيخ محمد اختفى!!

- إيه، تقصد إيه؟ يعني إيه اختفى، هو طبق ولا شال هيختفي! ده بني آدم مش قادر يصلب طوله أصلًا، هيمشي إزاي؟

- والله يا شيخ زي ما بقولك كده، أنا بس رحت الحمام ورجعت مالقتهوش، وباب البيت كان مفتوح على وسعه، فضلت أجري هنا وهناك حوالين البيت مالقتهوش، ولما تعبت جيتلك.

مابقتش عارف أعمل إيه، بس الولد الصغير اللي كان بيجري وقف عند رجل رضا، وهو بينهج ونادى عليه وقاله...

-الحق...

الكلمة دي خلعت قلبنا، جريت أنا ورضا وراه نشوف فيه إيه من غير الولد ما ينطق، هو كان مرعوب أصلاً وبيشاور، الولد وصل لحد دار رضا، كان فيه ناس كتير متجمعة، اللي كانت بتصوّت واللي كانت بتشلشل وبتعدد واللي واقفة شمتانة، والرجاله واقفة واخدة جنب وبيتفرجوا في سكات، قربنا أكتر ودخلنا من وسط الناس، كانت أخت رامي واقعة من طولها وأمها ماسكاها، وهي بتصوّت وبتنادي عليها عشان تفتح عينيها.

فضلت أم رامي تصوّت وتصرخ، وتلطم وشها....

- بنتي يا ناس، يا رب خدني بقى يا رب، ابني ماعرفش ليه طريق، وبنتي كمان بين الحياة والموت.

- استهدي بالله، ده اختبار يا أم رضا، وربنا بيبتلي العبد اللي بيحبه، احنا هنطلع على المستشفى دلوقت، وهنبلغك بالجديد.

- أنا جاية معاكوا، ماقدرش أسيب ضنايا.

- طيب ورامي، لازم حد يفضل في البيت عشان لو رجع.
- يا مري عليكم يا ولادي.
- ماتخافيش، هنطمنك أول بأول.

سندنا البنت لحد برة، وأخدنا تاكسي أنا ورضا وطلعنا بيها على المستشفى، وهناك فضلنا واقفين على رجلنا قدام أوضة الكشف لحد ما الدكتور كشف عليها وطلع طمنا، وقالنا إن ضغطها واطي وعلقلها محاليل، دخلنا جري نشوفها، كانت نايمة على السرير، وعينيها مفتحة، لما قربنا منها أكتر، شاورت لرضا انها بتعيط، مسك إيدها عشان يطمنها إنه هنا، بس هي قالتله....

-رامي راح ومش راجع، عنايات ندهته.

-أنتِ بتقولي إيه؟ مين عنايات، ورامي راح فين؟ أنتِ شوفتيه!

شاورتله عشان يهدى ويمسك أعصابه، وشديت كرسي، ومسكت راسها بالملاية وبدأت أقرأ لها الرقية، كانت بتعيّط، ورضا غصب عنه كان بيعيّط، أما أنا فكنت حاسس بحاجة طابقة على نفسي.

لما خلصت قلتلها....

-إيه اللي حصل يا بنتي؟ لو مش قادرة تحكي، بلاش.

-رامي يا شيخ محمد، شفته قدامي وهو خارج، كنت واقفة جنبه، عدى وماخدش باله مني خالص، زي ما يكون ماشافنيش.

-وبعدين إيه اللي حصل؟

-مشيت وراه، كنت خايفة أوي، فضل ماشي ومش راضي يرد عليا لما كنت بانادي عليه أو بحاول أوقفه كان بيكمل طريقه

وبيتجاهلني، فضل ماشي لحد ما وصل عند بيت غريب جنب الترب، وبعدها وقف قدام البيت، وواحدة فتحتله ودخل، وقبل ما تقفل الباب بصتلي بصة رعبتني، وحسيت ساعتها إن جسمي كله بيترعش، وفجأة قفلت الباب في وشي، وعينيا غمضت ومافوقتش غير في المستشفي هنا.

-غريبة يا بنتي، انتِ كان مغمى عليكي قدام بيتكم!

-ماعرفش..

-طيب انتِ عارفة مكان البيت اللي رامي دخله، فاكراه وتقدري تدلينا عليه؟

-آه فاكراه، جنب الترب القديمة، كنا بنروح نلعب هناك واحنا صغيرين.

-اتسببتوا لحد هناك في أذى بقصد، أو من غير قصد قبل كده؟

-لا، خالص والله.

-طيب، خير إن شاء الله.

أخدت رضا على جنب، وطلبت منه يفضل مع أخته، وأنا هطمن والدته بالمرة، وأشوف البيت اللي أخته قالت إن رامي دخله.

وصلت البيت عند أم رامي وطمنتها إن بنتها بخير وكويسة، وبلغتها إننا عرفنا مكان رامي وهاروح أشوفه ووعدتها أرجعهولها سليم، بس قبل ما أمشي سألتها لو تعرف واحدة اسمها عنايات، أنا كنت فاكر كويس إن أخت رامي قالت عنايات أخدته، بس والدتها أكدت لي إنها ماتعرفش حد بالاسم ده.

مشيت على وصف صفية عشان أوصل للبيت اللي قالت إن رامي دخله، بس لما وصلت للترب القديمة ماكنش فيه بيوت حواليها خالص، ولا حتى عشش..

دوّرت في المكان كتير، جبته من شرقه لغربه ماكنش فيه أي أثر لحياة أصلًا.

رجعت المستشفى وأنا بضرب كف بكف، رضا كان واقف على باب الأوضة، وسألني بلهفة....

-لقيت رامي يا شيخ محمد؟

-لا، أنا لا لقيت رامي، ولا لقيت البيت اللي صفية قالت عليه.

بصينا عليها من على الباب كانت نايمة، بس كل فين وفين جسمها يتنفض وتتكلم وهي نايمة كأنها في كابوس، الدكتور دخل يطمن عليها، وكتبلها خروج..

سألتني واحنا مروحين في الطريق...

-لقيت رامي؟ وصلت للبيت؟

-الحقيقة يا بنتي، أنا مالقيتش البيت.

-إزاي؟ أنا شفته جنب الترب القديمة.

-روحي وارتاحي، ولما تفوقي هاخدك أنا ورضا، ونروح نشوف البيت ده.

-لا، مش هرتاح إلا أما رامي يرجع البيت.

-اسمعي الكلام يا صفية، أنا هوصلك البيت وأدوّر عليه أنا والشيخ محمد، ومش هنرجع إلا بيه.

دخلنا على أم رامي، أول ما شافت بنتها أخدتها في حضنها وفضلت تبوس فيها وتطبطب عليها، وبعدين بصت على الباب وقالت...

-ربنا يرجع الغايب.

طلعت أنا ورضا برة البيت وقف وبصلي وقالي، هنعمل إيه يا شيخ محمد، أنا مابقتش عارف حتى اللي المفروض عليا أعمله.

سمعت صوت الآذان، فابتسمت وقلتله...

-بينادي علينا تعالى نروحله، هو قادر ينور بصيرتنا، ويدلنا على الطريق...

***

صلّينا، ورضا صمم يروح المكان اللي أخته صفية قالت عليه تاني، ماكنش قدامي غير إني أوافق على كلامه، ماينفعش أسيبه يروح لوحده مكان زي ده، في الوقت ده،أصله في حته متطرفه.

النهار كان لسه ماطلعش، والطريق كان طويل أوي ومفيش صريخ ابن يومين ماشي فيه، لما وصلنا، رضا فضل ينادي على رامي بعلو صوته، لحد ما واحد جه من وراه ومسكه من كتفه، فاتخضّ وصرخ وفزعني معاه، بصينا على اللي وراه، كان راعي من بتوع الغنم...

-بتعملوا إيه هنا في الوقت ده؟ انتوا مش هتبطلوا أذى في الخلق؟

-انت مين؟

-انتوا اللي مين؟

-احنا بندوّر على بيت واحدة اسمها عنايات.

استغفر ربنا، وسابنا ومشي، بصيت لرضا فقالي...

-ماله الراجل ده يا شيخ محمد! أنا مش فاهم حاجة!

ناديت عليه فوقف، ومشيت لحد ما قرّبت منه ورضا كان ورايا، قولتله....

-يا خال، احنا بندوّر أنا والراجل ده على بيتها، لو تعرف دِلنا مش هتخسر حاجة، أخوه غايب وولاد الحلال قالوا إنهم شافوه داخل هنا بيت واحدة اسمها عنايات، فجينا ندوّر عليها، وزي ما انت شايف كده، احنا مش لاقيين هنا أي بيت!

-ومين قالكم إن بيت عنايات مش هنا، بيتها آخر الطريق ده، بس خليكم عارفين إن اللي بيروح مابيرجعش.

-مابيرجعش؟ إزاي!

-زي ما سمعتوا كده.

كمل طريقه، بصيت لرضا، ماكنتش عارف هو بيفكر في ايه لحد ما قالي...

-أنا مش هاسيب أخويا مهما حصل، يا عالم عنايات دي بتعمل إيه فيه!

خدنا الطريق اللي شاور عليه الراعي، كان طريق طويل ماقابلناش فيه بني آدم واحد، كله غيطان، فضلنا ماشيين لحد ما بان قدامنا بيت من بعيد مبني من الطين، قربنا منه، كانت شبابيكه

عاليه، لفينا حواليه لحد ما وصلنا للباب، خبطنا عليه كتير، وفي الآخر طلع لنا ولد صغير تقريبًا عمره ٧ سنين، بصلنا وقال....

-عايزين مين؟

-عنايات..

-مفيش حد هنا اسمه عنايات.

-أومال بيت مين ده؟

-ده بيت حسان الراعي وأنا ابنه، بس هو مش هنا دلوقت.

بصيت لرضا وفهمنا ان الراجل اللي قابلناه من شوية كان بيلعب بينا.

رجعنا البلد تاني، رضا خد الطريق اللي بيروح بيه كل مرة لبيته وأنا روحت بيتي، ودخلت الأوضه، فردت جسمي على السرير كانت الأوضة هادية ومفيهاش حاجة، قلبي كان مقبوض، الهدوء ده ماكنش مطمني، كنت حاسس ان رامي فيه حاجة، كنت بحاول اكدب علي نفسي عشان مفكرش ان عنايات دي ممكن تكون أذته، تفكيري بقي زي تفكير رضا أخوه من ساعة ماشفت عينين الراعي وهي مليانه خوف لما قولنا اسمها.

ماعدتش نص ساعة، ولقيت هبد علي باب البيت عندي، طلعت اجري لقيت أمي رايحة ناحية الباب تفتحه، رضا كان بينهج ووشه مخطوف ومش قادر ياخد نفسه...

قربت من الباب وقولت لأمي...

-ادخلي انت يا حجة.

وبعدها بصيت لرضا وقولتله...

-خير يا رضا، تعالي اتفضل جوه عشان تعرف تاخد نفسك من الطريق.

-لا مفيش وقت، رامي، رامي رجع البيت لما روحت لقيته موجود هناك.

-رامي رجع!

-اه، بس شكله غريب يا شيخ محمد.

-غريب ازاي يعني؟

-تعالي معايا وهتشوف.

-حاضر يا ابني دقيقة هقفل أوضتي وجاي معاك.

قفلت الاوضة ووصت أمي كالعادة محدش يفتحها وروحت معاه، خدنا طريق تاني مختصر من عند الترعة وصلنا اسرع، علي قد ما كنت مبسوط ان رامي رجع، علي قد ما كنت خايف من رجوعه، كلمة الراعي اما قال ان اللي بيروح ميرجعش كانت بتتردد في وداني ، محدش كان فاهم حاجة من كل اللي بيحصل، مين عنايات؟ و ليه راح لعنايات؟ وليه رجع؟ وعنايات دي عايزه منهم ايه؟ وعلاقتها ايه باللي بيحصل عندي في الأوضة، اسئلة كتير كانت في دماغي بس ماكنلهاش اجابة في الوقت الحالي.

وصلنا بيت رضا، ودخلنا اوضة رامي اللي كالعادة كانت متبهدلة، كان قاعد علي السرير ومربع ايديه ورجليه وباصص للحيطه، كأن حد مذنبه، فضلنا نكلمه وننادي عليه كتير ماكنش بيرمش بعينه حتى ولا بيرد علينا خالص، كان بيتكلم مع حد قدامه احنا مش شايفينه.

شاورت لرضا عشان يخرجوا وطلعت وراهم وقفلت الباب.

قعدنا في الصالة، كان فيها كنب عربي قديم وترابيزة صغيرة، قعدت انا ورامي والحاجة فاطمة وبنتها قعدوا علي الكنبة اللي في وشنا بصيت للحاجة فاطمة وسألتها...

- رامي رجع ازاي؟

- كنت سايبه الباب مفتوح، أصل أنا كنت قاعده مستنياكم بعد ما دخلت صفية أوضتها واتأكدت انها نامت، قعدت في المدخل وفجةأ لقيته داخل عليا، جريت عليه وخدت في حضني ولسه هسأله كنت فين يا ضنايا، زقني بعيد عنه، ودخل أوضته طوالي وقعد علي السرير من ساعة ما رجع وهو علي نفس الحالة اللي انت شوفته عليها دي.

-احنا محتاجين نخلي رامي ينطق تحت أي ظرف وبأي طريقة، هو الوحيد اللي قادر يقولنا كان فين؟ ومين عنايات ؟

دخلت أنا ورضا الأوضه عليه تاني، وقبل ما افتح الباب، سمعته بيكلم حد، بس أول ما دخلنا فضل ثابت في مكانه، نفس نظراته الباردة بس كان في دموع نازلة من عينيه.

قعدت جنبه وبدأت اسأله بهدوء...

-كنت فين يا رامي؟

مبيردش.

-مين عنايات يا رامي؟

برده ماكنش بيرد.

أول ما مسكت كتفه اتنفض وبعد عني، كان باصصلي وهو بيترعش، حاولت اهديه، وافهمه ان مهما كان اللي شافه فهو خلاص بقى في امان، وفي وسط اهله لا يمكن حاجة تأذيه، بس هو فضل لازق في الحيطة، ورافض اني اقرب منه، ماعرفتش ارقيه، فقريت قرآن علي مايه ورضا مسكه وشربنهاله.

مشيت في نفس الطريق وأنا مروح، كنت خلاص حفظت الطريق والبيوت وشكل الناس اللي قاعده علي العتب، وصلت البيت ودخلت، كلهم كانوا نايمين، قفلت الاوضة عليا، وفضلت قاعد ابص علي الحيطان، كانت طبيعية، بس فجأة حسيت اني دايخ والدنيا بتلف بيا، والحيطان بتترج جامد وهتتهد عليا...

كنت في مكان كله ضلمة، بس كان في صوت ضعيف واصلي بيقول...

-اهرب يا محمد، دي مش حربك، سيبهم ومالكش دعوة بيهم، واعتبر ده تحذير، ماتلومش غير نفسك علي اللي هيجرالك بعد كده.

كنت حاسس ان في حاجة بتلف على رجلي وطالعه علي جسمي بتكتفني، لحد ما شوفتها قدامي، حيه كبيرة كانت لافه بجسمها عليا وبتضغط علي جسمي، أنا كنت بتعصر، وفجأة حسيت ان الجو اتغير من حواليا، بقى برد أوي.

***

فتحت عيني لقيتني في الأوضة، كنت صاحي مفزوع، بصيت علي نفسي، وحمدت ربنا انه كان كابوس، بس كنت حاسس بان جسمي كأنه حقيقي لسه مضغوط.

سبت الاوضة وطلعت الصالة اتوضيت وصليت الضحى وقعدت بره في نفس المكان اللي امي بتقعد فيه، محستش بنفسي اني نمت تاني الا لما امي مدت ايدها وطبطبت عليا، كان صوتها بعيد اوي وهي بتقول ربنا يحميك يا ابني ويكفيك شر المؤذيين، كنت محتاج دعوتها اوي.

اليوم عدى بسرعة اوي، كانت الساعة داخله علي ٣ العصر مش عارف أنا ازاي نمت كل الوقت ده، لما صحيت لبست هدومي، وخرجت نفس الطريق لبيت الاسطى رضا، أول ما وصلت، خبطت ففتحتلي الحاجة فاطمة...

- اتفضل يا شيخ محمد نورتنا.
- لما قالولي انك عيزاني متأخرتش، رامي كويس؟

-حاله لا يسر عدو ولا حبيب.

-في حاجة جديدة حصلت؟

-كل ما ادخل عليه، الاقيه بيكلم حد ولما يشوفني يسكت، بس ماحدش معاه في الاوضة ولا حتي معاه موبايل.

-فاكرة حاجة من كلامه اللي سمعتيه طيب؟

-لا والله يا ابني هو كان كلام غريب.

-غريب ازاي يعني؟

-حاجة كده غريبة ودني مش متعودة عليها ولا سمعتها.

-طيب هو صاحي؟

-لا نايم، وكمان في حاجة مهمة بعت أجيبك عشانها، صفية، مابقتش مظبوطة يا ابني خالص.

-مالها هي كمان؟

-بصتها تخوف، بتسرح كتير ومابتردش عليا لما انادي عليها، كانت عايزه تولع في نفسها الصبح وقالتلي عنايات عايزه كده.

-لا حول ولا قوة الا بالله، كده تبقي في حاجة غلط، أنا قلبي ماكنش مطمن لما رامي رجع لوحده، ممكن مثلا حد عامل لرامي وصفية حاجة بضياع العقل، والتوهان؟

-بس مين هيعملنا كده؟ ده احنا في حالنا وغلابة.

-عنايات، مفيش غيرها.

-بس احنا منعرفهاش!

-أنتِ متعرفيهاش، بس جايز حد من ولادك الاتنين يعرفها، والا ليه الاتنين بيتأذوا.

-وهنعرف مين دي ازاي؟

-لازم رامي يتكلم، يا ريت تندهيلي صفية ضروري.

-حاضر.

قعدت صفية قدامي وسألتها....

-عاملة ايه يا صفية؟

-كوابيس، الكوابيس مبتخلصش.

-كوابيس ايه؟

-بشوف عنايات دايما، بتجري ورايا عايزة تقتلني.

-اوصفيلي عنايات دي يا صفية.

-ست لابسة عباية سوده وشعرها أسود فيه شعر أبيض في رصاصي، بس مغطياه بطرحة خفيفة، عينيها ضيقه ومكحلاها

كحل تقيل، وسنانها اللي قدام مكسورين، لا تخينة ولا رفيعة، وطويله، تحس وانت قدامها ان قلبك بيتعصر من الخوف.

-أنتِ تعرفيها من قبل الكوابيس دي؟ يعني شوفتيها في الحقيقة؟

-الصراحة لا.

-قوليلي يا صفية أنت بتقطعي في الصلاة وبتنسي الأذكار؟

-بقيت أحس بتقل في الصلاة من أول ما رامي تعب، لحد ما بطلتها والأذكار لما بحاول أقرأها بتعب، بحس نار بتولع في جسمي.

-حاولي يا صفية، أنا عارف ان الموضوع تقيل بس متيأسيش.

***

طلبت منهم أبص علي رامي، فدخلوني أوضته، كان نايم، جسمه بيتنفض، قربت منه وحطيت ايدي علي راسه وبدأت أقرأ آية الكرسي، فتح عينيه مرة واحدة، كانت كلها بيضه، وقام هجم عليا ومسكني من رقبتي، كان بيخنقني وهو بيقولي.....

-مش قولتلك ابعد عنهم عشان ماتتأذيش.

رضا دخل الأوضه علينا فجأة، أول ما شافه كده زقه بعيد عني فوقع علي السرير وأغمى عليه.

في نفس الوقت سمعنا صرخة من المطبخ، طلعنا نجري لقينا صفية هي كمان واقعة من طولها.

بصيت لرضا وقولتله....

-صفية أختك مربوطة برامي، هيحصلها اللي بيحصله بالظبط وده مش حلو خالص.

-ايه العمل يا شيخ؟

-لازم يفضلوا تحت عينيكم ومايغيبوش عنكم.

***

فضلت قاعد مع رضا جنب رامي بس آخر النهار روحت بيتي، لما وصلت قولت اقعد شوية مع أمي وابني قبل ما يناموا، وبعدين لما نامو دخلت الاوضة، لأول مرة أنام بهدوء ليلة كاملة من يوم موضوع رامي، لما صحيت الصبح امي قالتلي ان ام رضا بعتالي وعوزاني اروحلها ضروري، معرفش ليه حسيت بقبضة في قلبي وان في حاجة حصلت.

لبست ونزلت من البيت، كنت طول الطريق بقول هات العواقب سليمة يا رب، وصلت البيت وخبطت، فتحلي رضا الباب، ولما دخلت سألته علي والدته، اللي بعد دقايق خرجت وهي بتعرج برجلها، استغربت، انا سايبها امبارح كويسه ايه جد في الموضوع؟

كنت خايف اسأل لأني عارف ان الاجابة مش هتبقي مريحه، لكن رضا قعد قدامي وقال....

-صفية امبارح بالليل كانت ماشيه وهي نايمه لما امي حاولت توقفها، زقتها ووقعتها علي الارض وفضلت تضربها وتزقها، لحد ما طلعت امي من تحت ايدها بالعافية.

-أكيد مكانتش في وعيها.

-أنا حسيت بحركة غريبة في اوضتها فدخلت اشوف ايه اللي بيحصل، كانت قاعده باصه للحيطة وضهرها للي داخل من الباب، وكان طالع منها صوت غريب، صفية بنتي كانت بتكلم الحيطة.. أصل ماحدش كان موجود قدامها.

قربت منها وفضلت اكلمها مكانتش بترد عليا، لحد ما قامت وقفت وكانت طالعه من الاوضة، ناديت عليها مردتش ولما حسيت انها ممكن تضيع مني زي رامي شدتها من ايدها وضربتها بالقلم عشان افوقها، بس ساعتها زقتني علي الارض، وهجمت عليا وفضلت تضرب وتلطش فيا، لحد ما رضا دخل نجدني من تحت ايدها.

-طيب ممكن أشوف صفية؟

-طبعا، اتفضل معايا.

وقف رضا قدام الباب وخبط وعرفها اني معاه، دخلنا أوضتها، كانت زي أوضة رامي بس فيها سرير واحد، لقيناها واقفه علي السرير وباصه ناحية الباب شعرها مفرود، اول ما شافتني قدامها، هجمت عليا وفضلت تخربشني وتضرب فيا، وقعتني على الارض، كنت بقرأ قرآن وده كان بيستفزها أكتر، رضا بصعوبة بعدها عني وزقها علي السرير، فضلت تصرخ بهيستريا عشان اوقف اللي كنت بقرأه لحد ما أغمي عليها، رضا شد عليها الغطي؛ وطلعنا وقفلنا عليها الباب، مكنتش قادر اقف علي رجلي من اللي حصلي، رضا أصر اني ادخل أوضة الضيوف ارتاح فيها شوية.

كانت اوضه فيها سرير كبير شوية ودولاب وكنبة عربي قديمة، فردت جسمي على السرير، وبعد شوية دخل رضا وامه

وكانت جايبة اكل، حلفت عليا آكل معاهم، وفي وسط الكلام قالتلي....

-أنا هفتح المندل وأشوف ايه اللي بيحصل لولادي..

اللقمة وقفت في زوري وكنت حاسس ان الكلام اتعقد علي لساني، ماكنتش عارف هرد اقولها ايه؟ هو اليأس اللي جواها خلاص تملك منها؟

سبت الأكل وقولتلها.....

-وحدي الله يا أم رضا، انتِ عارفه ان اللي هتعمليه ده حرام؟

-هستني ايه تاني، أما رضا هو كمان يجراله كده؟ دي لعنة ولازم أعرف عيالي بيحصلهم كل ده ليه!.

حاولت أقنعها وأغير رأيها، بس هي كانت رافضة تمامًا.

فاستأذنت من رضا وروحت البيت، طول الطريق كنت بقول لنفسي أنا لا يمكن اقبل احضر حاجة زي دي، مهما كان رضا واخواته غالين عليا، ومهما كان ابوهم صاحبي.

***

عدى اسبوع تقريبًا ماعرفش عنهم حاجة فيه، لحد ما لقيت أمي داخلة عليا الأوضه وبتقولي ان أم رامي مستنياني بره، طلعت وانا بدعي ربنا تكون جايه تقولي انها غيرت رأيها، رحبت بيها ودخلتها الاوضة، وقعدت علي الكنبة وبصت في الأرض وقالتلي....

- ازيك يا شيخ محمد، عامل ايه؟ كده تسيبنا في عز محنتنا؟

- يا حاجة فاطمة، أنتِ طلبتي مني حاجة مش هقدر عليها.

- معلوم يا شيخ، بس احنا مش ناس وحشين، ولا بتوع الكلام ده، انا كنت عايزة اعرف اللي صاب عيالي.

- يا أم رضا، انا...

- يا شيخ أنا أم، زي أنت مابتقول كده، ماعذرتنيش اني ام وشايفه عيالها بيضيعوا قدام عينيها.

- أنا اسف يا ام رضا بس اللي كنتِ عاوزاني أحضره ماينفعش.

طيب اسمع يا شيخ اللي حصل...

بعد انت ما مشيت، خدت نفسي وروحت لواحده جارتنا هي تعرف واحد من الناس اللي بيفتحوا المندل وبيشوفوا الطالع وبيعملوا الأعمال وكده، وهي اللي جابت الراجل البيت، بعدها بيومين.

لما الراجل جه، حكيتله انا ورضا كل اللي حصل، قعد الولد الصغير اللي كان معاه علي الأرض، وبدأ يكتب كلام غريب علي ايديه ورجليه ووشه وبعدين الواد عنيه اتقلبت فجأة وبقت بيضا كلها وبدأ الراجل يتكلم معاه

ويسأله على عنايات..

انا جسمي كله كان بيتنفض من اللي بيحصل، بس بعد دقيقة رد الواد عليه....

-عنايات، بتاعة الأعمال، الجلب والربط والتفريق.

فضل الراجل باصص ليه وقاله فين مكان عنايات....

-عند الترب القديمة اللي جنب البير.

سألته ساعتها هي ليه بتأذي عيالي؟

لكنه مردش والواد داخ منه وتعب، فلم حاجته وخد الواد اللي معاه ورضا حاسبه ومشي.

***

وعدي كام يوم واحنا مش عارفين نعمل ايه، انا جيتلك عشان تساعدنا.

-اللي عملتيه غلط يا أم رامي.

-يا شيخ محمد انا ام كنت متعلقه بأي حبل ينقذ ولادها من اللي هما فيه.

-ربنا يستر، انا هاجي معاكي أبص عليهم وارتب مع رضا اللي هنعمله.

-الله يجبر بخاطرك يا شيخ محمد.

روحت معاها البيت، وفضلت مستني رضا اللي أول ما شافني، جه عليا جري وقالي....

-انا عارف انك زعلان مني يا شيخ، بس والله ماكنش بايدي.

-ولا يهمك يا ابني، نركز فاللي هنعمله.

-الأول تعالي بص علي رامي لأنه بدأ يجرح نفسه ويخربش في جسمه، بيصحي بالليل يخبط راسه في الحيطة كمان.

-طبيعي ده يحصله بعد الراجل ده ما كشفه، تعالى يا ابني عشان أبص عليه.

دخلت ورا رضا، كان رامي نايم علي السرير متكتف عشان مايأذيش نفسه، اول ما دخلت كان بيشتم بصوت تخين وغريب كده....

ام رامي كانت واقفه بتبص لابنها بحسرة، مش قادرة تتكلم.

سألتهم علي صفية فقالوا انها ماحصلهاش حاجة، ولسه على وضعها.

قربت من رامي، وقعدت جنبه علب السرير، وقريت شوية جنبه، وبعدين بصيت علي صفية ومشيت.

***

تاني يوم روحت الترب القديمة لوحدي من غير ما اقول لرضا، ولقيت فعلا في بيت هناك جنب البير، بيت قديم من دورين، واحنا اللي كنا متلخبطين بين الشارع اللي بنفس الاسم في الاول وبين المنطقة، وقفت قدام البيت زي ما تكون عارفه اني جاي من قبل ما اخبط كانت بتفتح الباب...

-أنتِ عنايات؟

-بشحمها ولحمها.

-وأنا الشيخ محمد.

-عرفاك وعارفة انك جاي.

-وطبعا عارفة انا جاي ليه؟

-عارفة.

-فكي العمل اللي أنتِ عملاه لعيال فاطمة.

-مينفعش، انت سيد العارفين اني لو فكيته هتأذي.

-والحل؟

-مفيش حل غير ان اللي عامل العمل يأذن بفكه.

-ومين اللي عامل العمل ده؟

-مش هقدر أقول.

-أنت هتنطقي ولا ورب الكعبة أسيب عليكي أخو العيال اللي انتِ عملالهم العمل ده، البلد كانت مقلوبة علي رامي والناس ماكنتش عارفه هو ازاي اختفي، لو عرفوا انك انت السبب مش هيطلع عليكي صبح تاني.

-خلاص، خلاص اللي عامل العمل واحد اسمه عزت، وهو اللي يقدر يأذن بفكه.

مشيت من عند عنايات وانا حاسس ان حد خابطني علي راسي، وبسأل نفسسي عزت، عزت صاحبنا ممكن يعمل كده؟

طول الطريق وأنا رايح بيت رضا كنت بفكر في اللي سمعته من عنايات، ايه مصلحة رضا من كل ده، وصلت اخيرًا البيت عند رضا، لأول مرة الطريق يبقي طويل بالشكل ده، دخلت وحكيتلهم اللي حصل مع عنايات وبلغتهم اني هروح لعزت..

لقيت رضا مصمم يجي معايا وقالي ...

-كفاية انك روحت لعنايات لوحدك أنا هاجي معاك وزي ما تيجي.

اللي أعرفه ان عزت ساب بلدنا من وقت طويل وسكن في بلد تانيه بعدنا، بينا وبينه بتاع نص ساعة، خدنا تاكسي للبلد بتاعه ونزلنا نسأل الناس علي بيت عزت حامد، وولاد الحلال دلونا على البيت، وقفنا قدام ببته، البيوت هنا تقريبا دور او دورين، الرال

بيبني لنفسه ويبني لابنه فوقه، أنا فاكر ان عزت كان عنده ولد اسمه مصطفى، ليه مابنالوش شقه فوقه.

خبطنا علي الباب الحديد، ومراته هي اللي فتحت لنا....

-عايزين مين؟

-مش ده بيت عزت.

-ايوه اتفضلوا.

دخلتنا وقعدتنا في الصالة كان بيت عادي، حصيرة وكنبتين عربي قدام وحيطان البيت يا دوب متمحره من جوه مش متبيضه، طلبنا نقابل عزت وعرفنا من مراته ان كه تعبان وعنده المرض الوحش ومحتاج عملية مستعجلة..

دخلت انا ورضا وراها عشان نشوف عزت، كان نايم علي السرير لا حول ليه ولا قوة، قعدت علي طرف السرير، ورضا علي الكنبة اللي جنب السرير.

مرات عزت ساعدته عشان يقعد وخرجت تعملنا حاجة نشربها....

- ازيك يا عزت عامل ايه؟

- نشكر ربنا يا محمد، أخبارك ايه؟

- الحمد لله، فضل ونعمة من عند ربنا.

- قولي يا عزت ليه عملت كده؟

- مش فاهم تقصد ايه يا محمد؟

- العمل اللي معمول لولاد سالم.

- ولاد سالم، ايه الكلام الفارغ اللي بتقوله ده؟ انت جاي تتهمني في بيتي اني بعمل اعمال!

- عزت عنايات اللي اعترفت بكل حاجة، أنا انصدمت فيك، أنت عمرك ما كنت كده،ايه اللي غيرك! ده انت كنت اطيب خلق الله.

- ماتتصدمش، أديك بعضمة لسانك بتقول كنت، ده حال الدنيا، أنا ابني مات علي ايديا في المستشفي، عشان سالم اتأخر في بيع الأرض، وفضل يماطل في السعر مع الراجل اللي هيشتري عشان كام ملطوش، مع اني اتحايلت عليه واتذليتله عشان يبيعها بأي تمن، عشان ألحق ضنايا، وفي الاخر لما باع وعطاني الفلوس، ودفعتها قبل ابني ما يدخل العملية بكام ساعة مات علي ايدي، واما فوقت من موت مصطفي ابني، سمعت انه سالم راح يعمل عمليه لأمه، وبعد كام يوم رجع بيها وعمليتها نجحت وأنا ابني مالحقش حتي يدخل العمليات ومات، لو ماكنش ساق في العند معايا، لو كان ورضي وباعها بأي تمن كنت لحقت ابني وكان زمانه كبر وفي عمر ولاده، عشان كده صممت أخد بتاري من عياله، وأبرد ناري وحرقة قلبي وانا بدفن الحته اللي ليا في الدنيا دي، واموت عياله زي ما مصطفي ابني مات، حلفت ادوق مراته الوجع اللي مراتي عاشته، واكسر عكازها في الدنيا.

- الكل شرب من الكاس مش عيال سالم لوحدهم.

- تقصد ايه؟

- اقصد سالم مات من كام سنة، انتقامك جه متأخر أوي انت بتأذي عيال ملهمش ذنب، وكمان احنا عرفنا انك تعبان بالمرض الوحش، مفكرتش هتقابل وجه رب كريم ازاي؟ هتقدر تروحله وانت شايل الذنب؟ ده لازم تتوب وتصلح غلطتك لو

عاوز ربنا يسامحك وتكفر عن اللي عملته لازم تقولنا العمل مدفون فين، انت اللي عامل العمل ومينفعش حد غيرك يدلنا علي مكانه.

- انا....

- فكر كويس الدنيا منفاته، هتقدر تقابل ربنا بالذنب ده!.

- أنا عارف اني غلطت، الغل والكره عماني، طول الكام سنه اللي فاتو مانستش يوم منظر ابني وهو ميت علي ايديا، وأنا راجع بيه مكسور، أنا عزلت وحاولت أنسي بس والله مقدرتش ده ضنايا.

- الحق اللي فاضلك ودلنا على مكان العمل؟

- هقولك يا شيخ محمد ، في ترب قديمه جنب بيت عنايات ماحدش بيدفن فيها دلوقت، التربة القديمة بتاعة العمدة الكبير، هتلاقي العمل هناك، فكه وادعيلي ربنا يغفرلي ويسامحني،واطلب من عيال سالم يسامحوني.

بدأ يعيط، رضا قرب منه وشد على ايده وقاله...

نفك العمل واخواتي يبقوا بخير وهسفرك تعمل العملية اللي انت محتاجها بره، واعتبر ده تعويض عن خسارتك لابنك، انا عارف ان مفيش حاجة هتعوضك ضافره، بس انا مفيش في ايدي انا واخواتي تعويض تاني نقدمهولك عن اللي ابويا عمله زمان فيك غير كده.

خرجنا من بيت عزت، وكان رضا متأثر وغضبان من اللي ابوه عمله بس ماكنش في وقت، طلعنا علي المكان اللي مدفون فيه العمل، كنا بعد العصر، بدأ رضا ينبش القبر اللي عزت قال انه

دفن فيع العمل، وأنا كنت بقرا قرآن، لحد ما وصل رضا لحاجة فمديت ايدي وسحبتها، كان راس ضبع مقطوعة ومتخيط بوقه.، فكيت الخيط وطلعت العمل اللي كان مدفون في بوق الضبع، كانت صورة قديمة، بس الصورة اللي معمول عليها العمل كانت مقطوعة والجزء اللي معمول عليه كان فيه سالم وعياله بس.

أنا عندي نسخة كاملة من الصورك دي كانت لسالم وعزت وأنا، عزت كان معاه ابنه مصطفي اللي مات وسالم كان معاه رامي وصفية، وانا ماكنتش لسه اتجوزت ولا خلفت.

حطيت الصورة في مايه وملح مقري عليهم وفكينا العمل، وروحنا بيت رضا، كان رامي وصفية نايمين، والحاجة فاطمة مستنيانا، قعدنا وحكينالها كل اللي حصل قالت...

-سالم عند مع عزت في الاول عشان كان عاوز يبيع بسعر عالي، لكن لما عرف ان امه تعبانه ماهمهوش وباع الارض ورمي لعزت فلوسه، وماكلفش نفسه بعدها وسأل حتي ابنه عمل ايه؟

-أنا شايف يا امي ان اقل حق للراجل ده عندنا اننا نسفره يعمل العملية اللي محتاجها.

-وماله يا ابني اللي انت شايفه صح اعمله، انا حياة اخواتك عندي متتعوضش بمال الدنيا كلها.

بصلي وقالي..

-خلاص يا شيخ محمد بكره نمشي في الاجراءات...

بعد كام يوم لقيت رامي هو اللي جايلي البيت، اول ما شوفته افتكرت اليوم اللي دخل فيه الاوضة والمعاكسات اللي كنت بتعاكسها عشان ماساعدهوش، ضحم كده وقالي...

-جايبلك اخبار حلوة يا شيخ محمد.

-خير يا ابني؟

-مرات عزت، كلمت رضا من بره وقالتله ان العملية نجحت وكانت بتطمنا وبتشكرنا كلنا.

-يااااه يا رامي يا ابني علي الاحسان لما يتقابل بالاحسان، عارف يا ابني الشر عمره ما حاب غير شر، والكر عمره ما جر غير كره..

آخر حاجة حابب أقولهالك ان البلد كلها اتقلبت علي عنايات وكانوا هيولعوا فيها وهي في البيت، بص اكتفوا بطردها من البلد.

***

الفهرس

أرض الخالدين ٥
استغماية ٢٦
بيت المرايات ٤٦
توأم الجن ٦٥
دار المسنين ٨٩
فندق المنشية ١١٩
مستشفى ١٣٧
ويدنج بلانر ١٦٠
البيت القديم ١٨٨
عنايات ٢١٦